سلسلة المعارف التعليمية

العقيدة الإسلامية

بحوث في العقيدة الإسلامية

دار المعارف الإسلامية الثقافية

سِلسِلةُ المَعارِفِ التَعليمِيّة

بحوث في العقيدة الإسلامية

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الـــكـــتـــاب: بحوث في العقيدة الإسلامية

إعـــــــــداد: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليميّة

إصـــــــدار: دار المعارف الإسلاميّة الثقافية

تصميم وطباعـة: DBOUK 0096113336218

الـطـبـعـة: الثانية 2023م / 1444هـ

ISBN 978-614-467-318-8

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

سلسلة المعارف التعليمية

بحوث في
العقيدة الإسلامية

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة 11
الدرس الأول: ما هو الدّين؟ ودوافع البحث عنه؟ 13
مفهوم الدّين 15
الرؤية الكونيّة والأيديولوجيا 16
الرّؤية الكونيّة الإلهيّة والمادّيّة 16
الأديان السّماويّة وأصولها 17
أصول الدّين وأصول المذهب 18
البحث عن الدين 18
الدّوافع العامّة 19
الدرس الثاني: دليلا النظام والوجوب والإمكان على وجود الله -تعالى- 27
تمهيد 29
دليل النّظام 29
فوائد دليل النّظام 32
النّظام في الكتاب والسنّة 32
دليل الوجوب والإمكان 33
المصطلحات الواردة في الدليل 34
تقرير دليل الوجوب والإمكان 36
دليل الوجوب والإمكان في القرآن الكريم 36
الدرس الثالث: الصفات السلبية والثبوتيّة 41
تقسيم الصّفات الإلهيّة 43
الصّفات السّلبيّة 43
الدّليل على التّنزيه 44
ليس مركّباً من أجزاء 44
ليس جسماً 45
العلّة 45
العلّة الموجِدة 46
ميّزات العلّة الموجِدة 46
الصفات الثبوتيّة 47

إثبات الصّفات الذّاتيّة 48
تنبيهات حول القدرة 50
دليل حياته -سبحانه- 53
الدرس الرابع: الصفات الفعليّة 57
تمهيد 59
الخالقيّة 59
الرّبوبيّة 60
الرّبوبيّة التكوينية والتشريعية 60
الخالقيّة دليل الربوبيّة 61
الألوهيّة 62
الحكمة 62
تنبيه حول الغاية الأصلية والغاية الثانوية 63
الكلام الإلهيّ 64
الصّدق 65
الدليل على لزوم كونه -تعالى- صادقًا 65
الدرس الخامس: التوحيد والشرك 69
عوامل الشّرك وأنواعه 71
الدليل على التوحيد ونفي الشرك 72
الردّ على الاحتمالات المنافية للتوحيد 72
الولاية التّكوينيّة 73
مراتب التّوحيد 74
الدّليل على التّوحيد الصّفاتي 75
التّوحيد الأفعالي 76
نتائج التّوحيد الأفعالي 77
التّوسّل لا ينافي التوحيد الأفعالي 78
الدرس السادس: الجبر والاختيار 81
مذاهب واتجاهات 83
شبهات وردود 87
الجبر والتفويض في كلام المعصوم عليه السلام 89
الدرس السابع: القضاء والقدر والبَداء 93
تمهيد 95

معنى القضاء والقدر 95
البَداء 97
بين النسخ والبداء 100
الدرس الثامن: العدل 103
تمهيد 105
التّحسين والتّقبيح 105
مفهوم العدل 106
أقسام العدل 107
دليل العدل الإلهي 108
دليل الحكمة 110
شبهات وحلول 110
الدرس التاسع: النبوّة العامة 115
ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام 117
تعدّد الأنبياء عليهم السلام 120
النّبيّ والرّسول وأولو العزم 122
فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام 124
إثبات الأنبياء عليهم السلام في كلام المعصوم عليه السلام 125
الدرس العاشر: صيانة الوحي وعصمة الأنبياء عليهم السلام 129
تمهيد 131
تعريف العصمة 131
مجالات العصمة 132
السّرّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام عن المعصية 133
النتيجة 135
الأدلّة العقليّة على العصمة 135
الأدلّة النّقليّة على العصمة 136
تنبيه مهم 138
الدرس الحادي عشر: شبهات حول العصمة 143
تمهيد 145
الجواب: يقع في مقامين 145
إيّاك أعني واسمعي يا جارة 148
آيات قصّة آدم عليه السلام 149

الفهرس

آيات قصّة موسى عليه السلام 151
آيات في قصّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم 152
الدرس الثاني عشر: المعجزة 157
مقدّمة 159
تعريف المعجزة 159
طريقان آخران غير المعجزة 161
التّرابط المنطقيّ بين المعجزة والنّبوّة 161
فوارق بين المعجزة وغيرها من الخوارق 162
الدرس الثالث عشر: نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم 167
تمهيد 169
الدّليل على نبوّة نبيّ الإسلام 171
القرآن معجزة 173
الدرس الرابع عشر: إعجاز القرآن الكريم 177
تمهيد 179
عناصر الإعجاز في القرآن الكريم 179
جواب الإمام الهادي عليه السلام حول تنوّع معجزات الأنبياء عليهم السلام 184
الدرس الخامس عشر: ختم النّبوّة 187
تمهيد 189
معنى الختم 190
الدليل القرآني على كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيّين 191
الأدلّة الرّوائيّة على ختم النّبوّة 192
السّر في ختم النّبوّة 192
تنبيه حول الهداية 193
جواب عن شبهة 194
الدرس السادس عشر: الإمامة 199
تمهيد 201
مفهوم الإمامة 202
رواية عبد العزيز بن مسلم عن الإمام الرّضا عليه السلام 203
الإمامة بين السنّة والشيعة 204
نتيجة رأي السنّة 205
وجوب البحث 205

الدرس السابع عشر: الحاجة لوجود الإمام 209
تمهيد 211
ضرورة وجود الإمام 212
الأدلّة العقليّة على عصمة الإمام وعلمه 213
عثرات الخلفاء عند السنّة 214
الإمامة منزلة الأنبياء عليهم السلام 215
الدرس الثامن عشر: تعيين الإمام 219
تمهيد 221
الدليل القرآني والروائي 221
معنى الإمامة من كلام المعصوم عليه السلام 226
الدرس التاسع عشر: العصمة وعلم الإمام 231
تمهيد 233
عصمة الإمام في الآيات والروايات 233
علم الإمام 235
الأدلّة على التحديث 237
علم الإمام في كلام الأئمة عليهم السلام 238
الدرس العشرون: الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف 243
تمهيد 245
الحكومة الإلهيّة العالميّة 246
الوعد الإلهي 247
المهدي عجل الله فرجه الشريف في روايات أهل السُّنّة 248
الغَيْبَة 249
فلسفة الغيبة 250
النتيجة 251
فائدة وجود الإمام عجل الله فرجه الشريف حال الغيبة 251
الدرس الواحد والعشرون: الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف 255
تمهيد 257
هل يمكن أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل؟ 258
لماذا أطال اللّه عمره الشريف ولم يُنصّب إماماً آخر غيره عجل الله فرجه الشريف؟ 259
متى يتحقّق ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف؟ 261

هل يوجد علامات للظهور؟ 262
الأجواء الفاسدة 264

الدرس الثاني والعشرون: المعاد 267
أهميّة معرفة العاقبة 269
المرحلة الأولى: أهميّة الاعتقاد بالمعاد 270
اهتمام القرآن الكريم بمسألة المعاد 271
خلاصة القول 273

الدرس الثالث والعشرون: المعاد والروح 277
المرحلة الثّانية: المعاد وعلاقته بالروح وتجرّدها 279
الروح والبدن 280
الدّليل العقلي على تجرّد الرّوح 281
الدليل القرآني على تجرّد الرّوح 282

الدرس الرابع والعشرون: أدلّة المعاد والردّ على المنكرين له 287
المرحلة الثالثّة: إثبات المعاد 289
الأدلّة العقليّة 290
المرحلة الرابعة: الردّ على شبهات المنكرين للمعاد 292

الدرس الخامس والعشرون: الشفاعة يوم القيامة 299
تمهيد 301
تعريف الشّفاعة 301
أقسام الشفاعة 302
مورد الشّفاعة 303
شروط الشّفاعة 304
الشفعاء 305
المرحلة الخامسة: الذّنوب المانعة من الشّفاعة 307

المقدّمة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

يعتبر علم الإنسان أو الأنتروبولوجيا من العلوم الحديثة -على صعيد الاصطلاح- في تاريخ العلوم الإنسانيّة، وإن كان بلحاظِ يعرّفه وكونه علماً يعتني بدراسة الفرد وأعماله وسلوكه المجتمعيّ من أقدم العلوم، لكونه قد بدأ -والحال هذه- مع أقدم تأمّلات الإنسان في هذه الموضوعات.

وحيث إنّ للإسلام رؤيته الخاصّة والمتميّزة على هذا الصعيد، لكونه يعتمد على النصّ القرآنيّ وما أثر عن رسول اللَّهﷺ وآل بيته عليهم السلام، كان لزامًا علينا -كمركز للمناهج والمتون التعليميّة في جمعيّة المعارف الإسلاميّة- أن نعرض هذه الرؤية تلبية للحاجات التعليميّة في معاهدنا الثقافيّة، وبما يتناسب مع الشرائح المخاطبة، فكان هذا الكتاب الماثل بين يديك أخي القارئ.

وتجدر الإشارة إلى أنّنا قد اعتمدنا بشكل أساسيّ في إعداد القسم الأكبر من مادّة هذا الكتاب على ما دونّه سماحة آية اللَّه الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي رحمه الله في كتابه «**معارف القرآن**»، وهو صاحب الفكر الأصيل النيّر والمتوقّد. وكلّنا أمل أن يجد فيه المتعطّشون للعلم والمعرفة والمتعلّمون ضالّتهم المنشودة.

والحمد للَّه ربّ العالمين

مركز المعارف للمناهج والمتون التعليميّة

الدرس الأول:

ما هو الدّين؟ ودوافع البحث عنه؟

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى أنواع الرؤى الكونية.
2. يُدرك أصول الأديان السماوية.
3. يتعرّف إلى الدوافع العامة للبحث عن الدين.

* مفهوم الدّين

كلمة الدّين في اللّغة[1] بمعنى الطّاعة كما في قوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾[2]، وتأتي بمعنى الجزاء[3] كما في قوله -تعالى-: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[4] وقوله: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[5] أي يوم الجزاء، وفي الاصطلاح معناها: الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالأحكام والوظائف العمليّة الملائمة لهذا الإيمان[6].

ويعتبر الشيخ المصباح اليزدي بأنّ الذين لا يؤمنون بالخالق إطلاقاً، ويؤمنون بالصدفة يُطلق عليهم «**اللادينيين**»[7].

(1) راجع كتب اللّغة، مثل: الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414هـ- 1994م، لا.ط، مادّة: دين.

(2) سورة يوسف، الآية 76.

(3) انظر: الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران -قم، 1417هـ ط5، ج20، ص368.

(4) سورة الفاتحة، الآية 4.

(5) سورة الماعون، الآية 1.

(6) تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر مذكور، ج20، ص368.

(7) اليزدي، العلامة محمد تقي المصباح، دروس في العقيدة الإسلاميّة، دار الحق للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط6، 2003م، ج1، ص21.

ويتكوّن الدّين بالمعنى الاصطلاحي من ركنين:

1. العقيدة الّتي تُمثّل الأساس والقاعدة بالنّسبة إلى الدّين وتُسمّى (أصول الدين).
2. التّعاليم والأحكام العمليّة المنبثقة من الأسس العقائديّة والملائمة لها وتُسمّى (فروع الدّين).

* الرؤيّة الكونيّة والأيديولوجيا

إنّ ألفاظ الرّؤية الكونيّة والأيديولوجيّا استُعملت في معان متقاربة، ومن معاني الرّؤية الكونيّة أنّها عبارة عن «**مجموعة من المعتقدات والنظريّات الكونيّة المتناسقة حول الكون والإنسان، بل وحول الوجود بصورة عامّة**»، ومن معاني الأيديولوجيا أنّها عبارة عن «**مجموعة من الآراء الكليّة المتناسقة حول سلوك الإنسان وأفعاله**».

وعلى ضوء هذين المعنيين يمكن أنْ يُعتبر النّظام العقائديّ لكلّ دين هو رؤيته الشّاملة، ونظام أحكامه العمليّة الكليّة أيديولوجيّته، وبذلك يمكن تطبيقهما على أصول الدين وفروعه، ولكن يلزم التأكيد على أنّ مصطلح الأيديولوجيا لا يشمل الأحكام الجزئيّة، كما أنّ مصطلح الرؤيّة الكونيّة لا يشمل المعتقدات الجزئيّة.

وقد تستعمل كلمة الأيديولوجيا أحياناً في معنى عامّ بحيث يشمل الرّؤية الكونيّة والأحكام العمليّة معاً.

* الرّؤية الكونيّة[1] الإلهيّة والمادّيّة

تنتشر بين النّاس الكثير من أنواع الرّؤى الكونيّة، ولكن يمكن تقسيمها جميعاً

(1) عُبّر عن مفهوم الرؤيّة الكونيّة بألفاظ وتعابير متعدّدة، منها:
- النظرة الشاملة للعالم. - المفهوم العام عن العالم.
- المفهوم الفلسفي عن العالم - التصوّر الكلي للوجود. - المفهوم الكلي للعالم.
إلى غيرها من التعابير. (انظر: دروس في العقيدة الإسلاميّة، للشيخ اليزدي، مصدر مذكور، ج1، ص22).

على أساس الإيمان بالغيب وإنكاره إلى قسمين جامعين: الرّؤية الكونيّة الإلهيّة، والرّؤية الكونيّة المادّيّة.

وقد أُطلق على مَن يتبنّى الرّؤية الكونيّة المادّيّة في العصور السّابقة اسم «**الطّبيعيّ**» و«**الدّهريّ**» وأحياناً «**الزِّنديق**» و«**الملحد**»، وأمّا في عصرنا فيُطلق عليه «**المادّي**».

وعليه، فإنّ مجال الرؤيّة الكونيّة لا يتحدّد بحدود المعتقدات الدينيّة، لأنّ كلمة »الرؤيّة الكونيّة» شاملة للمعتقدات الإلحاديّة والماديّة أيضاً.

* الأديان السّماويّة وأصولها

بحسب المستفاد من المصادر الإسلاميّة فإنّ الدّين قد لازَمَ وجود الإنسان على الأرض، فكان الإنسان الأوّل وهو آدم عليه السلام نبيّاً وداعياً للتّوحيد، وأمّا سبب ظهور الشِّرك وتطرّق البدع إلى الأديان فهو الجهل واتّباع الأهواء والمطامع. وتشترك الأديان التّوحيديّة في ثلاثة أصول كليّة:

1. الإيمان باللَّه -جلّ وعلا- الواحد.
2. الإيمان بالحياة الأبديّة في عالم الآخرة، ونيل الجزاء على العمل إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.
3. الإيمان ببعثة الأنبياء والرّسل المبعوثين من اللَّه -تعالى- لهداية الناس لما فيه كمالهم النهائي، وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهذه الأصول الثلاثة تُمثّل إجابات حاسمة عن الأسئلة الرّئيسة الّتي يواجهها كلّ إنسان في صميم ذاته وفطرته: مَن هو خالق الوجود ومبدأه؟ ما هو مصير الحياة؟ ما هو السّبيل لمعرفة النّظام الأفضل للحياة؟

وعليه، يُعتبر الإيمان بوجود اللَّه -سبحانه- الواحد »الأصل الأوّل» من أصول

الدّين الإسلاميّ، والإيمان بأصل النبوّة والاعتقاد بنبوّة خاتم النبيّين محمد ﷺ «**الأصل الثّاني**»، والإيمان بالمعاد والحياة بعد الموت «**الأصل الثّالث**».

* أصول الدّين وأصول المذهب

تقدّم أنّ أصول الإسلام الأساس ثلاثة: التّوحيد، نبوّة النّبيّ محمّد ﷺ، المعاد. وهذه الأصول الثلاثة تُسمّى أصول الدّين، ويخرج المنكر لأيّ واحد منها من ملّة المسلمين.

وثمّة معتقدات أخرى نشأت من تحليل هذه المعتقدات وتجزئتها، أو أنّها من لواحقها، يمكن أن نعتبرها من العقائد الأصليّة أيضاً ولكن وفق اصطلاح خاصّ، فمثلاً يمكن أن نعتبر الإيمان بوجود اللّه -سبحانه- والإيمان بتوحيده والإيمان بنبوّة نبيّنا ﷺ من أصول الدّين الإسلاميّ، كما يمكن اعتبار العدل -وهو من المعتقدات المتفرّعة من التّوحيد- أصلاً مستقلّاً، والإمامة -وهي من لواحق النّبوّة- أصلاً آخر -كما فعل علماء الشيعة-.

وفي الواقع فإنّ استعمال كلمة «الأصل» في مثل هذه المعتقدات خاضع للاعتبار والاصطلاح.

ويمكن أن نُطلق «أصول الدّين» على العقائد المشتركة بين جميع الأديان السّماويّة دون تخصيصه بدين معيّن، أمثال الأصول الثّلاثة (التّوحيد، النّبوّة العامّة، المعاد)، أمّا لو أضفنا إليها بعض الأصول الأخرى المختصّة بدين ما فنطلق عليها «أصول الدّين الخاصّ» كالإسلاميّ مثلاً، وكذلك إذا أضفنا إليها بعض المعتقدات المختصّة بمذهب معيّن أو فرقة معيّنة نُطلق عليها «أصول الدّين والمذهب».

* البحث عن الدين

إنّ كلّ إنسان عاقل لا يُقدِمُ على عمل إلّا لغاية تُشكّل الدّافع والمحرّك له

باتجاه الفعل -وهذا إدراك وجدانيّ- فعندما يسعى الإنسان مثلاً لتحصيل الطّعام فدافعه الجوع فعلاً أو توقُّع حصوله، وقد أودع اللَّه -تعالى- في الإنسان جملة من الدّوافع الفطريّة -سواء كانت نفسيّة أو قلبيّة أو عقليّة- تُشكّل الأساس لحركته في الحياة الدنيا، وهنا يأتي سؤال وهو:

ما هي الدّوافع الكامنة في الإنسان والّتي يجب أن تُحرّكه للبحث عن الدّين؟ أي للبحث عن وجود اللَّه -سبحانه- وما يتعلّق به وما يترتّب عليه من أسئلة أخرى ينبغي السّعي لتحصيل الإجابة عنها.

والجواب: إنّ اللَّه -تعالى- قد أودع في داخل الإنسان جملة من الدّوافع العامّة الّتي تدفعه للبحث عن مجموعة مهمّة من المسائل بما فيها البحث عن الدّين، بالإضافة لدافع خاصّ بالبحث عن الدّين.

* الدّوافع العامّة

الأوّل: غريزة حبّ الاستطلاع

من الخصائص النفسيّة الإنسانيّة، وجود دافع فطريّ لديه لمعرفة الحقائق والاطّلاع على الواقعيّات، وهو المعبّر عنه «**بحبّ الاستطلاع**» الذي يدفع الإنسان للتفكير والتأمُّل وطرح التّساؤلات، في محاولةٍ للبحث عن الحقائق بما فيها الدّين الحقّ.

ومن هذه التّساؤلات: هل هناك وجود لموجود غير محسوس وغيبي غير ماديّ؟ وإذا كان له وجود فهل هناك علاقة بين عالم الغيب والعالم الماديّ المحسوس؟ وإذا كانت هناك علاقة، فهل هناك موجود غير محسوس خالق للعالم الماديّ؟ وهل ينحصر وجود الإنسان بهذا البدن الماديّ؟ وهل تتحدّد حياته بهذه الحياة الدّنيويّة؟ أم أنّ هناك حياة أخرى؟ وإذا كانت هناك حياة أخرى، فهل هناك علاقة وارتباط بين الحياة الدّنيا والحياة الآخرة؟ وإذا وجدت العلاقة، فما

هي الظّواهر الدّنيويّة التي لها تأثير في الأمور الأخرويّة؟ وما هو السّبيل لمعرفة النّظام الأكمل للحياة، النّظام الّذي يكفل سعادة الإنسان في الدّنيا والآخرة؟ وما هي طبيعة هذا النّظام؟

إذاً فغريزة حبّ الاستطلاع تُمثّل الدّافع الأوّل الّذي يدفع الإنسان للبحث عن إجابات لهذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة المرتبطة بالمسائل والمعارف الدينية الأساسية الحقّة.

الثّاني: غريزة جلب المنفعة والأمن من الضّرر

إنّ إرضاء الحاجات الطّبيعيّة للإنسان وإشباع الدّوافع الفطريّة لديه لا يتحقّق إلّا من خلال الإلمام ببعض المعارف الخاصّة، الّتي تجلب له النّفع وتدفع عنه الضّرر، فإذا أمكن للمعارف الدينية خاصّة أن تُساعد الإنسان على إشباع حاجاته، وتوفير المنافع الّتي يُنشدها، والأمن من المضارّ والأخطار الّتي تتهدّده، فسيكون الدّين من المجالات الّتي يُنشدها الإنسان بفطرته، وبذلك تكون غريزة البحث عن المنفعة والأمن من الضّرر والخطر دافعاً آخر للبحث عن الدّين، خاصّة بعدما سمع بوجود أشخاص يدعون إلى اللّه -سبحانه- وما يترتّب على الإيمان به من منافع وسعادة أبديّة، وضرر عظيم وعقاب دائم على فرض ترك البحث عنه والإيمان به، والوقوع في مخالفة أوامره ونواهيه.

شبهة وجوابها:

ربما يتشبّث البعض للتهرّب من التفكير والبحث عن الدين بهذه الشبهة أنّ الدّافع للبحث عن شيء ما إنّما يكون محرّكاً وفاعلاً فيما إذا كان احتمال الوصول إلى نتيجة قويّاً وعالياً، وبما أنّ احتمال الوصول إلى نتيجة في البحث عن الدّين ضعيف جدّاً، فلا يكون مثل هذا الاحتمال محرّكاً، بل لا يُعبأ به ولا يُلتفت إليه عند العقلاء، وعليه فمن الأفضل بذل الجهد في البحث عن مسائل تكون درجة الاحتمال فيها قويّة ومؤثّرة، كما هو الحال في المسائل العلميّة المعتمدة على التّجربة.

والجواب: يقع من جهتين:

أوّلاً: إنّ الأمل في معالجة المسائل الدّينيّة واحتمالها ليس ضعيفاً كما توهّم البعض، بل إنّ الأمل فيها ليس بأقلّ من المسائل التّجريبيّة، خاصّة وأنّ بعض المسائل العلميّة التجريبيّة تحتاج إلى سنوات من الجهود المضنية، مع أنّ احتمال الوصول إلى نتيجة فيها ضعيف جدّاً، ومع ذلك تُبذل الجهود دون تردّد ولا ملل، وهذا يفتح الباب للجهة الثّانية من الجواب.

ثانياً: إنّ الدّافع والمحرّك للبحث عن أيّ شيء لا يعتمد فقط على درجة الاحتمال قوّةً وضعفاً فقط، بل لا بدّ من مراعاة درجة المحتمل أيضاً، وذلك، لأنّ المحتمَل يُزوِّد الاحتمال بقوّة دفع وتحريك باتّجاه البحث، وهذا ما تجده في كثير من المسائل والقضايا، فلو احتملت قويّاً لدرجة 80% مثلاً أنّك أضعت مبلغاً بسيطاً من المال لا يُعتدّ به أثناء سيرك ليلاً مثلاً، فإنّك لن تبحث عنه، وما ذلك إلّا لضعف المحتمَل مع أنّ الاحتمال كان قويّاً وكبيراً، بخلاف ما لو احتملت 20% أنّك فقدت مبلغاً كبيراً من المال أثناء سيرك ليلاً، ففي مثل هذه الحال ستجد في نفسك دافعاً قويّاً للبحث عنه، وستبدأ بالبحث مباشرة، وما ذلك إلّا لأنّ المحتمَل كان قويّاً وكبيراً مهما كانت درجة الاحتمال ضعيفة وبسيطة.

والمحصَّل: أنّ لكلٍّ من الاحتمال والمحتمَل دوره في التحريك والدفع نحو البحث، وقصر النظر على قيمة الاحتمال فقط مخالف للعقل والعقلاء.

وبما أنّ المنفعة المحتملة المترتّبة على البحث عن الدّين لا حدّ لها وهي كبيرة وقويّة جدّاً، بحيث تكفي لدفع الإنسان وتحريكه للبحث عنها، فيجب على العاقل في مثل هذه الحال أنْ يبحث عن مسائل الدّين ويبذل الجهد في سبيل تحصيلها، ونظراً لأهمّيّتها التي تفوق بدرجات قيمة المحتَمل في أيّ مسألة علميّة تجريبيّة.

هذا كلّه إذا سلّمنا أنّ درجة الاحتمال ضعيفة، فكيف والحال أنّ هذا الاحتمال قويّ أيضاً.

الثّالث: لزوم شكر المنعم

وهذا الدّافع هو من الدّوافع العقليّة الفطريّة، حيث إنّ النّعم التّي تواكب الحياة الإنسانيّة كلّها والّتي لا يسع أحداً إنكارها هي من الكثرة بحيث لا تبلغ حدّ الإحصاء، ومن جانب آخر فإنّ العقل الفطريّ يحكم بلزوم شكر المنعم على نعمه ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[1]، ولا يتحقّق شكر المنعم الحقيقيّ -وهو الله تعالى- إلّا بمعرفته، ولا تتحقّق المعرفة إلّا بالبحث عنه والاستدلال على وجوده -تعالى- وعليه يجب البحث عن الدّين، لأنّه مقدّمة للشُّكر الواجب ومقدّمة الواجب واجبة بحكم العقل.

الرابع: غريزة حبّ الكمال

من جملة المسائل الّتي ينبغي أن تُشكّل حافزاً ودافعاً للإنسان للبحث عن الدين، هو ما فُطرت عليه النفس الإنسانيّة، وهو «حبّ الكمال»، فإنّ الإنسان موجود باحث عن الكمال بفطرته، ولكي لا ينحرف هذا الدافع عن مساره الصحيح، كان لا بدّ من معرفة «أنّ الكمال الإنسانيّ لا يتحقّق إلّا من خلال اختيار الإنسان لأفعاله»، هذا الاختيار المعتمد على حُكم العقل وتوجيهاته، لأنّ الكمالات المختصّة بالإنسان هي الّتي تتمثّل بكمالاته الروحيّة، والّتي يتوصّل إليها من خلال الإرادة الواعية، والاختيار المنبثق من حكم العقل.

إلّا أنّ العقل عاجز عن تقييم الأفعال وتقويمها ما لم يتوصّل إلى نظام خُلُقي وقيمي نحاكم الأفعال على أساسه، وهذا لا يتحقّق إلّا برؤية صحيحة للكون والحياة وعلاج مسائلها ومواضيعها وإنّما يتم ذلك من خلال الدين.

(1) سورة الرحمن، الآية 60.

الخامس: فطريّة الشّعور الدّيني

إنّ بعض علماء النفس يرون أنّ التديّن وعبادة اللّه -سبحانه- ظاهرة ثابتة -بشكل من الأشكال- في كلّ الأجيال البشريّة على امتداد التّاريخ، وهذا الثبات الدّائم لهذه الظاهرة دليل على فطريّتها، وقد صرّح القرآن الكريم بهذا الدّافع بقوله -تعالى-: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾[1].

تنبيه: حول شموليّة الدافع الفطري

لا بدّ من الإشارة إلى أنّه لا يلزم من القول بشموليّة الدّافع الفطريّ أنّ يوجد دائماً بشكل حيّ ويقظ في جميع الأفراد، بحيث يدفع الإنسان بطريقة شعوريّة وواعية لأهدافه المنشودة، بل من الممكن أنْ يختفي هذا الشّعور الفطريّ في أعماق الفرد نتيجة العوامل المحيطة والتّربية غير السّليمة، كما قد تنحرف الميول والغرائز عن مسارها الطبيعي للسّبب نفسه.

وعلى ضوء ذلك، فإنّ للبحث عن الدّين دافعه الفطريّ المستقلّ، ولا نحتاج في مقام إثبات ضرورته إلى دليل.

(1) سورة الروم، الآية 30.

خلاصة الدّرس

- الدِّين لغة بمعنى الطاعة والانقياد، واصطلاحاً: الإيمان بالخالق وبالأحكام والوظائف العمليّة الملائمة لهذا الإيمان.

- الرؤية الكونيّة هي: مجموعة من المعتقدات والنظريّات حول الوجود بشكل عام.

- الأيديولوجيا هي: مجموعة آراء كليّة متناسقة حول سلوك الإنسان. وقد تستعمل في معنى الرؤية الكونيّة.

- هناك رؤيتان كونيتان: رؤية كونيّة إلهيّة، ورؤية كونيّة ماديّة.

- أصول الأديان السماويّة:

1. الإيمان باللَّه -سبحانه- الواحد.

2. الإيمان بالنبوّة.

3. الإيمان بالآخرة.

- توجد دوافع فطريّة عامّة تدفع للبحث عن الدِّين.

- غريزة حبّ الاستطلاع: وهو دافع فطريّ يدفع الإنسان لمعرفة الحقائق مطلقاً ومن ضمنها الدِّين.

- وجوب شكر المنعم: ولا يتحقّق الشكر إلّا بمعرفة المنعِم، وحيث إنّ الدِّين يُعرِّفنا بالمنعِم، فيجب البحث عن الدِّين.

- فطريّة الشعور الديني: وهو لا يشترط أن يكون حيّاً ويقظاً في جميع الأفراد، بل قد يختفي لعوامل مؤثّرة على الفرد.

أسئلة حول الدّرس

1. ما هو معنى الرّؤية الكونيّة والأيديولوجيا؟
2. ما هو الفرق بين أصول الدّين، وأصول المذهب؟
3. ما هو المقصود من فطرية الشعور الديني، ولماذا لا يكون مؤثّراً دائماً؟
4. ما هو المقصود من غريزة (حبّ الاستطلاع)؟

الدرس الثاني:

دليلا النظام والوجوب والإمكان على وجود اللّٰه -تعالى-

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى دليل النظام مع مقدّماته.
2. يتعرّف إلى آيات وروايات شريفة تدلّ على دليل النظام.
3. يتعرّف إلى معنى الوجوب والإمكان في دليل الإمكان.
4. يفهم تقرير دليل الوجوب والإمكان.

* تمهيد

لقد أودع اللَّه -سبحانه- في الكون والإنسان من الأدلّة على وجوده -تعالى- ما لا يُحصى عدداً، فالأدلّة على وجوده -تعالى- بعدد أنفاس الخلائق، والعقل البشري قادر على الاستدلال على اللَّه -تعالى- وصفاته، وعلى الكثير من المسائل العقائديّة الأخرى إذا لم تؤثّر عليه الأهواء وتُحيط به الشّبهات، وقد تعدّدت الأدلّة وتنوّعت، ومع ذلك يُمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأوّل: دليل النظام: وهو الدليل الذي يعتمد على التأمّل في الكون والإنسان وما يكمن فيهما من الآثار والآيات الإلهيّة، ويرتكز هذا الدليل على مقدّمات حسّيّة، وأخرى عقليّة.

الثّاني: مجموعة أدلّة تعتمد بشكل أساس على مقدّمات عقليّة محضة منها الدليل المعروف بـ(دليل الوجوب والإمكان).

* دليل النّظام

وهو من الأدلّة السّهلة الّتي يُدركها كلّ إنسان عاقل، لأنّه يرتكز على مقدّمتين يسهل إثباتهما، إحداها حسّيّة تجريبيّة وهي: «إنّ هذا العالم منظَّم»، وثانيتها عقليَّة بديهيَّة وهي: «إنّ كلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم».

والنّتيجة هي: «إنّ هذا العالم يحتاج إلى منظِّم وليس وليد الصدفة العمياء».

هذا هو دليل النّظام على الإجمال، وتفصيله يحتاج إلى:

1. معرفة المقصود من النّظام.

2. وتوضيح المقدّمات وإثباتها.

1. المقصود من النّظام

النّظام هو عبارة عن التناسق الموجود بين أجزاء المركَّب الواحد -كأجزاء الشجرة الواحدة- والتوازن الحاصل بين الموجودات -كالتوازن بين أنواع الحيوان والإنسان والنبات والهواء- إلخ بشكل يتحقّق منه الغرض والغاية من وجودها وعلى أكمل وجه.

2. مقدّمات دليل النظام

أ. إن هذا العالم منظّم: ويمكن إثباتها من خلال تأمّل الإنسان العاقل في هذا الوجود، بالمشاهدة الحسّيّة تارة، وبفضل ما وصلت إليه العلوم الطّبيعيّة تارة أخرى، فإنّ الإنسان -وبأدنى تأمّل- سيجد نظاماً يتحكّم في كلّ موجود على حدة، ونظاماً عامّاً يربط بين الموجودات كلّها بحيث تؤدّي دورها على أكمل وجه، ويتحقّق الهدف المنشود من وجودها.

فالمنظومة الشّمسيّة بما تحويه من شمس وقمر وكواكب، عجيبة في تكوينها، دقيقة في حركاتها المنتظمة وما يترتّب عليها من مصالح وما يحدث بسببها من أحوال لازمة لها، كاللّيل والنّهار، والفصول الأربعة وما يترتّب على هذا الانتظام من فوائد.

وكذلك عالم النبات، وهو عالم عجيب في تركيبه وأسراره وفوائده، التي اكتشف العلم حتّى الآن جزءاً بسيطاً منها، وما خفي أعظم.

وأمّا الإنسان، فإنّه من أعجب وأعظم المخلوقات، فهو يحوي ما تفرّق في المخلوقات، وأُضيف إليه أجهزة معقّدَة أخرى، ولكنّها منظّمة بكيفيّة مثيرة للدّهشة، لما فيه من عجائب وأسرار وأنظمة. ومع أنّ الإنسان وضع تحت مجهر البحث المركّز في كلّ جوانب وجوده، إلّا أنّهم لم يتوصّلوا إلى معرفة الكثير من خصائصه. فمن عالم الخلايا، والجهاز الهضميّ والتّنفّسي والدّورة الدمويّة والقلب وغيرها الكثير من الأجهزة، ويبقى المخّ من أكثر أجهزة الإنسان تعقيداً، وله مركز القيادة وأوامره التي تحملها الأعصاب إلى أعضاء البدن... إلخ، فالشّواهد التّي تُثبت النّظام في الكون من أوضح الواضحات.

ب. إنّ كلّ مُنظَّم يحتاج إلى منظِّم: وهذه المقدّمة عقليّة بديهيّة، يُدركها الإنسان بمجرّد الالتفات إليها، ومن دون حاجة إلى دليل، فإنّ العقل إذا أدرك النّظام وما هو عليه من دقّة وروعة في التّقدير والتّوازن والانسجام، يحكم مباشرة بأنّ هكذا نظام يمتنع وجوده بدون فاعل عالم وقادر وحكيم هو الّذي أوجده ونظّمه، وينفي العقل إمكانيّة وجود هكذا نظام عن طريق الصّدفة، فالعقل الّذي يرفض إمكانيّة صدور مقالة بسيطة من إنسان أمّيّ لمجرّد أنّه ضغط عشوائيّاً على أحرف الآلة الكاتبة، فهو يرفض قطعاً وبشكل أوضح وجود هذا الكون والنّظام صدفة من دون خالق ومُنظِّم، وهذا الحكم يعتمد على قانون العلّيّة الثّابت بحكم العقل البديهي. فالعقل يحكم بالبداهة أنّ كلّ معلول يحتاج إلى علّة، ويستحيل وجوده دون علّة.

وبذلك تظهر النّتيجة بشكل جليّ، فالعالم منظَّم بحسب المشاهدات والعلوم، وكلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم بحسب البداهة العقليّة، إذاً فالعالم يحتاج إلى خالق منظِّم ويستحيل أن يكون وليد الصدفة العمياء، وهو المطلوب.

* فوائد دليل النّظام

من أهمّ الفوائد الّتي نستفيدها من هذا الدّليل

أوّلاً: إنّه يُحرّك الفطرة الإنسانيّة ليرتقي بها إلى مرتبة الوعي والالتفات بعد النسيان والغفلة.

ثانياً: إنّه لا تقتصر وظيفته على إثبات وجود الخالق فحسب، بل تتعدّاه لإثبات بعض صفاته، ومنها أنّه عالم، قادر، إذ إنّ النّظام الهادف يجب أن يكون موجدُه عالماً، وتحقُّق النّظام خارجاً دليل القدرة، لأنّ خصائص الفعل تدلّ على خصائص الفاعل.

* النّظام في الكتاب والسنّة

يزخر القرآن الكريم بالآيات الكريمة الّتي تُلفت الأنظار إلى ما في الكون من أنظمة بديعة، نذكر منها الآيات التالية:

1. ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1].
2. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[2].
3. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[3].

وفي كلمات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إشارات واضحة إلى هذا الدّليل كقوله عليه السلام: «**ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرَجَعوا إلى**

---

(1) سورة الملك، الآية 23.
(2) سورة المؤمنون، الآيتان 12 - 13.
(3) سورة السجدة، الآية 27.

الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة، والبصائر مدخولة»[1].

وقد أملى الإمام الصّادق عليه السلام على تلميذه المفضَّل[2]، عدداً من الأنظمة وما فيها من أسرار وحكم وعجائب، من أجهزة الإنسان والحيوانات الأخرى، والطيور والحشرات، والفلك وما يحصل من تغيّرات، والنباتات وأسرار اختلافها، والأمراض وأدويتها، ثمّ الموت والفناء[3].

* دليل الوجوب والإمكان

يُعدّ دليل الوجوب والإمكان من الأدلّة العقليّة القريبة إلى الفهم، إضافة إلى كونه محكماً، وهو يُثبت وجود الواجب تعالى، واستغناءه عن غيره في وجوده، وأمّا صفاته الثبوتيّة والسلبيّة فتحتاج إلى أدلّة أخرى.

وقبل الشّروع في بيان هذا الدّليل لا بُدَّ أوّلاً من بيان بعض المصطلحات المرتبطة به، وذلك لأنَّ فهم معنى الوجوب والإمكان والدور والتسلسل يُعدّ الركن الأساس لفهم هذا الدّليل والاستفادة منه بالشّكل المطلوب والمفيد.

(1) نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبده، ج2، ص336-335.

(2) ففي توحيد المفضل المروي عن الإمام الصادق: «**يا مفضل أول العبر والدلالة على الباري -جلّ قدسه- تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها، على ما هي عليه، فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبرته بعقلك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة، كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلّ شيء فيها لشأنه معد، والإنسان كالمالك ذلك البيت، والمخول جميع ما فيه. وضروب النبات مهيّأة لمأربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه. ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة، وأنّ الخالق له واحد، وهو الذي ألّفه ونظّمه بعضاً إلى بعض، -جلّ قدسه وتعالى- جده وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عمّا يقول الجاحدون، وجلّ وعظم عما ينتحله الملحدون**». (المفضل بن عمر الجعفي، التوحيد، تعليق: كاظم المظفر، مؤسسة الوفاء، لبنان -بيروت، 1404 - 1984م، ط2، ص12).

(3) التوحيد، المفضل بن عمر الجعفي، ص37-38.

* المصطلحات الواردة في الدليل

الأوّل: الوجوب والإمكان

إنّ وجود الموجودات المتحقّقة الوجود، لا يشكّ به عاقل، ويُدركه الإنسان بوجدانه من دون حاجة إلى دليل، وهذا الوجود لا يخلو عقلاً من أحد احتمالين:

الأوّل: أنْ يكون موجوداً بذاته وهذا يعني أنّه لا يحتاج إلى ما يوجده، ولذلك لا يصحّ السؤال عن علّة وجوده، لأنّه ليس له علّة حسب الفرض وهو الواجب.

والثاني: أن لا يكون وجوده بذاته بل يحتاج إلى موجود آخر يوجده، ويصحّ أنْ يُسأل عن علّة وجوده لأنّه يستحيل وجوده بدون علّة وهو الممكن.

مثال تقريبي: لو قلت: الملح مالح، فإنّ ثبوت الملوحة للملح هو على نحو الوجوب، فهو واجب الملوحة، لأنّ ملوحته ذاتيّة له ويستحيل أنْ تنفكّ عنه، فإنّ اللّه -تعالى- أوجده مالحاً من البداية، لا أنّه -تعالى- أوجد شيئاً ثمّ عرضت عليه الملوحة، ولذلك لا يصحّ السّؤال: لماذا الملح مالح؟ وأمّا لو قلت الطّعام مالح فإنّ ثبوت الملوحة للطّعام ليست ذاتيّة له، بل تتوقّف على غيره وهو الملح، ويمكن انفكاك الملوحة عن الطّعام، ويصحّ السّؤال: لماذا الطّعام مالح؟

وكذلك الحال بالنّسبة إلى وجود الواجب والممكن، فوجود الواجب بذاته، لا يحتاج فيه إلى غيره، أمّا وجود الممكن فليس بذاته، لذلك يحتاج فيه إلى غيره.

الثّاني: الدّور

وهو توقّف وجود الموجود الأوّل على الموجود الثاني، ووجود الثاني متوقّف على الأوّل، فكلّ منهما علّة لوجود الآخر، وعليه يلزم أنْ يكون كلّ واحد منهما متقدّماً لأنّه علّة، ومتأخّراً لأنّه معلول، وهذا جمع بين النقيضين وهو ممتنع بالبداهة. وبعبارة أخرى: فإنّه يلزم منه الدور، والدور باطل، وكل ما يلزم منه الدّور باطل أيضاً.

الثّالث: التسلسل

وهو عبارة عن توقّف الموجود الأوّل على الثاني، والثاني على ثالث... وهكذا لا إلى نهاية، بحيث تجتمع سلسلة من الموجودات الممكنة، كلّ واحد منها معلول للسّابق وعلّة للّاحق، مترتّبة غير متناهية. وهنا يُسأل عن العلّة الّتي أفاضت الوجود على هذه السّلسلة الممكنة، فإن كانت العلّة ممكنة كانت محتاجة إلى علّة أيضاً وهكذا لا إلى نهاية، ويلزم عدم وجود الموجودات، ولكنّ وجودها بديهي كما هو واضح. وإنْ كانت العلّة واجبة الوجود، أي: وجودها ذاتي، فقد انقطعت السّلسلة وحصل المطلوب. مثال: لو نزّلنا الموجود الممكن منزلة الصّفر، فاجتماع الممكنات بمنزلة اجتماع أصفار والّتي مهما تكاثرت لا تنتج عدداً بحكم فقرها الذاتي، فلا بدّ لها من عدد صحيح يحمل قيمة بذاته ليفيض منها على الأصفار، فتصبح حينئذ ذات قيمة.

مثال توضيحي:

لو أوقف قائدُ الجيش كلَّ جيشه في صفّ أفقي، وأصدر أمراً بإطلاق النار، لكنّه وضع شرطاً واحداً وهو: أن لا يُطلق أحدٌ النار حتّى يسمع من أطلق قبله، فإنّ الجنديّ الأوّل لا يُطلق النار حتّى يُطلق الثاني، والثاني لا يُطلق حتّى يُطلق الثالث، وهكذا، عندها لا يُطلق أحدٌ النار. إذاً لا بدّ من وجود شخص في البداية يُطلق النار من دون أيّ شرط ويعتمد على ذاته بالإطلاق، وعندها يُطلق الجميع النار.

المحصّل: إنّ فرض وجود ممكنات غير متناهية مستلزم لأحد أمرين: إمّا تحقُّق المعلول بلا علّة، وإمّا عدم وجود شيء في الخارج رأساً، وكلاهما بديهي البطلان، فالأوّل مخالف لقانون العليّة العامّ، والثّاني مخالف للوجدان.

* تقرير دليل الوجوب والإمكان

تقدّم أنّ صفحة الوجود مليئة بالموجودات الممكنة الوجود؛ بمعنى أنّها تحتاج في وجودها إلى الغير؛ أي: تحتاج إلى علّة توجدها، بدليل أنّها لم تكن موجودة ثم وجدت، وهي في حال تبدّل وتغيّر، وهو دليل الإمكان، وعليه فوجودها لا يخلو من الاحتمالات التّالية:

1. إمّا أنها وجدت من دون علّة، وهو باطل، لأنّها ممكنة الوجود، ولأنّ فرض وجودها من العدم يلزمه كون فاقد الوجود يُعطيه وهو باطل، لأنّ فاقد الشّيء لا يُعطيه.

2. وإمّا أنّ بعضها علّة للبعض الآخر، والآخر علّة للبعض الأوّل وهو باطل، للزوم الدّور الباطل بالدّليل أيضاً.

3. وإمّا أنّ البعض الأوّل علّة للثّاني، والثّاني للثّالث وهكذا لا إلى نهاية، وهذا باطل، للزوم التّسلسل الممتنع والباطل بالدليل.

4. وإمّا أنّ وجودها مفاض من موجود واجب الوجود بذاته غير محتاج لأيّ شيء، وهو المطلوب، وهذا الفرض هو الّذي يرضاه العقل ويحكم به.

* دليل الوجوب والإمكان في القرآن الكريم

لقد أشار القرآن الكريم إلى مفردات هذا الدّليل، قال -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[1].

ومعنى الآية: إنّ حقيقة (الإنسان) -الممكن- حقيقة مفتقرة لا تملك لنفسها وجوداً وتحقّقاً ولا أيّ شيء آخر، وإنّما وجودها وتحقّقها هو من خلال (الغني الحميد) واجب الوجود -تعالى-.

(1) سورة فاطر، الآية 15.

وقال -تعالى-: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾[1].

ومعنى الآية: أنّ الممكن، ومنه الإنسان، لا يتحقّق بلا علّة، ولا تكون علّته نفسه.

تنبيه: قد يقال إنّ الاعتقاد بوجود علّة غير معلولة موجودة بنفسها، يستلزم تخصيص القاعدة العقليّة القائلة: بأنّ الموجود لا يتحقَّق بدون علّة.

والجواب: إنّ القاعدة العقليّة لا تحكم على الموجود بما هو موجود بأنّه يحتاج إلى علّة، بل الحاجة إلى علّة هي من لوازم الموجود الممكن، فالقاعدة العقليّة تحكم بأنّ الموجود الممكن يحتاج إلى علّة، وليس مطلق الموجود، وهذا واضح ممّا تقدّم.

(1) سورة الطور، الآية 35.

خلاصة الدرس

- دليل النظام: هو الدليل الذي يعتمد على التأمّل في الكون والإنسان، وترتكز هذه الأدلّة على مقدّمات حسّيّة، وأخرى عقليّة.

- دليل (الوجوب والإمكان): وهو يعتمد بشكل أساس على مقدّمات عقليّة.

- يمكن إثبات المقدّمة الأولى من دليل النظام بالمشاهدة الحسّيّة، وبفضل ما وصلت إليه العلوم الطبيعيّة. ففي الكون أمثلة لا تُعدّ ولا تُحصى على النظام.

- المقصود من النظام: هو عبارة عن التناسق الموجود بين أجزاء العالَم والتوازن الحاصل بين الموجودات بشكل يتحقّق منه الغرض والغاية من وجودها على أكمل وجه.

- الوجود لا يخلو عقلاً من أحد احتمالين:

الأوّل: أن يكون موجوداً بذاته فلا يحتاج إلى موجد وهو (الواجب).

الثاني: أن يكون وجوده ليس بذاته بل يحتاج إلى علّة توجده، وهو (الممكن).

- الدور: هو توقّف وجود الأوّل على الثاني، والعكس، ولازمه أن يكون كلّ واحد منهما متقدّماً لأنّه علّة، ومتأخِّراً لأنّه معلول، وهذا جمع بين النقيضين وهو باطل.

- التسلسل: هو توقّف الأوّل على الثاني، والثاني على الثالث، وهكذا لا إلى نهاية، وهو باطل، لأنّ فرض وجود ممكنات غير متناهية مستلزم لأحد أمرين: إمّا تحقّق المعلول بلا علّة، وإمّا عدم وجود شيء في الخارج رأساً، وكلاهما باطل بديهة، فالأوّل مخالف لقانون العلّيّة العامّ، والثاني مخالف للوجدان.

أسئلة حول الدرس

1. تحدّث باختصار عن مقدّمات دليل النظام.
2. بيّن أهم وظائف دليل النظام.
3. ما هو الفرق بين الدّور والتسلسل، وما هو وجه بطلانهما؟
4. بيّن كيفية الاستدلال بدليل الوجوب والإمكان على وجوده -تعالى-.

الدرس الثالث:

الصفات السلبية والثبوتيّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى معنى الصفات السلبية.
2. يفهم معنى العلّة الموجدة وميزاتها.
3. يتعرّف إلى معنى الصفات الثبوتية.
4. يُميّز بين أقسام الصفات الثبوتية.

بعد أن تمّ إثبات وجود واجب الوجود، إلا أنّ ذلك لا يكفي لإثبات صفات الواجب، وبالتّالي فإنّ ذلك يحتاج إلى أدلّة أخرى، يعتمد بعضها على إدراك حقيقة معنى الواجب، كما سيتّضح لاحقاً.

* تقسيم الصّفات الإلهيّة

تنقسم الصّفات الإلهيّة إلى ثبوتيّة وسلبيّة، والثّبوتيّة تنقسم أيضاً إلى ذاتيّة وفعليّة.

* الصّفات السّلبيّة

الصّفات السّلبيّة: وهي الصّفات الّتي يجب تنزيه الذّات الإلهيّة عن الاتّصاف بها.

وذلك، لأنّه إمّا أن تكون الصّفة في حقيقتها وواقعها نقصاً وحاجةً، بحيث لا يمكن أن يتصوّر فيها كمال مطلق كالجسميّة مثلاً.

وإمّا أن تكون الصّفة بحدّ ذاتها كمالاً، إلّا أنّه قد شابها نوع نقص، نتيجة ارتباطها وتعلّقها بالممكنات، لكنّ العقل قادر على إدراك كمالها المطلق بعد إزالة النّقص العارض عليها، مثل: العلم والقدرة المتّصف بهما الإنسان أيضاً، فإنّه

لا يمكن وصفه -تعالى- بهما إلا بعد تجريدهما من الخصائص المقترنة بالموجود الإمكاني؛ كالمحدوديّة، وحاجتهما للمحلّ...،

مع أنّهما في اللّه -تعالى- عين ذاته المتعالية كما سيأتي.

* الدّليل على التّنزيه

بعد إثبات واجب الوجود فإنّنا نستطيع أن نستنتج أمرين:

أوّلاً: أنّه غير محتاج في وجوده لأيّ موجود آخر؛ لأنّ فرض حاجته إلى الغير تعني أنّه ممكن الوجود، وهو خلاف فرض كونه واجب الوجود.

ثانياً: أنّه علّة جميع الموجودات الممكنة الوجود، فكلّها معلولة ومحتاجة إليه.

ولكلٍّ من هاتين الصّفتين لوازم يثبت من خلالها نفي الصّفات السّلبيّة بتمامها، بل يمكن إثبات بعض الصّفات الثّبوتيّة.

وإنّ المتأمّل في معنى واجب الوجود يُدرك بشكل واضح أنّ كلّ موجود سبقه العدم أو يلحقه العدم يستحيل أن يكون وجوده ذاتيّاً؛ لأنّ العدم السّابق أو اللّاحق يعني الحاجة إلى الغير في وجوده، وبالتّالي يعني أنّه غير واجب بل هو ممكن محتاج لعلّة هي غيره، وبذلك يثبت أنّ اللّه -سبحانه- أزليّ أبديّ، أي: سرمديّ، ويثبت أنّ كلّ موجود سبقه العدم أو يلحقه العدم لا يكون واجباً.

* ليس مركّباً من أجزاء

أوّلاً: من لوازم واجب الوجود البساطة، أي عدم التّركيب من أجزاء، إذ كلّ مركّب محتاج ومفتقر إلى أجزائه، لأنّ التركيب مطلقاً يتنافى مع مفهوم واجب الوجود، المنزّه عن الحاجة مطلقاً.

ثانياً: فرض التركيب يعني قابليّة المركّب للزّوال والانعدام، لأنّ المركَّب قابل

للانقسام ولو عقلاً وإن لم ينقسم في الخارج فعلاً، وإمكان الانقسام يعني إمكان زوال الكلّ وانعدامه. وقد تمّ إثبات عدم قابليّة الواجب للزّوال والانعدام.

* ليس جسماً

بعد أن أثبتنا عدم التّركيب يثبت أنّ الله -تعالى- ليس جسماً، بل هو موجود مجرّد، وإذ ثبت استحالة كونه -تعالى- جسماً، تثبت استحالة كلّ ما يتوقّف تحقّقه على الجسميّة ويُلازمها، مثل كونه قابلاً للرّؤية والحاجة إلى المكان، والخضوع للزّمان، والحركة والتّحوّل، فإنّ جميع هذه المسائل من خصائص الجسم والجسمانيّات، وقد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم.

* العلّة

تعريف العلّة

عُرّفت العلّة في الاصطلاح بأنّها «.. **كلّ ذات يلزم منه أن يكون وجود ذات أخرى إنّما هو بالفعل من وجود هذا بالفعل، ووجود هذا بالفعل من وجود ذلك بالفعل**»[1].

وعرّفها الشيخ الطوسي: «كلّ شيء يصدر عنه أمر إما بالاستقلال أو بالانضمام فإنّه علّة لذلك الأمر، والأمر معلول له»[2].

ويمكن القول بأنّ: العلّة هي ما يؤثّر في الشيء في الوجود، والمعلول ما يتأثّر منه في الوجود.

(1) رسالة الحدود للشيخ الرئيس، ص117.

(2) العلامة الحلي، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي، مؤسسة نشر الإسلامي، إيران -قم، 1417هـ ط7، ص168.

وتنقسم العلّة إلى تقسيمات عديدة، منها

انقسامها إلى:

1. **علّة حقيقيّة أو موجِدة:** تلك التي يُعدّ وجودها ضروريّاً دائماً لوجود المعلول تُسمّى بـ «العلل الحقيقية».

2. **علّة معدَّة:** هي تلك العلّة التي لا يجب بقاؤها لبقاء المعلول «أمثال المزارع بالنسبة إلى النبات» وتُسمّى بـ «العلل المعدَّة» أو «المعدَّات».

* العلّة الموجِدة

يُطلق على واجب الوجود، مصطلح «**العلّة الموجِدة**»، بمعنى أنّه تعالى هو الموجِد للموجودات، والفاعل الحقيقي والمستقلّ لها، وغير المحتاج في إيجاده لها لأيّ شيء آخر -كما مرّ-، ويستحيل وجود علّة فاعليّة كفاعليّة الله -تعالى-، إذ كلّ فاعل سواه يحتاج في فاعليّته إلى اللَّه -تعالى-.

* ميّزات العلّة الموجِدة

وهي ميّزات يمكن استخراجها من الخصائص المذكورة لواجب الوجود (العلّة الموجِدة):

1. تمتاز العلّة الموجِدة بأنّها توجِد معلولها وتخلقه من العدم، من دون أن ينقص من وجودها شيء، وإلّا لزم الانقسام والتغيير في الذّات الإلهية، وقد ثبت بطلانه.

ويمكن تقريب هذه الميزة من خلال هذا المثال، وهو أنّ المعلّم يُقدِّم من علمه لتلامذته دون أنّ ينقص من علمه شيء، وأقرب تعبير هو أنّ عالم الوجود نور وتجلٍّ من تجليات الذّات الإلهيّة المقدّسة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1]، وهذا بخلاف الفاعل المادّي والطّبيعي الّذي لا يوجِد معلوله من العدم، بل يوجده من مادّة قبليّة فيطرأ عليه تبدّل في الصورة، وتغيير في الهيئة، ولكن مادّته الأولى والقبليّة كانت موجودة، ولذا لا يُطلق على الفاعل المادّي والطبيعي المبدِع.

2. يجب أن تشتمل العلّة الموجِدة على جميع كمالات معلولها بصورة أتمّ وأكمل، لأنّها هي الّتي تُفيض الوجود والكمال عليه، وهذا بخلاف العلل المعدّة المادّيّة، فإنّه لا يلزم اشتمالها على كمالات معلولها؛ لأنّها لا تُعطيه الوجود، بل تُقرّبه وتُعدّه لتفيض العلّة الموجِدة الوجود عليه.

3. أنّ العلّة الموجِدة يحتاج إليها معلولها في أصل وجوده وفي بقائه واستمراره، خلافاً للعلّة المعدَّة الّتي يحتاج إليها معلولها في أصل وجوده فقط، وأمّا في بقائه واستمراره فلا تحتاج إليه، فهي في الحقيقة مهيِّئة ومعدَّة لفيض الوجود من العلّة لا غير. وعليه فعالم الوجود محتاج ومفتقر إلى اللَّه -تعالى- دائماً وفي كلّ شؤون وجوده وحالاته، وإذا امتنع الخالق عن فيض الوجود عليه، فهذا يعني انعدام الوجود، وأمّا في العلل المعدَّة، كالبنَّاء الّذي يبني منزلاً، فقد يموت البنّاء إلّا أنّ المنزل يبقى على حاله.

* الصفات الثبوتيّة

الصّفات الثّبوتيّة هي كلّ صفة تُثبت كمالاً مطلقاً دون استلزامها نسبة نقص أو تحديد للذّات الإلهيّة، فكلّ صفة تحمل هذه الخصائص يجب إثباتها لله -تعالى-.

وتنقسم الصّفات الثبوتية إلى قسمين هما:

1 - الصّفات الذّاتيّة.
2 - الصّفات الفعليّة.

(1) سورة النور، الآية 35.

1. الصّفات الذّاتيّة

وهي مفاهيم منتزعة من مقام الذّات الإلهيّة بلحاظ وجدانها لنوع من أنواع الكمالات، وأهمّ الصّفات الذّاتيّة: الحياة، العلم، القدرة.

ومن خصائصها أنّه ليس لها وجود غير وجود الذّات، بل هي عين الذات، فهي واحد وجوداً ومصداقاً، والاختلاف بينها على مستوى المفهوم فقط، والاختلاف المفهومي كافٍ في المغايرة، ولا يلزم منه التكثّر في الذات.

2. الصّفات الفعليّة

وهي مفاهيم تُنتزع من نوع علاقة وارتباط بين الله -تعالى- ومخلوقاته، فهي مفاهيم إضافيّة تُمثّل الله -تعالى- والمخلوقات طرفي الإضافة فيها، كالخالقيّة والرازقيّة وغيرها، وليس لفعل الخالقيّة وجود عينيّ، فالموجود فعلاً هما طرفا الإضافة، أيّ: الله -تعالى- والمخلوقات لا غير، وأمّا (الخلق) كـ (فعل) فهو مفهوم إضافيّ نسبيّ يُنتزع من مقام الفعل لا غير.

* إثبات الصّفات الذّاتيّة

لإثبات الصّفات الذّاتيّة دليل عامّ يجري فيها جميعاً، إضافة إلى أنّ لكلّ صفة أدلّة خاصّة بها يأتي بيانها، والدّليل العامّ هو القاعدة البديهيّة القائلة: إنّ فاقد الشّيء لا يُعطيه، وبيانه:

إنّ هذه المفاهيم أي: -الحياة والعلم والقدرة- حينما تُستخدم في المخلوقات، تُعبّر عن كمالاتها، فيلزمها إذاً أن توجد بمرتبتها الكاملة في العلّة الموجِدة، إذ كلّ كمال يوجد في أيّ مخلوق، فهو مستمدّ من اللَّه -تعالى-، لأنّه العلّة الموجِدة، فلا بُدَّ أنْ يكون اللَّه -تعالى- الخالق واجداً له، حتّى يمكنه إفاضته وإعطاءه للمخلوق، ولا يمكن لمن يخلق الحياة أن يكون فاقداً لها، أو لمن يفيض العلم والقدرة للمخلوقات أن يكون جاهلاً عاجزاً، لأنّ فاقد الشّيء لا يُعطيه.

إذاً فوجود هذه الصّفات الكماليّة في بعض المخلوقات دليل على وجودها في الخالق -تعالى-، ولكن من دون أن يكون فيها نقص أو تحديد، أي أنّ اللَّه -تعالى- يتوفّر على الحياة والعلم والقدرة اللّامتناهية.

1. العلم

مفهوم العلم من أكثر المفاهيم وضوحاً وبداهة، ولكنّ مصاديق هذا المفهوم الّتي نعرفها في المخلوقات، هي مصاديق ناقصة محدودة، ومفهوم العلم بهذه الخصائص الّتي تتّصف بها المخلوقات ككونه زائداً على الذات مثلاً لا يُمكن أنْ يصدق على اللَّه -تعالى-، ولكنّ العقل -وكما ذكر سابقاً- يُمكنه أنْ يتصوّر لهذا المفهوم الكمالي مصداقاً ليس فيه أيّ نقص أو تحديد، وهو عين ذات العالم، وهذا هو العلم الذّاتي للَّه -تعالى-.

ويُمكن إثبات علم اللَّه -تعالى- -بالإضافة للدليل العامّ المتقدِّم- من طرق عديدة نكتفي بواحد منها، وهو: الاستعانة على إثبات ذلك بدليل النّظام[1] حيث سبق القول إنّ الأثر يدلّ على المؤثّر وعلى جملة من خصوصيّاته، فإنّ أيّ ظاهرة أو مخلوق كلّما ازداد دقّة وإحكاماً وإتّقاناً في النّظام، ازداد دلالة على علم خالقه، كما هو الملاحظ في الكتاب العلمي، أو القصيدة الرّائعة، حيث تدلّ على مدى ما يملكه مبدعها من ثقافة وذوق وخبرة، ولا يمكن لعاقل أن يتصوّر أنّ الكتاب العلميّ أو الفلسفي قد كتبه شخص جاهل غير مثقّف. إذاً فكيف يحتمل أن يخلق هذا الكون العظيم بكل ما فيه من أسرار ونظام مدهشٍ موجودٌ غير عالم!

إشارة: إنّ للاعتقاد والإيمان بالعلم الإلهي وسعته دوراً كبيراً في بناء شخصيّة الإنسان، ولذلك كان تأكيد القرآن الكريم وتشديده على هذه الحقيقة، ومن الآيات الشّريفة في ذلك قوله -تعالى-: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[2].

---

(1) وقد تقدم شرحه في أدلّة إثبات وجود اللَّه -تعالى-.

(2) سورة غافر، الآية 19.

2. القدرة

تُطلق القدرة على الفاعل الّذي يؤدّي عمله بإرادته واختياره. إذاً فالقدرة عبارة عن: كون الفاعل المختار هو المبدأ والمصدر لأفعاله. وكلّما كان الفاعل أكثر تكاملاً من حيث المرتبة الوجوديّة كان أكثر قدرة؛ لأنّ الوجود هو منبع الكمال، وبطبيعة الحال فالموجود الّذي يتوافر على الكمال اللّامتناهي له قدرة غير محدودة، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1]، ويُعدّ وجود النّظام، والإتقان، والإحكام دليلاً على قدرة اللَّه -تعالى-.

* تنبيهات حول القدرة

بمناسبة الكلام عن القدرة يجب التأكيد على عدد من الملاحظات:

أ. إنّ الشيء الّذي تتعلّق به القدرة لا بُدَّ أنْ يكون ممكن التّحقّق، لأنّ الشّيء المحال في ذاته[2]، أو المستلزم للمحال[3]، لا تتعلّق به القدرة، وهذا ليس من جهة قصور القدرة في الفاعل، بل من جهة عدم قابليّة المستحيل للتحقّق، وإلّا لما كان مستحيلاً، كوجود إله آخر، أو أن يُخلق الابن قبل أبيه. وبعبارة علميّة «إنّ العجز في قابليّة القابل لا في فاعليّة الفاعل». وقد جاء في الرواية أنّه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: «**هل يقدر ربّك أن يُدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة؟ قال: إنّ الله -تبارك وتعالى- لا يُنسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون**»[4].

ب. إنّ القدرة على كلّ شيء لا تُلزم صاحبها أن يُحقّقَ كلّ الأعمال الّتي يقدر

---

(1) سورة البقرة، الآية 20.
(2) المحال في ذاته: هو ما كان نفس فرضه محال، كشريك -الباري تعالى-، واجتماع النقيضين وارتفاعهما.
(3) المستلزم للمحال: هو ما كان نفس فرضه ليس بمحال، ولكن بما أنه يستلزم المحال، فيصبح محالاً، لأنّ المستلزم للمحال محال، ومثاله: تفويت المصلحة على العبد من قِبل اللَّه -تعالى- أو إلقائه في المفسدة، إذ إنّ هذه الأمور يمتنع صدورها من الحكيم لا أنّها مستحيلة ذاتاً.
(4) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، التوحيد، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران -قم، لا.ت، لا.ط، ص130.

عليها، وإنّما يُحقّق الأعمال الّتي يريدها، واللَّه -تعالى- حكيمٌ لا يريد إلّا الأفعال الصّالحة والحكيمة، ولا يُحقّق إلّا مثل هذه الأعمال، وإن كان قادراً على الأعمال القبيحة والمنكرة أيضاً فإن لم يفعل القبيح والمنكر كالظلم والتكليف بما لا يُطاق، فليس لأنّه غير قادر، بل لأنّ فعل القبيح منافٍ للحكمة والكمال اللامتناهي. وسيأتي الكلام حول الحكمة الإلهيّة.

ج. إنّ القدرة بالمعنى الّذي ذكرناه، متضمّنة للاختيار أيضاً، فكما أنّ الله -تعالى- يملك أكمل مراتب القدرة وأرقاها، كذلك يملك أكمل مراتب الاختيار، ولا يمكن لأيّ عامل أو ظرف أن يقهره ويُجبره على القيام بعمل، أو أن يسلب منه الاختيار؛ وذلك لأنّ وجود كلّ موجود وقدرته مستمدّة منه -تعالى-، ولا يمكن أن يكون مقهوراً للقوى والقدرات الّتي أفاضتها ذاته -تعالى- لغيره.

3. الحياة

لا شك أنّ الحياة النباتية غير الحياة الحيوانية في الكيفية، وهكذا سائر المراتب العليا للحياة. ولكن ذلك لا يجعل كلمة الحياة لفظاً ذا معانٍ متعدّدة، وإنما هو لفظ ذو معنى واحد.

توضيحه: إنّ الحياة المادّية في النبات والحيوان والإنسان -بما أنّه حيوان تقوم بأمرين، هما عبارة عن:

الأول: الفعل والانفعال، والتأثير والتأثّر[1]. ويمكن أن نرمز إلى هذه الخصيصة بـ «**الفعالية**».

(1) في نظر علماء الطبيعة تلازم الحياة الآثار التالية في الموصوف بها: 1 - الجذب والدفع. 2 - النمو والرشد. 3 - التوالد والتكاثر. 4 - الحركة وردة الفعل. وهذا التعريف للحياة إنّما يشير إلى آثار الحياة لا إلى بيان حقيقتها، وهي آثار مشتركة بين أفراد الحي ومع ذلك كله نجد البعد الشاسع بين الحياة النباتية والحياة البشرية. فالنبات الحي يشتمل على الخصائص الأربع المذكورة، ولكن الحياة في الحيوان تزيد عليها بالحس والشعور. وهذا الكمال الزائد المتمثّل في الحس والشعور لا يجعل الحيوان مصداقاً مغايراً للحياة، بل يجعله مصداقاً أكمل لها. كما أنّ هناك حياة أعلى وأشرف وهي أن يمتلك الكائن الحي مضافاً إلى الخصائص الخمس، خصيصة الإدراك العلمي والعقلي والمنطقي، وعلى ذلك فالخصائص الأربع قدر مشترك بين جميع المراتب الطبيعية وإن كانت لكل مرتبة من المراتب خصيصة تمتاز بها عما دونها.

الثاني: الحسّ والإدراك بمعناه البسيط. ولا شك أنّه متحقّق في أنواع الحياة الطبيعية حتى النبات. فقد كشف علماء الطبيعة عن وجود الحس في عموم النباتات، وإن كان القدماء من العلماء الطبيعيين يقولون بوجوده في بعضها كالنخل وغيره. ويمكن أن نرمز إلى هذه الخصيصة بـ «**الدراكية**».

فتصبح النتيجة أنّ مقوّم الحياة في الحياة الطبيعية بمراتبها المختلفة هي الفعالية والدراكية، بدرجاتهما المتفاوتة ومراتبهما المتكاملة. نعم، لا يصح أن تُطلق الحياة على النبات والحيوان إلا بالتطوير لوجود البون الشاسع بين الحياتين، فالذي يُصحّح الإطلاق والاستعمال بمعنى واحد هو عملية التطوير بحذف النواقص والشوائب الملازمة لما يُناسب كلًّا من النبات والحيوان.

وعلى أساس ما تقدّم يصحّ إطلاق الحياة على الإنسان، بما هو إنسان لا بما هو حيوان، والمصحّح للإطلاق هو عملية التطوير، فأين الفعل المترقّب من الحياة العقلية في الإنسان من فعل الخلايا النباتية والحيوانية! وأين درك الإنسان للمسائل الكلية والقوانين الرياضية من حس النبات وشعور الحيوان! ومع هذا البون الشاسع بين درجات الحياة، نصف الكل بالحياة، ونُطلق «**الحي**» بمعنى واحد عليها. وليس ذاك المعنى الواحد إلا كون الموجود «**فعّالاً**» و «**درّاكاً**» ولكن فعلاً ودركاً متناسباً مع كل مرتبة من الحياة. وباختصار، إنّ ملاك الحياة الطبيعية هو الفعل والدرك، وهو محفوظ في جميع المراتب، ولكن بتطوير وتكامل.

فإذا صحّ إطلاق الحياة بمعنى واحد على تلك الدرجات المتفاوتة، صحّ إطلاقها على الموجودات الحيّة العلوية لكن بنحو متكامل. فاللّه -سبحانه- حيٌّ بالمعنى الذي تُفيده تلك الكلمة، لكن حياة مناسبة لمقامه الأسمى، بحذف الزوائد والنواقص والأخذ بالنخبة والزبدة واللب والمعنى، فهو سبحانه حيٌّ أي «**فاعل**» و «**مدرِك**»، نعم لا كفاعلية الممكنات وإدراكها.

* دليل حياته -سبحانه-

لا نحتاج في توصيفه سبحانه بالحياة إلى برهان بعد الالتفات إلى أمرين:

الأول: إنّه قد ثبت بالبرهان أنّه سبحانه عالم وقادر.

الثاني: إنّ حقيقة الحياة في الموجودات العلوية، لا تخرج عن كون المتصف بها فاعلاً ومدركاً.

فإذا تقرّر هذان الأمران تكون النتيجة القطعية أنّه سبحانه، بما أنّه عالم وقادر، درّاك وفعّال، فهو حيّ، حياة تناسب كماله المطلق[1].

(1) انظر: السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران -قم، لا.ت، لا.ط، ج1، ص157-153.

خلاصة الدرس

- الصفات السلبيّة: هي الصفات الّتي يجب تنزيه الذّات الإلهيّة عن الاتصاف بها، وذلك حتّى لا يلزم نسبة النقص والحاجة إليه -تعالى-.

- إنّ واجب الوجود يعني أنّه غير مسبوق بعدم ولا يلحقه عدم، لأنّ العدم السابق واللاحق يعني الحاجة إلى الغير في وجوده، وهو خلاف كونه واجب الوجود.

- ومن لوازم واجب الوجود أنّه غير مركّب، لأنّ المركّب محتاج إلى أجزائه، وينعدم بانعدامها، وقد تمّ إثبات عدم حاجة الواجب وعدم قابليّته للزوال.

ومن لوازم عدم التركيب نفي الجسميّة عنه وما يُلازمها من الرؤية والحاجة إلى المكان، والخضوع للزمان، والحركة والتحوّل.

من مميّزات العلّة الموجِدة أنّها توجد معلولها من العدم، من دون أن ينقص من وجودها شيء.

- الصفات الثبوتيّة: هي كلّ صفة تُثبت كمالاً مطلقاً للذّات الإلهيّة، وهي على قسمين: الصفات الذاتيّة والصفات الفعليّة.

- الصفات الذاتيّة: هي الصفات المنتزعة من مقام الذّات الإلهيّة، بغضّ النظر عن العلاقة مع المخلوق، كالعلم والقدرة والحياة.

- الصفات الفعليّة: هي الصفات المنتزعة من نوع علاقة بين الله -تعالى- ومخلوقاته، كالخالقيّة والرازقيّة.

- يمكن إثبات علِم اللَّه -تعالى- من خلال مخلوقاته البديعة الّتي تدلّ على الخالق العالِم.

أسئلة حول الدرس

1. ما هي الصّفات السلبيّة؟
2. ما هي ميّزات العلّة الموجِدة؟
3. عرّف الصّفات الذاتيّة، والفعليّة.
4. ما هو الدليل العام لإثبات الصّفات الذاتيّة؟

الدرس الرابع:

الصفات الفعليّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرف إلى معنى الصفات الفعلية.
2. يُدرك بعض الصفات الفعلية.
3. يتعرّف إلى معنى الحكمة الإلهية.
4. يُدرك معنى الكلام والصدق الإلهي.

* تمهيد

تقدّم في الدّرس السّابق أنّ الصّفات الفعليّة عبارة عن المفاهيم الّتي تُنتزع من مقارنة الذّات الإلهيّة بمخلوقاتها من خلال ملاحظة نسبة وإضافة ورابطة معيّنة بينهما، وأنّ الخالق والمخلوق يُمثّلان طرفي الإضافة، أمثال مفهوم «**الخالقيّة**»، الّذي يُنتزع من ملاحظة ارتباط وجود المخلوقات باللَّه -تعالى-، وإذا لم يُلاحظ هذا الارتباط بينهما لم يمكن انتزاع هذا المفهوم. وكذلك الرزّاق، والغفّار، والرّب، وغيرها الكثير من الصفات الفعلية[1].

* الخالقيّة

بعد إثبات واجب الوجود، وأنّه العلّة الأولى لوجود الموجودات الممكنة، وبملاحظة أنّها جميعاً محتاجة في وجودها إلى اللَّه -تعالى-، تُنتزع من ذلك صفة

(1) ينبغي التّنبيه إلى أنّه حينما تتصوّر الرّابطة بين اللَّه -تعالى- والموجودات المادّيّة، وعلى ضوئه تنتزع الصّفة الفعليّة المعيّنة للَّه -تعالى-، فإنّ هذه الصّفة سوف تتحدّد ببعض القيود الزّمانيّة والمكانيّة، بلحاظ تعلّقها بالموجودات الممكنة الوجود والمقيّدة والناقصة والّتي تمثّل أحد طرفي الإضافة، وإن كانت هذه الصّفة بلحاظ تعلّقها باللَّه -تعالى- الّذي يمثّل الطّرف الآخر للإضافة منزّهة عن مثل هذه القيود والحدود. فإنّ إفاضة الرّزق إلى الشّخص مثلاً، إنّما تتمّ في ظرف زماني ومكاني معيّنين، ولكنّ هذه القيود والحدود في واقعها متعلّقة بذلك الشّخص المرتزق، لا بالرّازق. وتبقى الذّات الإلهيّة مطلقة ومنزّهة عن أيّ نسبة زمانيّة ومكانيّة؛ لأنّ هذه القيود والحدود لا تمسّ الذّات فلا تتغيّر ولا تتقيّد. وهذه الملاحظة تُعتبر المفتاح لمعالجة الكثير من الشّبهات الّتي أُثيرت في موضوع معرفة الصّفات والأفعال الإلهيّة، وأدّت إلى النّزاعات بين العلماء والمفكّرين.

الخالقيّة لواجب الوجود، والمخلوقيّة للممكنات. ومفهوم «**الخالق**» الّذي يتوصّل إليه من خلال هذه العلاقة الوجوديّة مساوٍ للعلّة الموجِدة، وكلّ الموجودات الممكنة المحتاجة الّتي تُمثّل طرف الإضافة متّصفة بصفة المخلوقيّة. ونفس وجود المخلوقات، دليل خالقيّته -تعالى- وإن لم يكن محتاجاً إلى الحركة والفعل في إيجاده -كما هو الحال في فعل الإنسان الّذي يحتاج في إيجاد وخلق أيّ شيء إلى توسّط مادّة أو أشياء أخرى- لأنّه -تعالى- منزّه عن خصائص الموجودات الجسمانيّة. قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وقد أشارت الرّوايات إلى أنّه لا يتوسّط بين إرادته -تعالى- ومراده أيّ شيء حتّى القول، فإنّه -تعالى- إذا أراد شيئاً كان.

* الرّبوبيّة

إنّ المخلوقات كما تحتاج إلى اللَّه -تعالى- في أصل وجودها كذلك تفتقر إليه في كلّ شؤونها الوجوديّة، وليست لها أيّ استقلاليّة عنه -تعالى-، وله -تعالى- التّصرّف فيها بما يشاء، ويُدبّر أمورها بما يريد. وحين نُلاحظ هذه الرّابطة بصورة عامّة، ننتزع منها مفهوم «**الرّبوبيّة**» الذي من لوازمه تدبير الأمور، وله مصاديق عديدة، كالحافظ، والمحيي والمميت والرّازق والآمر والناهي وأمثالها، لأنّها جميعاً من شؤون الرّبوبيّة والتّدبير.

* الرّبوبيّة التكوينية والتشريعية

ويمكن تقسيم الأمور المرتبطة بالرّبوبيّة إلى مجموعتين:

1. **الرّبوبيّة التّكوينيّة:** وهي الّتي تشمل تدبير الأمور لكلّ الموجودات -سواء العاقلة منها وغيرها- وتأمين احتياجاتها، وبكلمة واحدة «**تدبير العالم**».

(1) سورة يس، الآية 82.

2. **الرّبوبيّة التشريعيّة:** وتعني تدبير شؤون الموجود بواسطة التّشريعات من الأمر والنهي وغيرهما، وهي مختصّة بالموجودات الّتي تمتلك الشّعور والاختيار، وذلك بواسطة بعث الأنبياء عليهم السلام، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب السّماويّة، وتعيين الوظائف والتّكاليف، ووضع الأحكام والقوانين.

إذاً فالرّبوبيّة الإلهيّة المطلقة تعني: أنّ المخلوقات في كلّ شؤونها الوجوديّة مرتبطة باللَّه -تعالى-، وأنّ العلاقات والرّوابط بينها تنتهي بالتّالي إلى ارتباطها بالخالق، وهو -تعالى- الّذي يُدبّر بعض المخلوقات بواسطة البعض الآخر، وهو الّذي يُفيض الرّزق من خلال مصادر الرّزق الّتي يوفّرها ويخلقها، وهو الّذي يهدي الموجودات الّتي تملك الشّعور من طريق الوسائل الداخليّة (كالعقل وسائر القوى الإدراكيّة) والوسائل الخارجيّة (كالأنبياء عليهم السلام والكتب السّماويّة)، وهو الّذي يضع للمكلّفين الأحكام والقوانين، ويضع الوظائف والتّكاليف. وجميع ما ذكر هو من شؤون ووظائف الرّبوبيّة والتّدبير.

توضيح ذلك: إنّه -تعالى- كما أراد وجود الكون والإنسان فوجدا، أراد الصّلاة والطّاعات فأمر بها، فكلاهما مراد للمولى، إلّا أنّ الأوّل أراده بالإرادة التّكوينيّة، والثّاني بالإرادة التّشريعيّة، والفرق بينهما أنّ الوجود والتحقق -في الأولى- خارجاً لا يختلف ولا يتخلّف، ولا يتوقّف على شيء سوى إرادة المولى للإيجاد ولو من خلال إرادته للسّبب التّكويني الاضطراري. وهذا نوع تدبير تكويني.

بينما تحقّق الفعل خارجاً -في الثّانية- متوقّف على اختيار العبد وإرادته؛ لأنّ إرادته -تعالى- تعلّقت بالفعل الصّادر عن اختيار عبده وإرادته.

* الخالقيّة دليل الربوبيّة

لو تمَّ التأمّل بدقّة في مفهوم الخالقيّة والرّبوبيّة، سيتّضح أنّ هناك تلازماً بين هاتين الصّفتين، ويستحيل أن يكون ربُّ الكون غيرَ الخالق له، بل إنّ الّذي

خلق المخلوقات بتلك الخصائص المعيّنة والعلاقات فيما بينها، هو الّذي يُحافظ عليها ويُدبّرها، وفي الواقع إنّ مفهوم الرّبوبيّة والتّدبير منتزع من كيفيّة خلق المخلوقات ومراعاة انسجامها وتكاملها مع بعضها، «**فالخلق والرّبوبيّة متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، لأنّ الخلق تدبير بلحاظ، والتّدبير خلق بلحاظ آخر**»؛ ولذلك يمكن بوضوح جعل الخالقيّة دليلاً على الربوبيّة بكلّ شؤونها وأنواعها.

* الألوهيّة

إنّ «**الإله**» بمعنى «**المعبود**» أو «**الّذي يستحقّ العبادة والطّاعة**»، وعلى ضوء هذا المعنى، فإنّ الألوهيّة صفة تُنتزع من خلال تصوّر إضافة عبادة العباد وطاعتهم للّه -تعالى-، فإنّ الضّالين وإن اتّخذوا آلهة باطلة لهم، ولكنّ الّذي يستحقّ العبادة والطّاعة هو اللّه -سبحانه-، لأنّ استحقاق العبادة يُعدّ نتيجة طبيعيّة ولازمة لكونه خالقاً وربّاً مدبّراً. وهذه الدرجة من الاعتقاد هي الحدّ الأدنى الّذي يلزم توفّره في كلّ إنسان بالنّسبة إلى الاعتقاد باللّه -تعالى-، أي: بالإضافة إلى إيمانه بأنّ اللّه -سبحانه- واجب الوجود، وأنّه الخالق والمدبّر، ومن يخضع العالم لإرادته، يلزم عليه أيضاً أن يؤمن بأنّه الّذي يستحقّ العبادة والطّاعة. ومن هنا أخذ هذا المفهوم في شعار الإسلام (لا إله إلّا اللّه).

* الحكمة

يتّصف الفاعل بالحكمة بلحاظ كون أفعاله ذات غاية وهدف في مقابل العبث واللّغو.

إنّ الإرادة الإلهيّة لا تتعلّق بإيجاد الشّيء عبثاً وجزافاً وبدون حكمة، بل ما تتعلّق به الإرادة الإلهيّة أصالة هو جهة الكمال والخير في الأشياء، إلّا أنّ تزاحم

الماديّات فيما بينها، يؤدّي إلى عروض النّقص والضّرر على بعضها بفعل بعضها الآخر؛ ولذلك فإنّ المحبّة الإلهيّة للكمال تقتضي أن يوجد المجموع بشكل يترتّب عليه الخير والكمال الأكثر والأغلب، ومن ملاحظة هذه العلاقات والرّوابط يتوصّل إلى انتزاع مفهوم «**المصلحة**»، وإلّا فإنّ المصلحة ليس لها وجود مستقلّ عن وجود المخلوقات، له تأثيره في وجودها، حتّى يكون له تأثيره في الإرادة الإلهيّة، أي: ليس هناك وجود خارجي مستقلّ يُسمّى بـ «**المصلحة**» يؤثّر في وجود المخلوقات فضلاً عن القول بتأثيره في الإرادة الإلهيّة.

والحاصل: إنّ الأفعال الإلهيّة إنّما تنشأ من صفاته الذّاتيّة كالعلم والقدرة وحبّه للكمال والخير؛ لذلك فإنّ هذه الأفعال لا يمكن أن تكون فاقدة للمصلحة، وإنّما تتحقّق دائماً متوفّرة على المصلحة، أي: يترتّب عليها الخير والكمال الغالب، ويُعبّر عن مثل هذه الإرادة بـ «**الإرادة الحكيمة**»، ومن هنا تُنتزع صفة لله -تعالى- من الصّفات الفعليّة تُسمّى بصفة «**الحكيم**».

* تنبيه حول الغاية الأصلية والغاية الثانوية

يجب التأكيد على أنّ القيام بفعل لأجل المصلحة، لا يعني أنّ المصلحة هي العلّة الغائيّة للّه -تعالى-، بل إنّ المصلحة تُعتبر هدفاً ثانويّاً وتبعيّاً، وأمّا الغاية الأصليّة لأفعال اللَّه -جلّ وعلا-، فهي حبّه للكمال اللّامتناهي الذّاتي الّذي يتعلّق بالتّبع بآثاره؛ أي بكمال الموجودات، ومن هنا قالوا إنّ العلّة الغائيّة للأفعال الإلهيّة هي العلّة الفاعليّة نفسها[1]، وليس للّه -تعالى- غاية مستقلّة وزائدة على ذاته،

(1) - تقسّم العلّة باعتبار مساهمتها في إيجاد المعلول المادّي إلى:
1. العلّة الماديّة: أو العنصر الّذي يشكّل الأرضيّة لظهور المعلول، وهو باق في ضمنه مثل العناصر المكوّنة للنباتات.
2. العلّة الصّوريّة: وهي عبارة عن الصورة والفعليّة الّتي توجد في المادّة وتصبح منشأ لظهور آثار جديدة فيها، مثل الصورة النباتية.
3. العلّة الفاعليّة: أي الّتي يوجد منها المعلول مثل الذي يوجد الصورة في المادّة.
4. العلّة الغائيّة: أي ذلك الدافع في الفاعل لإنجاز الفعل، مثل الهدف الّذي يأخذه الإنسان بعين الاعتبار لأفعاله الاختياريّة وهو يقوم بأفعاله لأجل الوصول إليها. (انظر: اليزدي، العلامة محمد تقي المصباح، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج2، ص14).

ولكنّ هذه الفكرة لا تتنافى واعتبار الكمال والخير والمصلحة في الموجودات غايةً فرعيّة وتبعيّة، ولذلك علّلت الأفعال الإلهيّة في القرآن الكريم ببعض الأمور والغايات الّتي تنتهي إلى كمال المخلوقات وخيرها وتعود فائدتها للمخلوق نفسه. فقد ذكرت الآيات القرآنيّة أنّ الامتحان والابتلاء واختيار أفضل الأعمال، وعبادة اللَّه -سبحانه-، والوصول إلى الرّحمة الخاصّة الأبديّة الإلهيّة[1] هي الأهداف والغايات لخلق الإنسان. وكلّ واحدة من هذه الغايات ممهّدة للغاية الأخرى، على التّرتيب المذكور.

* الكلام الإلهيّ

ومن الصفات الّتي يتّصف بها اللَّه -تعالى- صفة التكلّم -وقد بحث منذ زمن بعيد حول الكلام الإلهيّ بين المتكلّمين، حتّى قيل: إنّ السّبب في تسمية هذا العلم بـ(علم الكلام) هو خوض أصحاب هذا العلم في البحث حول الكلام الإلهيّ- حيث اعتبرته الأشاعرة من الصّفات الذّاتيّة، بينما اعتبرته المعتزلة من الصّفات الفعليّة. وقد وقع نزاع شديد بين هذين المذهبين حول: هل إنّ القرآن، وهو كلام اللَّه -سبحانه-، مخلوق أم غير مخلوق؟ وقد وصل الأمر بينهما إلى حدّ التّكفير، بسبب اختلاف الآراء في هذا الموضوع.

ومع ملاحظة التّعريف الّذي ذُكر للصّفات الذّاتيّة والصّفات الفعليّة يظهر بوضوح: أنّ التكلّم من صفات الفعل، حيث يتوقّف انتزاعه على تصوّر مخاطَب يتلقّى مقصود المتكلّم ومراده بواسطة سماع صوت، كما قال -تعالى-: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[2]، أو رؤية كتابة، أو خُطور مفهوم في ذهنه، أو بأيّة صورة

(1) لاحظ الآيات التالية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ سورة هود، الآية 7، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ سورة الملك، الآية2، ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ سورة الكهف، الآية 7.

(2) سورة النساء، الآية 164.

وطريقة أخرى، وفي الواقع إنّ مفهوم المتكلّم يُنتزع من الرّابطة بين اللّه -تعالى- الّذي يريد أن يكشف عن حقيقة معيّنة لموجود آخر، ومخاطَب يُدرك تلك الحقيقة ويتلقّاها. وأمّا القرآن الكريم، بمعنى هذه الكلمات المكتوبة أو الألفاظ أو المفاهيم الموجودة في الأذهان. وما ذُكر من التأويلات حول الكلام الإلهي والقرآن الكريم بعيدة عن الفهم العرفي للمحاورات، ويلزم تجنّبها.

* الصّدق

والكلام الإلهيّ إذا تضمّن الأمر والنهي والإنشاء، فإنّه يُحدّد بتلك العبارات الأحكام والوظائف العمليّة للعباد، ولا يُمكن اتّصافه بالصّدق والكذب؛ لأنّ الإنشاء لا يتّصف بالصّدق والكذب أساساً، ولكن لو تضمّن الإخبار عن الحقائق الموجودة، أو الأحداث الماضية والمستقبَلة، فيتّصف بالصّدق كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[1]. وبإثبات هذه الصّفة يؤسّس لنوع آخر من الاستدلال، هو «الاستدلال النّقلي والتّعبّدي» لإثبات المسائل الفرعيّة للنّظرة الكونيّة (المسائل العقائدية الفرعية)، وإثبات الكثير من مسائل الإيديولوجيا (فروع الدّين).

* الدليل على لزوم كونه -تعالى- صادقًا

ويمكن إقامة الدليل العقلي لإثبات هذه الصفة: إنّ كلام اللّه -سبحانه- إنّما هو من شؤون الرّبوبيّة الإلهيّة وتدبير الكون والإنسان، ويعتمد على أساس العلم والحكمة، ولتوجيه المخلوقات وهدايتها، وتوفير الوسيلة لنقل المعلومات والمعارف الصحيحة للمخاطَبين، فإذا احتمل فيه الكذب والمخالفة للواقع، فسيؤدّي إلى عدم الوثوق بكلّ هذه المسائل، وبالتّالي عدم الاعتماد عليها، ولازمه نقض الغرض، وهو مخالف للحكمة الإلهيّة.

(1) سورة النساء، الآية 87.

بالإضافة إلى أنّ الكذب نقصٌ، وقد تقدّم إثبات تنزّهه -تعالى- عن كلّ نقص.

تنبيه: ينبغي الإشارة إلى أنّ الصّفات الفعليّة قد تُلحظ من حيث مبادئ نشوئها، فتُؤوّل وترجع إلى الصّفات الذّاتيّة، كما في الخالقيّة إذا فُسّرت بالقادر على الخلق فيرجع إلى صفة القدرة، والسّميع والبصير لو فسّرناهما بالعالم بالمسموعات والمبصرات فتُؤوّل إلى العلم.

خلاصة الدّرس

- صفة الخالقيّة للَّه -تعالى-: تُنتزَع من كونه واجب الوجود والعلّة الأولى لوجود الموجودات الممكنة، وبملاحظة أنّها جميعاً محتاجة في وجودها إلى اللَّه -تعالى-.

- صفة الربوبيّة: تعني أنّ المخلوقات كما تحتاج إلى اللَّه -تعالى- في أصل وجودها كذلك تفتقر إليه في كلّ شؤونها، فله -تعالى- التصرّف فيها بما شاء، ويُدبّر أمورها بما يُريد.

- الربوبيّة التكوينيّة: وتعني تدبير أمور الموجودات جميعاً وتأمين احتياجاتها. ولو من خلال بعض الموجودات الأخرى كالملائكة وغيرها.

- الربوبيّة التشريعيّة: وتعني تدبير شؤون الموجودات التي تمتلك الشعور والاختيار بواسطة التشريعات المختصّة.

- إنّ القيام بفعل لأجل المصلحة، لا يعني أنّ المصلحة هي العلّة الغائيّة لله -تعالى-، بل إنّ المصلحة تُعتبر هدفاً ثانويّاً وتبعيّاً، وليس لها وجود مستقلّ يؤثّر على إرادة اللَّه -سبحانه-.

- الغاية الأصليّة لفعل اللَّه -تعالى- هي حبّه للكمال اللامتناهي الذاتي، الّذي يتعلّق بالتبع بآثاره، أي بكمال الموجودات.

- إنّ التكلّم من صفات الفعل، حيث يتوقّف انتزاعه على تصوّر مخاطَب يتلقّى مقصود المتكلّم ومراده بواسطة سماع صوت أو رؤية كتابة أو خطور مفهوم في ذهنه، أو بأيّة صورة أخرى.

أسئلة حول الدرس

1. كيف ننتزع صفة الخالقيّة للّه -تعالى-؟

2. ما هو معنى الربوبيّة، وما الفرق بين الرّبوبيّة التكوينيّة والربوبيّة التّشريعيّة؟

3. ما هو معنى الحكمة، وما المقصود من وصفه -تعالى- بالحكيم؟

4. حدّد الغاية الأصليّة للّه -تعالى- من إيجاده المخلوقات.

الدرس الخامس:

التوحيد والشرك

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى بعض عوامل الشرك.
2. يُدرك معنى الولاية التكوينية.
3. يتعرّف إلى الدليل على التوحيد في الصفات.
4. يُدرك نتائج التوحيد الأفعالي.

* عوامل الشّرك وأنواعه

ثمّة عوامل متعدّدة أدّت إلى ظهور الشرك بين الناس، ومنها:

- مشاهدة تنوّع الظّواهر الكونيّة، فاعتقد بعض الناس أنّ كلّ نوع خاضع لتدبير إله معيّن، واعتقد بعضهم بأنّ الخيرات مستندة لإله الخير، والشرور مستندة لإله الشرّ، ومن هنا قالوا بوجود مبدأين وإلهين للعالم وهم الثنويّة.
- ارتباط الناس الشديد بالمحسوسات، ورغبتهم في معبود محسوس، مما دفعهم إلى صناعة تماثيل وأصنام تُمثّل الإله المفترض، ثمّ اكتسبت هذه الأصنام أصالة وأصبحت آلهة بنظرهم.
- استغلال الجبابرة والطّغاة لهذه الأفكار المنحرفة، ليُضفوا على أنفسهم لوناً من الأُلوهيّة والرّبوبيّة، ليتحكّموا في رقاب النّاس دون أيّ رادع.

إنّ الشرك يرتكز في الغالب على الاعتقاد بربوبيّة مستقلّة لموجود آخر غير اللّه -تعالى-، مع اعتقاد الكثير من المشركين بالتّوحيد في الخالقيّة، ومن هنا قالوا بوجود آلهة عديدة مهمّتها فقط تدبير الكون والتصرّف فيه بصورة مستقلّة، وأمّا الخالق فهو واحد وسمّوه «ربّ الأرباب» قال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1] .

(1) سورة الزخرف، الآية 87.

* الدليل على التوحيد ونفي الشرك

إنّ افتراض تعدّد الآلهة لا يخلو من الاحتمالات الثّلاثة الآتيّة:

1. افتراض اشتراك جميع الآلهة المفترضة في خلق جميع الظّواهر والكائنات الكونيّة.
2. افتراض أنّ كلّ إله مختصّ بخلق مجموعة من الظّواهر لا يُشاركه في خلقها غيره.
3. افتراض أنّ الإله الخالق لجميع الظّواهر الكونيّة واحد، وأمّا غيره من الآلهة فمهمّتها فقط التّدبير والرّبوبيّة المستقلّة للكون.

* الردّ على الاحتمالات المنافية للتوحيد

أمّا الاحتمال الأوّل، فهو محال وباطل؛ وذلك لأنّ القول بوجود أكثر من إله خالق مستقلّ يخلق الموجود الواحد (بمعنى أنّه العلّة الموجِدة) يعني أنّ كلّ واحد منها يفيض وجوداً، ونتيجته تعدّد الموجود الواحد بعدد الآلهة المفترضة، مع أنّه -وبالوجدان- ليس لكلّ موجود إلّا وجود واحد. فإنْ قيل باشتراكها في إيجاد الواحد لزم منه عدم استقلاليّتها، وبالتّالي عدم كونها آلهة لحاجتها لبعضها.

وأمّا الاحتمال الثّاني: وهو اختصاص كلّ إله بخلق موجود أو مجموعة واحدة، فمن المعلوم أنّ مقتضى الاستقلاليّة في الإيجاد هي حاجة المخلوق إلى خالقه فقط وهي حاجة مطلقة، وأنّه يرتبط بخالقه في أصل وجوده وفي بقائه واستمراره، ولا يمكن أن يكون محتاجاً إلى أيّ موجود آخر مستقلّاً عن خالقه -فالمخلوقات تحتاج إلى خالقها، ومخلوقات خالقها فقط، ومثل هذا الافتراض للآلهة المتعدّدة لازمه وجود أنظمة متعدّدة في الكون بعدد الآلهة المفترضة، وكلّ واحد من الأنظمة المفترضة مستقلّ ومنفصل عن الآخر، مع أنّ الكون محكوم بنظام واحد، فهناك ارتباط وتفاعل بين جميع الظّواهر الكونيّة الموجودة في زمان واحد.

وكذلك يوجد ارتباط وحاجة بين الموجودات السّابقة واللّاحقة، والظّواهر السابقة تُهيّئ وُتمهّد للظّواهر اللّاحقة، فكلّ أجزاء الكون مترابطة ويحكمها نظام واحد، والنّظام الواحد لا يكون معلولاً لأكثر من علّة موجِدة واحدة. وبهذا البيان يثبت بطلان الاحتمال الثّاني.

وأمّا الاحتمال الثّالث، أي أنّ الخالق واحد ولكنّ الأرباب متعدّدون، فهو باطل أيضاً، وذلك لما ذُكر من أنّ المعلول قائم بكلّ شؤون وجوده بعلّته الموجِدة له، وليس له أيّة استقلاليّة بنفسه، وليس لأيّ موجود آخر سبيل للتّصرّف والتّأثير فيه بشكل مستقلّ. وأمّا تصرّف وتأثير أيّ مخلوق في أيّ موجود آخر فهو تأثير خاضع لإرادة اللَّه -جلّ وعلا-، وبأمر منه تعالى، وهذا التّأثير ليس على نحو الرّبوبيّة الحقيقيّة؛ إذ إنّ حقيقة الرّبوبيّة تعني الاستقلال في التّأثير، هذا بالإضافة إلى ما أُشير إليه سابقاً من عدم إمكانيّة الفصل بين الخالقيّة والرّبوبيّة للتّلازم الوثيق بينهما، ولازم التّفكيك بينهما حصول التناقض وهو لازم باطل.

* الولاية التّكوينيّة

بما أنّه تمّ التّعرّض للتّأثير غير المستقلّ؛ أي تأثير بعض المخلوقات بمخلوقات أخرى بإذنه -تعالى-، كان من المناسب التّعرّض للحديث عن الولايّة التّكوينيّة الّتي يُراد منها أنّ اللَّه -تعالى- يمنح بعض عباده كالأنبياء والأولياء والمعصومين عليهم السلام قدرة خاصّة -غير مألوفة-على التّأثير في الأمور التّكوينية، وهذا الأمر فضلاً عن إمكانه وعدم استحالته، فإنّه قد ثبت وقوعه -من خلال القرآن الكريم والرّوايات المعتبرة- لعدد من الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

منها: ما ذكره -تعالى- عن النّبيّ عيسى عليه السلام، حيث قال -تعالى-: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ

﴿تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[1]، وغير ذلك من تصرّفات النّبيّ عيسى عليه السلام غير المألوفة ولا المقدورة للبشر العاديّين.

ومنها: قصّة عرش بلقيس ونقله على حاله بلمح البصر، قال -تعالى-: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾[2].

ومنها: قضيّة النّبيّ إبراهيم عليه السلام مع الطّير قال -تعالى-: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[3]، وغيرها الكثير.

فالاعتقاد بامتلاك بعض البشر لقدرة كهذه لا يعني الاعتقاد بربوبيّتهم -والعياذ باللَّه- بل هو حقيقة توحيديّة؛ لأنّه اعتقاد مشفوع باعتقاد آخر وهو عدم استقلاليّتهم في التّأثير، فهم محتاجون في وجودهم وقدرتهم إلى إذن الله -تعالى- ومشيئته وقدرته، وليس هذا على الله -جلّ وعلا- بعزيز.

* مراتب التّوحيد

إنّ لفظ التّوحيد يعني لغةً «**عدّ الشّيء وجعله واحداً**»، وأمّا في مصطلح المتكلّمين فيظهر معناه في أقسامه ومراتبه:

1. الوحدانيّة أو نفي التعدّد: وهو الاعتقاد بوحدانيّة اللَّه -تعالى-، ونفي التعدّد والكثرة الخارجيّة عن الذات، وهذا المعنى يُقابل الشِّرك الصَّريح والاعتقاد بإلهين أو آلهة متعدّدة، بحيث يكون لكلّ واحد منها وجود مستقلّ ومتميّز عن الآخر.

---

(1) سورة المائدة، الآية 110.
(2) سورة النمل، الآية 40.
(3) سورة البقرة، الآية 260.

2. الأحديّة أو نفي التّركيب: ويعني الإيمان بالأحديّة والبساطة الداخليّة للذّات، وعدم تركّب الذّات الإلهيّة من أجزاء بالفعل[1] أو بالقوّة[2].

3. التّوحيد الصّفاتي أو نفي الصّفات الزائدة على الذّات: ويعني الإيمان باتّحاد الصّفات الذّاتيّة مع الذّات الإلهيّة، ونفي الصّفات الزائدة على الذّات، ويُذكر في الرّوايات بتعبير «**نفي الصّفات**» في مقابل البعض -كالأشاعرة -الّذين اعتقدوا بأنّ الصّفات الإلهيّة أمور زائدة على الذّات، ممّا يستلزم تعدّد القدماء بتعدّد صفات الذّات، وبما أنّ الصفات الذاتية عندهم سبعٌ فيُصبح عدد القدماء مع الذّات ثمانية.

* الدّليل على التّوحيد الصّفاتي

لو كان لكلّ واحدة من الصّفات الإلهيّة مصداق ووجود مستقلّ، فلا يخرج- هذا المصداق- عن إحدى الحالات التّالية:

1. أن تُفرض مصاديقها في داخل الذّات الإلهيّة، ويلزم من هذا الافتراض أن تكون الذّات الإلهيّة مركّبة من أجزاء، وقد تقدّم إثبات استحالة التّركيب[3].

2. أن تُفرض بأنّ مصاديقها خارج الذّات الإلهيّة، ولهذا الفرض صورتان:

الأولى: أن نتصوّرها واجبة الوجود غير محتاجة إلى خالق، وهذا يعني تعدّد الذّات الواجبة، وهو الشّرك الصريح، ولا يوجد مسلمٌ يلتزم به.

الثّانية: أن نتصوّرها ممكنة الوجود ومخلوقة للّه -تعالى-، ويلزم من ذلك، القول إنّ الذّات الإلهيّة مع افتراض فقدانها لهذه الصّفات، هي الّتي تخلق هذه الصّفات وتوجدها، ثُمَّ بعد ذلك تتّصف بها، فمثلاً تكون الذّات فاقدة للحياة ذاتاً،

(1) الأجزاء الفعليّة: كالماء مثلاً، فإنّه مركّب من الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون، وبتكونّهما يصبح عندنا الماء.
(2) الأجزاء بالقوّة: نظير قبول الجسم للانقسام إلى أجزاء، فتعتبر هذه الأجزاء قبل انقسام الجسم أجزاء له بالقوة.
(3) را: (ص61-60-59) عندما أثبتنا عدم تركّب الذات الإلهيّة من أجزاء وأنّها بسيطة.

ثمّ تخلق موجوداً يُسمّى «**الحياة**» وبعد ذلك تتّصف بصفة الحياة، مع أنّه من المحال أن تكون العلّة الموجدة فاقدة ذاتاً لأيّ كمال، لا سيّما لكمالات مخلوقاتها، إضافة إلى أنّ فاقد الشّيء لا يمكن أن يُعطيَه، وهو واضح البطلان.

وبهذا يتّضح أنّ الصّفات الإلهيّة ليست لها مصاديق ووجودات مستقلّة كلّ واحدة عن الأخرى، ولا عن الذّات الإلهيّة، بل إنّ هذه الصّفات كلّها مفاهيم متغايرة مفهوماً، واحدة وجوداً، والعقل ينتزعها من مصداق واحد بسيط غير مركّب وهو الذّات الإلهيّة المقدّسة.

والتّغاير المفهومي كافٍ لانتزاع المفاهيم المتعدّدة والصفات المتكثّرة كما ذكرنا سابقاً.

* التّوحيد الأفعالي

يعني أنّ اللَّه -تعالى- -وهو واجب الوجود- غير محتاج في أفعاله لأيّ شيء، بل كلّ شيء معلول ومخلوق له ومحتاج إليه في كلّ شؤون وجوده، فالمخلوقات كما أنّها محتاجة إليه في أصل وجودها، كذلك هي في أفعالها محتاجة ومفتقرة إليه -تعالى-؛ لأنّها قائمة به، وليس للمخلوقات أيّة استقلاليّة في نفسها وأفعالها، وهي خاضعة لقدرة اللَّه -جلّ وعلا- وسلطانه وملكيّته الحقيقيّة والتّكوينيّة، وإنّ أيّ تأثير لمخلوق في آخر إنّما يتمّ بإذن اللَّه -سبحانه-، وبالقدرة الّتي يفيضها اللَّه تعالى عليه، وأمّا فاعليّة المخلوقات وتأثيرها في غيرها، ففي طول فاعليّته -تعالى- وتأثيره، سواء منها الفاعل بالاضطرار كالنّار في إحراقها والشّمس في إشراقها -وهكذا كل الفواعل الطبيعية-، أم الفاعل بالاختيار كالأفعال الصادرة من الإنسان.

وبهذا البيان يتّضح لماذا أسند اللَّه -تعالى- في القرآن الكريم الآثار والأفعال الصّادرة من الأسباب الطّبيعيّة وغيرها تارة إلى نفسه، وتارة أخرى إلى فاعلها

المباشر، كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[1].

وقال -تعالى-: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ﴾[2]، ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[3]، والإسناد إليه -تعالى- تام، لأنّه علّة العلل، وإليه تنتهي الأسباب والعلل، وإسنادها لغيره -تعالى- أيضاً صحيح وتام، لأنّه الفاعل المباشر وفي طول فعل اللَّه -جلّ وعلا-، وإن كان بإذنه -تعالى-.

* نتائج التّوحيد الأفعالي

إنّ من أبرز النّتائج المترتّبة على هذا الاعتقاد:

1. انحصار استحقاق العبادة والطّاعة باللَّه -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[4].

2. إنّ الإنسان الذي يحمل الشّعور بهذا التّوحيد، فسوف يعتمد في كلّ أحواله على اللَّه -تعالى- ويتوكّل عليه، ويستعين به فقط، فلا يطلب العون إلّا منه، ولا يخاف إلّا إيّاه، ولا يرجو سواه، ولو انقطعت كلّ الأسباب المادّيّة عنه فإنّه لا يُصاب باليأس، لعلمه القطعي بأنّه -تعالى- إذا أراد شيئاً كان، ولو من الأسباب غير العاديّة، وليعيش اطمئناناً خاصّاً في ظلّ الولاية الإلهيّة ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[5].

(1) سورة الرّوم، الآية 48.
(2) سورة النّمل، الآية 60.
(3) سورة الأنفال، الآية 17.
(4) سورة الفاتحة، الآية 5.
(5) سورة يونس، الآية 62.

* التّوسّل لا ينافي التوحيد الأفعالي

قد يتوهّم البعض أنّ التّوحيد الأفعالي يتنافى مع الاستعانة والتّوسّل بأولياء اللَّه -تعالى-.

والجواب واضح من خلال ما تقدّم؛ لأنّ التّوسّل بهم ليس بمعنى استجابة الأولياء للمتوسّل بأنفسهم وبصورة مستقلّة عنه -تعالى- -والعياذ باللَّه-، بل المراد أنّه تعالى بإذنه وإرادته جعل الوليّ وسيلة للتّوصّل إلى رحمته، مضافاً إلى أنّه تعالى هو الذي أمر باتّخاذهم وسيلة، حيث قال -تعالى-: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1]، وأمّا الحكمة من جعلهم وسائل، وأمر بالتّوسّل بهم، فله أسباب، منها:

1. أن يُعرّف النّاس بالمراتب العالية والدرجات الرفيعة التي وصلوا إليها عليهم السلام.

2. أن يوجد دوافع نحو الطّاعة، وليحاول الإنسان الوصول إلى أعلى المراتب الكمالية الممكنة من خلال جعلهم عليهم السلام المثل الأعلى.

3. إنّ معرفة الأولياء ومعرفة مكانتهم عند الله -سبحانه- تخلق إحساساً بالنّقص والتّقصير عند الإنسان، وهذا الإحساس يحول دون وقوع الإنسان العادي في الغرور والتكبّر نتيجة الطّاعات التي يفعلها.

(1) سورة المائدة، الآية 35.

خلاصة الدرس

- من عوامل الشرك تنوّع الظواهر الكونيّة.

- من عوامل الشرك الارتباط القويّ للبشر بالمحسوسات.

- إنّ للكون نظاماً واحداً، كما يُدركه كلّ عاقل بالوجدان.

- الولاية التكوينيّة: تعني أنّ اللَّه -تعالى- يمنح بعض عباده كالأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء قدرة خاصّة على التأثير في المسائل التكوينيّة. وهذا غير مستحيل وقد ثبت وقوعه من خلال القرآن الكريم والروايات المعتبرة.

- الواحدانيّة: تعني نفي التعدُّد والكثرة الخارجيّة عن الذات.

- الأحديّة: تعني نفي التركيب الداخلي في الذّات الإلهيّة.

- التوحيد الصفاتي: يعني نفي الصفات الزائدة على الذّات.

- التوحيد الأفعالي: يعني أنّ اللَّه -تعالى- -وهو واجب الوجود- علّة العلل، وإليه تنتهي الأسباب، وإنّ أيّ تأثير لمخلوق في آخر إنّما يتمّ بقدرة الله -سبحانه- وإرادته وتسبيبه.

- التوسُّل بأولياء اللَّه -سبحانه- لا يعني استجابة الأولياء للمتوسِّل بأنفسهم وبصورة مستقلّة عن اللَّه -تعالى-، بل يعني أنّه بإذنه -تعالى- جعل الوليّ وسيلة للتوصّل إلى رحمته. وعليه لا يتنافى التوسُّل مع التوحيد الأفعالي.

أسئلة حول الدرس

1. عدّد عوامل الشرك وأنواعه.
2. وضّح المراد من الولاية التكوينية.
3. ما هو الفرق بين الوحدانيّة والأحديّة؟
4. ما هو الدليل على التّوحيد الصّفاتي؟
5. ما هي حقيقة التوسّل والّتي لا تتنافى مع التّوحيد الأفعالي؟

الدرس السادس:

الجبر والاختيار

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يفهم الأقوال في الجبر والاختيار.
2. يتبيّن له رأي الشيعة في الجبر والاختيار.
3. يتعرّف إلى بعض الشبهات في مسألة الفعل الإنساني والرد عليها.

* مذاهب واتجاهات

من المسائل الاعتقاديّة التي وقع البحث فيها، وحصل الخلاف حولها، هي مسألة أفعال الإنسان وكيفيّة صدورها منه، وقد تعدّدت فيها المذاهب والآراء، ومنها:

1. **الجبر:** ويعني أنّ الإنسان مجرّد آلة، ودمية يحرّكها اللَّه -تعالى-، من دون أيّ اختيار له في حصول الفعل، وقد أطلق هذا القول -أصحاب الجهم بن صفوان[1]- من منطلق الحفاظ على التّوحيد الأفعالي، لأنّه توهّم أنّ القول بالاختيار، وتأثير الإنسان في أفعاله -وكذلك تأثير الأسباب الطّبيعيّة- يتنافى مع هذا التّوحيد في الخالقيّة، غافلاً عمّا يلزم هذا القول، من عبثيّة بعث الأنبياء والرّسل عليهم السلام وإنزال الكتب والتّشريعات، ولغويّة الثّواب والعقاب، وبالتّالي يلزم نسبة الظلم إلى اللَّه -تعالى-، لأنّه -حسب قولهم- هو الفاعل لأفعال المخلوقين حقيقة، ومع ذلك يُعذّبهم عليها، إن كانوا من أهل الكفر والمعاصي.

---

(1) جهم بن صفوان: أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلّم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، كتب للأمير حارث بن سريج التميمي. وقد قتل سنة (128 هـ)، مع الحارث بن سريج في حربه ضد بني أمية.
وأصول مذهبه أمران:
الأول: الجبر ونفي الاستطاعة والقدرة.
الثاني: تعطيل ذاته عن التوصيف بصفات الكمال والجمال.

2. **التفويض:** ذهب آخرون -وهم المعتزلة[1]- إلى أنّ اللَّه -تعالى- أفاض القدرة على الإنسان وغيره -كالأسباب الطّبيعيّة- من بداية إيجادها، وفوّض إليها أفعالها، بحيث لم يعد له -تعالى- أيّ سلطان على هذه المخلوقات في أفعالها، فالفعل الصادر من الإنسان يُنسب حقيقة إليه فقط، ولا علاقة لله -تعالى- به، لا من قريب ولا من بعيد.

وانطلق هؤلاء من الحفاظ على العدل الإلهيّ، باعتبار أنّ القول بالجبر يلزم منه ظلم اللَّه -جلّ وعلا- لعبيده حيث أجبرهم على فعل المعصية ثمّ عاقبهم عليها، ولكنّهم غفلوا عن أنّهم سلبوا من اللَّه -سبحانه- قدرته وسلطانه، ونسبوا إليه العجز، وبهذا القول أرادوا أن يحافظوا على مسألة العدل الإلهي، ولكنّهم وقعوا بأمر أشد خطورة، وهو نسبة العجز للَّه -تعالى-[2].

3. **الكسب الأشعري:** في مقابل نظريتي الجبر والتفويض، ولدت نظرية رفضت القول بالجبر المحض لمصادمته لبداهة الوجدان وفلسفة بعثة الأنبياء، فذهب أصحابها -وعلى رأسهم مؤسس المذهب الأشعري «**أبو الحسن الأشعري**»[3] إلى صياغة جديدة لنظريّة الجبر تسعى للجمع بين خلق الله

---

(1) المعتزلة: أشهر الفرق الإسلاميّة التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة وما يليه. وكان بداية ظهورها على يدي واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وهذه الفرقة تشعّبت مسالكها، ولكن يجمعها أصول سميت بـ «الأصول الخمسة» وهي:

1. التوحيد.
2. العدل.
3. الوعد والوعيد.
4. المنزلة بين المنزلتين.
5. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(2) روي عن الإمام الرضاعليه السلام: «**مساكين القدريّة، أرادوا أن يصفوا الله -عزَّ وجلَّ- بعدله، فأخرجوه من قدرته وسلطانه**». (انظر: المجلسي، العلامة محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج5، ص54).
وقد فُسّرت القدرية بـ (المعتزلة) أو (المفوضة).

(3) أبو الحسن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري (260هـ - 324هـ).
كان في بداية حياته على المذهب المعتزلي إلى أن أعلن التحوّل إلى مدرسة أهل الحديث ولكن بمنهجيّة جديدة، فأدخل على مذهبه بعض الأمور، منها:

1. عدم عزله للعقل في إثبات عقائده، وذلك خلافاً لمدرسة أهل الحديث.
2. رفضه تأويل الصفات الخبريّة مع إثبات عدم الكيف والحد.
3. إتيانه بنظريّة جديدة حول الفعل الإنساني، وهي ما عُرفت بنظريّة «الكسب».

-تعالى- للأفعال خيرها وشرّها وبين إثبات أثر معيّن للقدرة الحادثة في الفعل.

وعلى أساس هذا التوجّه ولدت «**نظريّة الكسب**» وذلك لتصحيح المسؤوليّة والتكليف والأوامر والنواهي، وتبعاً لذلك الثواب والعقاب.

ونظريّة الكسب تقوم على أصلين أساسيين:

الأصل الأول: اللّٰه تعالى هو الخالق.

الأصل الثاني: الإنسان هو الكاسب. يقول الشيخ الأشعري عند توضيح هذا الأصل -عند إبداء الفرق بين الحركة الاضطرارية والحركة الاكتسابيّة-: «فلمّا لم يكن هكذا وكانت القدرة في إحدى الحركتين، وجب أن تكون كسباً؛ لأنّ حقيقة الكسب أن الشيء وقع من المكتسب له بقوة محدثة، ولافتراق الحالين في الحركتين، ولأنّ إحداهما بمعنى الضرورة وجب أن تكون ضرورة، ولأنّ الأخرى بمعنى الكسب وجب أن تكون كسباً»[1].

والكسب كما فسّره بعض أعلام الأشاعرة يعني إيجاده -سبحانه- الفعل مقارناً لإرادة العبد وقدرته، بمعنى قيامه -سبحانه- بإيجاد الفعل مقارناً لإرادة العبد وقدرته من دون أن يكون لقدرة العبد تأثير. قال الإيجي: «إنّ أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة اللّٰه -سبحانه وتعالى- وحدها وليس لقدرتهم تأثير فيها بل اللّٰه سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما فيكون فعل العبد مخلوقاً للّٰه إبداعاً وإحداثاً ومكسوباً للعبد، والمراد بكسبه إيّاه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلّاً له، وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري»[2].

---

(1) الأشعري، علي بن إسماعيل، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وعلّق عليه: حموده غرابه، مصر، لا.ط، 1955م، ص76.

(2) الإيجي، عبد الرحمان بن أحمد (عضد الدين)، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، 1417هـ - 1997م، ط1، ص214.

وفي الواقع إنّ هذه النظريّة ترجع في حقيقتها إلى الجبر، وإن حاولت إعطاء حيّزٍ للفعل والإرادة الإنسانيّة، ومن هنا نجد أن البعض أطلق على هذه النظريّة «**الجبر غير الخالص**» في قِبال نظريّة الجهم بن صفوان وهي نظريّة «**الجبر الخالص**».

4. الأمر بين الأمرين: ذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام، تبعاً لما ورد عن أئمّتهم عليهم السلام إلى قول آخر دقيق وجليل، يُحافظون من خلاله على العدل الإلهي، ولا يلزم منه نسبة العجز إليه تعالى في الوقت نفسه، فلا يقعون في الشّرك الأفعالي، وهو الطّريق الوسط المعبّر عنه في الأحاديث، كما عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام:

«**لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين**»(1).

وخلاصة هذا القول: إنّ أفعالنا تُنسب إلينا حقيقة، ونحن أسبابها، وهي واقعة تحت قدرتنا واختيارنا، وفي الوقت نفسه هي مقدورة للّه -تعالى-، غير خارجة عن سلطانه، فإنّه -تعالى- هو المفيض للوجود في كلّ لحظة، ومعطي القدرة والقوّة في كلّ آن، كما قال -تعالى-: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾(2)، ولذلك أُسندت إليه -تعالى- الأفعال حقيقة، فلم يُجبرنا على أفعالنا ليكون قد ظلمنا بالعقاب على المعاصي، لأنّنا نملك القدرة والاختيار فيما نفعل -وهذا نُدركه بالوجدان- ولم يُفوِّض إلينا إيجاد أعمالنا، إذ إنّنا نحتاج إلى ما يمدّنا به من قوّة وقدرة في كلّ آن -وهذا مقتضى فقرنا الذّاتي وحاجتنا المطلقة- ولو انتفى فيضه آناً ما لانتفى وجودنا فضلاً عن أفعالنا، فله الخلق والحكم، ولا حول ولا قوّة إلّا به -تعالى-(3).

(1) الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران-طهران، 1363ش، ط5، ج1، باب الاستطاعة، ص160، ح13.

(2) سورة الإسراء، الآية 20.

(3) وقد صوّر السيد الخوئي (رحمه اللّه) نظريّة الأمر بين الأمرين بالمثال الآتي: «كما إذا افترضنا أنّ للمولى عبداً

ومن خلال هذه النّظريّة نفهم الآيات الّتي نسبت الأفعال إلى الفاعل المباشر كالإنسان تارة، ونسبتها إلى اللّه -تعالى- تارة أخرى، وكذلك الآيات الّتي ربطت وأناطت كلّ ما يحصل في الكون بإذن اللّه -سبحانه- ومشيئته، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

* شبهات وردود

تقدّمت الإشارة إلى أنّ قدرة الإنسان، على اتّخاذ القرار والاختيار أمر وجداني يُدركه كلّ إنسان بالبداهة، إذ كلّ عاقل يُدرك وبأدنى تأمّل أنه قادر على التكلّم بكلام، وعدم التكلّم به، وقادر على تناول الطّعام وعدمه... وهكذا، وهذا أمر بديهي لا يختلف فيه اثنان.

والإنسان عندما يُصمّم على القيام بعمل ما، فإمّا أن يكون هادفاً لإشباع الدّوافع الغريزيّة كالأكل عند الجوع، والنّوم عند النّعاس وغيرهما من الدّوافع الغريزيّة، وإمّا أن يكون إشباعاً للدّوافع العقليّة كتناول المريض الدّواء المرّ لأجل الشفاء، وتحمّل طالب العلم المتاعب والمصاعب لأجل تحصيل العلم والمعرفة، وصبر المجاهد على المشاقّ وتجاوز العقبات وتحمّل الآلام للدّفاع عن الدّين والأرض وكلّ المبادئ والقيم السّامية.

ولا تظهر قيمة الإنسان إلّا عندما تتعارض وتتزاحم الرّغبات والدّوافع المختلفة

مشلولاً غير قادر على الحركة فربط المولى بجسمه تيّاراً كهربائيّاً ليبعث في عضلاته قوّة ونشاطاً نحو العمل، وليصبح بذلك قادراً على تحريكها، وأخذ المولى رأس التيّار الكهربائي بيده وهو الساعي لإيصال القوة في كل آن إلى جسم عبده بحيث لو رفع اليد في آن عن السلك الكهربائي انقطعت القوّة عن جسمه فيه وأصبح عاجزاً. وعلى هذا فلو أوصل المولى تلك القوة إلى جسمه وذهب باختياره وقتل شخصاً والمولى يعلم بما فعله ففي مثل ذلك يستند الفعل إلى كلٍّ منهما. أما إلى العبد فحيث إنّه صار متمكناً من إيجاد الفعل وعدمه بعد أن أوصل المولى القوة إليه وأوجد القدرة في عضلاته وهو قد فعل باختياره وإعمال قدرته. وأما إلى المولى فحيث إنّه كان معطي القوة والقدرة له حتى حال الفعل والاشتغال بالقتل، مع أنه متمكّن من قطع القوة عنه في كل آن شاء وأراد، وهذا هو واقع نظرية الأمر بين الأمرين وحقيقتها». (انظر: تقرير بحث السيد الخوئي للفياض، محاضرات في أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران -قم، 1419، ط1، ج2، ص87-86).

(1) سورة التكوير، الآية 29.

الغرائزيّة والعقليّة، فإذا أحسن الإنسان الاختيار اعتماداً على الوعي والمعرفة المرتكزين على العقل والأنبياء عليهم السلام، ارتفع وارتقى في طريق الكمال الروحي، وإن أساء الاختيار انحطّ وتسافل، ولكن -ومع وضوح هذه المسألة- وقعت بعض الشّبهات الّتي ينبغي الإجابة عنها.

1. شبهة منافاة الرغبات والوراثة للاختيار

إنّ إرادة الإنسان إنّما تتكوّن بفعل دفع الميول والرّغبات نحو الفعل، وكذلك العوامل الوراثيّة والبيئيّة لها أثرها في تكوّن الإرادة، وهذه العوامل -كلّها أو جلّها- لا تحصل للإنسان باختياره، وعليه فالإرادة غير اختياريّة.

الجواب: إنّ الميول والرّغبات والعوامل الوراثية والبيئيّة ليست علّة تامّة تترتّب عليها الإرادة بشكل قهري، بحيث تسلب من الإنسان القدرة على مخالفتها، ولذلك مهما تعاظمت الميول والعوامل الوراثيّة، يتردّد كثير من النّاس في اتخاذ قرار بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، وهذا التردّد كافٍ للحكم بأنّ الإرادة لا تحصل كنتيجة حتميّة للميول، فالميول معدّة للإرادة وجزء علّة لها وليست علّة حتميّة لها، ومع ذلك فإنّ مواجهة هذه العوامل ليس أمراً سهلاً، ولكنّ مقاومتها تجعل الإنسان أسرع تكاملاً، وأكثر أجراً وثواباً.

2. منافاة العلم الإلهي الأزلي للاختيار

إنّ مقتضى العلم الإلهيّ الأزلي علمه بأفعال الإنسان قبل وقوعها، وعليه فلا بُدَّ أن يحصل الفعل كما هو معلوم للَّه -تعالى-، وإلّا لخالف فعل العبد علم الله -تعالى-، ولزم نسبة الجهل للَّه -تعالى- حينئذٍ، وعليه لا مجال للقول بالاختيار.

الجواب: إنّ العلم الإلهيّ تعلّق بكلّ ظاهرة وفعل كما هو عليه في الواقع، فالفعل الإنسانيّ -بما هو فعل اختياري- كان متعلّقاً للعلم الإلهيّ بوصف اختياريّته، فلو كان الإنسان مجبراً حينئذ، يلزم نسبة الجهل للَّه -تعالى-، دون ما لو حصل كما هو معلوم له -تعالى- أي بالاختيار.

* الجبر والتفويض في كلام المعصوم عليه السلام

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**إنّ اللَّه -عزَّ وجلَّ- لم يُطعْ بإكراه، ولم يُعصَ بغلبة، ولم يُهمل العباد في ملكه وهو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن اللَّه عنها صادّاً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحُل وفعلوه، فليس هو الّذي أدخلهم فيه**»[1].

وروي عن المفضّل بن عمر عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين**».

قال، فقلتُ: وما أمر بين أمرين؟ قال عليه السلام: «**مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته، أنت الّذي أمرته بالمعصية**»[2].

(1) كتاب التوحيد، للشيخ الصدوق، مصدر مذكور، الباب 59، ص361، ح7.
(2) المصدر نفسه، الباب 59، ص362، ح8.

خلاصة الدرس

- نظريّة الجبر تعني أنّ الإنسان لا اختيار له في حصول الفعل، وذلك حفاظاً على التوحيد الأفعالي.

- نظريّة الجبر يلزم منها عبثيّة بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام وإنزال الكتب، ولغويّة الحساب والثواب والعقاب، ونسبة الظلم إلى الله -تعالى-.

- نظريّة التفويض تعني أنّ اللّه -تعالى- أفاض القدرة على الإنسان وفوّض إليه فعله، بحيث لم يعد له -تعالى- أيّ سلطان، وذلك حفاظاً على عدل اللّه -سبحانه-.

- نظريّة الكسب تقوم على أصلين أساسيين؛ الأول: اللّه -تعالى- هو الخالق، والثاني: الإنسان هو الكاسب.

- نظريّة الأمر بين الأمرين تعني أنّ أفعال الإنسان تقع باختياره، ولكن هي مقدورة للّه -تعالى- في الوقت نفسه.

- شبهة: إنّ الإنسان بفعل العوامل الوراثيّة والبيئيّة يُسلب اختياره.

- رد: إنّ العوامل الوراثيّة والبيئيّة ليست علّة تامّة للفعل فيستطيع الإنسان مجابهتها والتغلُّب عليها بإرادته.

- علمُ اللّه -تعالى- تعلّق بالفعل الإنساني بما هو اختياريّ، فلو كان الإنسان مجبراً للزم جهل اللّه -تعالى- عن ذلك.

أسئلة حول الدرس

1. بيّن معنى الجبر والتفويض، ووجه بطلانهما.

2. تحدّث بوضوح عن الأمر بين الأمرين.

3. بما أنّ الإرادة تتكوّن نتيجة مجموعة عوامل، ورغبات غير اختياريّة، فهذا يعني أنّ الإنسان مجبر وليس مخيّراً. كيف تُجيب عن هذه الشبهة؟

4. هل يتنافى العلم الإلهيّ الأزليّ مع الاختيار؟ ولماذا؟

الدرس السابع:

القضاء والقدر والبَداء

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرف إلى معنى القضاء والقدر
2. يُدرك معنى البداء
3. يُميّز بين النسخ والبداء

* تمهيد

إنّ الكلام حول الجبر والاختيار يفتح المجال للكلام حول القضاء والقدر، ليتمكّن المسلم من فهمهما بوجه صحيح لا يتنافى مع الاختيار كما توهّمه البعض. والقضاء والقدر يجب الاعتقاد بهما، ففي الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا يؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة: حتّى يشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأنّي رسول اللَّه بعثني بالحقّ، وحتّى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتّى يؤمن بالقدر»**[1].

* معنى القضاء والقدر

إنّ القدر من المقدار والتّقدير للأشياء بحسب الزّمان والمكان والمقدار والكيفيّات والأسباب والشّرائط، والقضاء هو فصل الأمر قولاً أو فعلاً.

فاللَّه -تعالى- مثلاً: قدّر للشّجرة لكي تصبح شجرة أن يكون البذر صالحاً وقابلاً للنّموّ، وأن يوضع في التّراب المناسب، ويتهيّأ له الماء والهواء والحرارة الملائمة له، فإذا تحقّقت كلّ الشّروط، وتمّ التّقدير، قضى المولى -عزَّ وجلَّ- بأن يفترع البذر التّراب، وينمو ليصبح شجرة، فإذا تغيّرت مراحل التّقدير كلّها أو بعضها، دخلت في تقدير آخر، وبالتّالي أصبح لها قضاء آخر وهو اليباس.

(1) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج5، ص87.

وكذلك الحال بالنّسبة إلى أفعال الإنسان، فإنّ الله -سبحانه- أعطى الإنسان الإرادة والاختيار، فإذا أفاض اللَّه -جلّ وعلا- عليه القدرة، وحصل الدّاعي للفعل، واختار الفعل، ولم يمنع مانع من تحقّقه، قضى المولى -عزَّ وجلَّ- حينئذ بحصول الفعل، فإذا اختلّت بعض التّقديرات، انقلب التّقدير إلى تقدير آخر وبالتّالي إلى قضاء آخر.

وهذا المعنى مستفاد من الآيات والرّوايات، قال -تعالى-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[1]، وفي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**بعد سؤاله عن القدر: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء**» ثمّ قال عليه السلام: «**إنّ اللَّه إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراده قدّره، وإذا قدّره قضاه وإذا قضاه أمضاه**»[2].

وبناءً على ما ذُكر يظهر أمور عدّة:

1. إنّ القضاء متأخّر عن القدر تأخّر المسبَّب عن سببه.
2. إنّ القدر هو تحديد الأسباب والشّروط التي إذا تحقّقت وحصلت تعيّن القضاء وتحتّم، إلّا إذا منع منه مانع.
3. إنّ حصول القدر تدريجي، وأمّا القضاء فيحصل دفعة واحدة، ولذلك لا يتعدّد ولا يتغيّر، والقدر قابل للتغيّر إذا تغيّرت بعض الأسباب والشّروط دون القضاء.

وعليه فكلّ ما يحصل في هذا الكون محكوم بالقدر والقضاء، فالقضاء بالمرض على الإنسان متوقّف على ما إذا تحقّق سببه وتقديره، والقضاء بالشّفاء إنّما يقع عند تحقّق سببه وتقديره أيضاً، وكلٌّ من المرض والشّفاء خاضع لتقدير اللَّه -سبحانه- وقضائه، وقد ورد في الحديث: «قيل لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: رُقى[3] يستشفى

(1) سورة القمر، الآية 49.
(2) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج5، ص122.
(3) رقى: جمع رقية. والرقيّة: «رَقى المريض رقياً ورُقِيّاً ورقيةً: عوّذه». (المعجم الوسيط: ج1، ص367).

بها، هل تردّ من قدر اللَّه؟ فقال ﷺ: **إنّها من قدر اللَّه**»[1].

والحاصل: إنّ كلّ شيء يحصل في هذا الوجود فإنّما يحصل بإرادة اللَّه -تعالى- وقدره وقضائه، غاية الأمر أنّ الشّيء المقدَّر لا يخلو إمّا أن يكون من أفعال العباد وإمّا من بقيّة الكائنات، فإن كان من أفعال العباد فاللَّه -تعالى- أراده وقدّره بشرط اختيار العبد له، واللَّه -سبحانه- قضاه وأمضاه تبعاً لما يختاره العبد من الفعل والتّرك، وبهذا البيان يظهر عدم منافاة القضاء والقدر لاختيار الإنسان بل يؤكّده.

وأمّا عدم منافاة القدر للاختيار، فلأنّ الاختيار من مقدّمات القدر، وأمّا عدم منافاة القضاء للاختيار، فلأنّ اختيار العبد للقدر اختيار للقضاء، إذ إنّ اختيار السّبب التامّ اختيار للمسبَّب وإن لم يتوسّط الاختيار بين السّبب والمسبَّب. وإن كان من الكائنات الفاعلة بالجبر، فاللَّه قدّر وقضى تحقّقه بالاضطرار[2].

❋ البَداء

من المفاهيم الّتي اتّفقت عليها كلمات الإماميّة من الشيعة هو مفهوم البداء، وقد شكّل الفهم الخاطئ لهذا المفهوم من قِبَل غير الشيعة سبباً للطعن عليهم، ومنشأ الخطأ عندهم هو الخلط بين المعنى اللّغوي والمعنى الاصطلاحي المقصود، في المقام وسيتضح ذلك من خلال بيان الأمور الآتيّة:

1. **البَداء لغة:** هو الظهور بعد خفاء، قال في المصباح المنير: «بدا يبدو بدواً: ظهر، فهو بادٍ... وبدا له في الأمر ظهر له ما لم يظهر أوّلاً، والاسم: البداء مثل السَّلام». وهذا المعنى جامع للاستعمالات المتعدّدة للبداء، والبداء بهذا المعنى -أي ظهور الشيء بعد خفائه- يستحيل نسبته إلى اللَّه -تعالى-، لما

(1) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي، مصدر مذكور، ج5، ص87.

(2) انظر: الخزازي، السيد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1418، ط5، ج1، ص153 وما بعد.

يتضمّنه من نسبة الجهل إليه -تعالى-، وهو العالم المطلق الّذي لا يشوب علمه ذرّة من جهل، فكيف يُقال في حقّه إنّه بدا له ما كان خافياً عليه؟!.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من زعم أنّ اللّه -عزّ وجلّ- يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه**»[1].

إنّ البداء الذي تقول به الشيعة الإماميّة مغاير للمعنى اللغوي، الذي هو مستحيل على اللّه -تعالى-، إذ البداء الذي ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام هو الظهور لغيره -تعالى-، ومن الواضح أنّ هذا المعنى من البداء لا محذور فيه، لأنّه ينسب الخفاء إلى المخلوقات، لا إلى الذات الإلهيّة المقدّسة.

2. البداء اصطلاحاً: وهو «**الإظهار والإبداء لما خفي من القدر والقضاء المشروط بشرائط غير محقّقة بعد**» ومن آثاره قدرة الإنسان على تغيير مصيره بواسطة الأعمال الحسنة أو القبيحة. وبالبداء يكون للصّدقة وصلة الرّحم والدّعاء وغيرها أثرٌ ومعنى.

* ينقسم القضاء إلى قسمين

1. قضاء مبرم محتوم: وهذا لا يقع فيه البداء، بل يستحيل وقوع البداء فيه؛ لأنّه يلزم منه التغيّر في علمه -تعالى-.

2. قضاء مشروط وموقوف على أمرين:

- تحقّق شروطه.

- عدم تعلّق المشيئة الإلهيّة بخلافه.

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**من الأمور أمور محتومة كائنة لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله، يُقدّم منها ما يشاء ويمحو ما يشاء، ويُثبت منها ما يشاء**»[2].

(1) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، البداء والنسخ، ج2، ص136.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص119.

وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء، والذي صرّح المولى -عزَّ وجلَّ- به في الآية، حيث ذكرت بأنّه -تعالى- يُقدّم ما يشاء ويمحو ما يشاء، وقد روي عن ابن عبّاس أنه قال: «الكتاب اثنان: كتاب يمحو اللّٰه ما يشاء فيه، وكتاب لا يُغيّر، وهو علم اللّٰه والقضاء المبرم»(1).

وروى التّرمذي عن رسول اللّٰه ﷺ أنّه قال: «لا يردّ القضاء إلّا الدّعاء، ولا يزيد في العمر إلّا البرّ»(2)، وغيره الكثير من الرّوايات.

ومن أمثلة البَداء المصطلح قوله -تعالى-: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾(3) فهل كان -تعالى- لا يعلم بأنّ في المسلمين ضعفاً يمنعهم من أن يقابل العشرون منهم المئتين من الكافرين، والمئة الألف، ثمّ علم فخفّف عنهم بقوله -تعالى-: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ﴾(4).

والجواب: هو أنّه تعالى كان عالماً بضعفهم، ولا يمكن نسبة الجهل إليه -تعالى-؛ ولذلك لا يتأتّى تفسير هذه الآية بشكل صحيح إلّا في ضوء القول بالبداء، بمعنى أنّ الله -تعالى- أبدى وأظهر ما كان يكنّه من علمه الخاصّ، فاستبدل بالواقعة واقعة، وهكذا يمكن تفسير قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام مع ذبح ولده النبيّ إسماعيل عليه السلام وغيرها أيضاً.

وبهذا البيان الصحيح لمعنى البداء يمكن توجيه ما ورد من الآثار المترتّبة على مثل الصدقة والدعاء وصلة الأرحام، من أنّ «**الصّدقة تدفع البلاء**» (5)، «**والدّعاء يردّ القضاء**»(6)، و«**صلة الأرحام تُطيل الأعمار**»... الخ(7).

---

(1) الفضلي، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط، ص112-111.
(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج3، ص303.
(3) سورة الأنفال، الآية 66.
(4) السورة والآية نفسها.
(5) الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج4، ص5.
(6) المصدر نفسه، ج2، ص469.
(7) المصدر نفسه، ج2، ص152.

* بين النسخ والبداء

لقد اتّفقت كلمة المسلمين على إمكان النّسخ في الأحكام الشرعيّة، ومعنى النّسخ هو رفع حكم شرعي ظاهره الثّبات والدّوام بحكم شرعيّ آخر مخالف للحكم الأوّل.

بمعنى أنّ الحكم الأوّل مؤقّت بمدّة معيّنة في علم اللّه -جلّ وعلا-، ولكنّه -تعالى- لم يُظهر هذا التّوقيت، بل أظهر الاستمرار والدّوام، وأخفى التوقيت عن النّاس، إذ لولا الدّليل الناسخ لبقي الحكم الأوّل واستمرّ كما هو، وعليه لا يتنافى النّسخ بهذا المعنى مع العلم الإلهيّ الأزليّ.

ومن أمثلة النّسخ، الحكم بتوجّه المسلمين إلى بيت المقدس في صلاتهم وهي القبلة الأولى، من دون أن يُحدّد مدّة ووقتاً لهذا الحكم، ثمّ رُفع هذا الحكم بحكم آخر بوجوب التّوجّه إلى الكعبة بقوله -تعالى-: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[1].

وأمّا لماذا يُخفي -تعالى- التّوقيت؟ فالجواب هو أنّ لإخفاء التّوقيت مصالح متعدّدة منها الامتحان والاختبار وغير ذلك.

وهكذا البداء كما مرّ آنفاً، فإنّ اللّه -تعالى- يعلم بتغيّر التقدير والقضاء المشروط، ولكن لا يُظهره لهم لمصلحة معيّنة، وعندما يتحقّق شرط التّغيير يتغيّر التّقدير، ويتغيّر القضاء تبعاً له.

وبهذا البيان يتّضح أنّ النّسخ والبداء من وادٍ واحد، والفارق بينهما أنّ النّسخ يقع في عالم التّشريع والأحكام، والبداء في عالم التكوين، فالبداء نسخ تكوينيّ، والنّسخ بداء تشريعيّ.

(1) سورة البقرة، الآية 144.

خلاصة الدّرس

- القدر من المقدار، والتقدير للأشياء بحسب الزمان والمكان والمقدار والكيفيّات والأسباب والشرائط. والقضاء هو فصل الأمر والحكم عليه.

- القضاء متأخِّر عن القدر تأخّر المسبَّب عن سببه.

- القدر هو تحديد الأسباب والشروط الّتي إذا تحقّقت وحصلت تعيّن القضاء.

- لا تنافي بين اختيار الإنسان والقضاء والقدر؛ وذلك لأنّ اللَّه -تعالى- قدّر أفعال الإنسان بشرط اختيار العبد لها، ثمّ إنّ اللَّه -تعالى- قضاه تبعاً لاختيار العبد.

- البداء لغة: هو الظهور بعد خفاء، وهو بهذا المعنى يستحيل نسبته إلى اللَّه -تعالى-.

- البداء اصطلاحاً: هو الإظهار والإبداء لما خفي -على الإنسان- من القدر والقضاء المشروط.

- القضاء قضاءان مبرم ومشروط: الأوّل: لا يقع فيه البداء. الثاني: هو الّذي يقع فيه البداء.

- النسخ بداء تشريعي، والبداء نسخ تكوينيّ.

أسئلة حول الدرس

1. عرّف القضاء والقدر من خلال آية ورواية، واذكر الفرق بينهما.

2. هل يتنافى القضاء والقدر مع اختيار الإنسان؟ ولماذا؟

3. عرّف البداء لغة واصطلاحاً.

4. أذكر آية لا يمكن فهمها إلّا من خلال البداء بالمعنى الصحيح، مع توضيح.

5. ما هو الفرق بين النسخ والبداء؟

الدرس الثامن:

العدل

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرف إلى معنى الحسن والقبح.
2. يتبيّن له أقسام العدل.
3. يُدرك الدليل على العدل الإلهي.

* تمهيد

لقد تعرّض القرآن الكريم في الكثير من آياته للعدل الإلهي، فقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وقال -تعالى-: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقد اتفقت كلمة المسلمين قاطبة على أنّ اللّه عادل، وأنّ العدل من صفاته الكماليّة، إلّا أنّه وقع الخلاف بين العدليّة (الشيعة والمعتزلة) من جهة، والأشاعرة من جهة أخرى حول: قدرة العقل على معرفة الحسن من القبيح من دون الاعتماد على الشّرع. ومرجع الخلاف إلى مسألة أن التّحسين والتّقبيح هل هما شرعيّان أم عقليّان؟ فهل العقل قادر على إدراك الحسن والقبح في بعض الأفعال أو لا؟

* التّحسين والتّقبيح

قالت الأشاعرة: لا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها، بل الحسَن ما حسّنَه الشارع من خلال فعله في التكوينيات وأمره في التشريعيات. والقبيح ما قبّحه الشارع، ولا يتّصف الفعل بالحسن والقبح قبل ورود بيان من الشّارع المقدّس،

(1) سورة النحل، الآية 90.
(2) سورة آل عمران، الآية 108.

وأنّه -تعالى- لو خلّد المطيع في جهنّم، والعاصي في الجنّة، لم يكن قبيحاً؛ لأنّه يتصرّف في ملكه، حيث إنّه -سبحانه- ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[1].

ولذلك عُرِفَ قولهم بالتحسين والتقبيح الشرعيّين، وقد يؤدّي هذا القول إلى إنكار العدل بصورة غير مباشرة.

وقالت العدليّة: إنّ الأفعال تملك قيماً ذاتيّة، يُدركها العقل بغض النّظر عن حكم الشرع، فمن الأفعال ما هو حسن في نفسه، ومنها ما هو قبيح كذلك، ومنها ما لا يتّصف بهما، والعقل يُدرك أيضاً أنّ اللّه -تعالى- وبمقتضى صفاته الكماليّة المطلقة لا يفعل ولا يأمر إلّا بما هو حسن، ولا ينهى إلّا عن القبيح، فالعقل إذاً وظيفته الإدراك، وهو يُدرك حسن العدل ويمدح فاعله، ويُقبّح الظّلم ويذمّ فاعله.

وهذا الإدراك لا يعني أنّ العقل يأمر اللّه -تعالى- وينهاه، بل يكتشف العقل تناسب فعلٍ مّا مع الصّفات الكماليّة للّه -تعالى-، (كالعدل) وعدم تناسب فعل آخر معها (كالظّلم)، ويُدرك استحالة صدور الفعل القبيح منه -تعالى-.

وقد استشهد العدليّة على قولهم هذا بأنّ كلّ العقلاء، حتّى المنكرين للشّرائع السّماويّة، لا يتردّدون بالحكم على فعل العدل بأنّه حسن، وعلى فعل الظّلم بأنّه قبيح، من دون اعتمادهم على شريعة بل مع إنكارهم لها؛ ولذلك تجدهم يسعون لوضع أنظمة وقوانين لحفظ الحقوق وتحقيق العدالة، وهذا من البداهة والوضوح بمكان.

* مفهوم العدل

للعدل عدّة تفسيرات أهمّها:

1. **القيام بكلّ فعل على وجه حسن:** وعلى وفق هذا التعريف يكون العدل

(1) سورة الأنبياء، الآية 23.

مرادفاً للحكمة، أي وضع الشّيء في موضعه المناسب[1]، والإتيان بالفعل في محلّه؛ لأنّ العقل يحكم بحسن هذا الوضع.

2. **إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه:** وهذا المعنى أخصّ من المعنى المتقدّم، لأنّ إعطاء الحقّ لصاحبه هو وضع للحقّ في موضعه المناسب، إلّا أنّ هذا المفهوم هو الأقرب لمعنى العدل كمفهوم مستقلّ ومغاير لمعنى الحكمة، والحقّ الوارد في التعريف يشمل جميع الحقوق بما فيها الحقّ غير الثابت بالأصالة بل ولو كان ثبوت الحقّ بسبب الوعد[2]، إذ ليس للإنسان حقّ بالأصالة على اللَّه -تعالى-، ولكنّه ثبت له هذا الحقّ بعد وعده -تعالى- الإنسان بالثواب نتيجة أفعاله. وبهذا يظهر الفرق بين العدل والمساواة، فإنّ وضع الشّيء في موضعه قد يتنافى مع المساواة في كثير من موارده. فلو أعطى المعلّم علامة واحدة (15 مثلاً) لجميع التلامذة فإنّه ظلمٌ لمن يستحقّ الأكثر، وهو وضع لهذه العلامة في غير موضعها لمن لا يستحقّها.

* أقسام العدل

بما أنّ وضع الشّيء في موضعه المناسب وإعطاء الحقوق لأصحابها يختلف باختلاف الأشياء والحقوق ومواضعها؛ إذ لكلّ شيء وضع مناسب له بحسبه، فإنّ لكلّ شيء وضعاً خاصّاً به يقتضيه، ويفرضه العقل، أو الشّرع، أو المصالح العامّة والشخصيّة في نظام الكون، وبناءً عليه قُسِّم العدل إلى ثلاثة أقسام:

1. **العدل التكويني:** وهو يعني أنّه تعالى يُعطي كلّ موجود في مراحل تكوينه

(1) إنّ لكلّ شيء وضعاً خاصّاً به يقتضيه ويفرضه العقل أو الشرع أو المصالح العامة والشخصية في نظام الكون.

(2) يوجد بحث بين الأعلام وهو: هل يجب على اللَّه -تعالى- أن يفي بوعده ووعيده أم لا؟ الرأي الغالب في المدرسة الكلاميّة الشيعيّة هو أنّه يجب على اللَّه -تعالى- أن يفي بوعده، وأما وعيده فلا يجب الوفاء به؛ فلو وعد اللَّه -تعالى- إنساناً ما بدخوله الجنة نتيجة لأعمال قام بها، فهذا الوعد يجب على اللَّه -تعالى- أن يفي به، وأما لو توّعد اللَّه -تعالى- شخصاً ما بدخوله النار نتيجة لأعماله، فلا يجب على اللَّه -تعالى- أن يفي بذلك الوعيد، لأنّه قد تشمله الشفاعة أو دعاء المؤمن له، أو الصدقات.. وهذا الوجوب هو وجوب منه أو عنه وليس عليه.

ما يستحقّه ويحتاجه في مسيرته نحو الغاية التي لأجلها خُلق، فيكوّنه بما يتناسب مع غايته، فلا يُهمل قابليّة، ولا يُعطّل استعداداً قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[1]، وبذلك يكون -تعالى- قد وضع كلّ شيء في موضعه المناسب له تكويناً.

2. **العدل التّشريعي:** وهو أنّه تعالى يُشرِّع الأحكام التي تتكفّل كمال الإنسان وسعادته في كلّ الجوانب المادّيّة والمعنويّة، الدنيويّة والأخرويّة، ولا يُكلِّف نفساً إلّا وسعها، وبذلك يكون قد وضع التّشريع في موضعه المناسب، فيكون عادلاً.

3. **العدل الجزائي:** أي إنّه تعالى يُحاسب ويُجازي ثواباً وعقاباً كلّ نفس بما كسبت، ولا يُعاقب العبد على تكليف إلّا بعد البيان وإلقاء الحجّة عليه، وبهذا يكون قد وضع العقاب والثّواب في موضعهما المناسب.

* دليل العدل الإلهي

الدّليل على وجوب اتّصافه -تعالى- بالعدل هو:

لو لم يكن اللّه عادلاً لاستلزم ذلك نسبة النقص إليه -تعالى-، والنّقص منتفٍ عنه تعالى بالضّرورة، فوجب كونه عادلاً.

توضيح الدليل:

إنّه -تعالى- لو كان يفعل الظّلم والقبح -تعالى عن ذلك-، فإنّ فعل الظلم لا يخلو من أربع صور-أي: إنّ الظّلم مسبَّب لواحد من الأسباب الأربعة:

1. أن يكون صدور الظّلم بسبب الجهل بكون الفعل قبيحاً.

2. أن يكون عالماً بقبح الفعل، ولكنّه فعله لأنّه مجبر على فعله عاجز عن تركه.

---

(1) سورة الأعلى، الآيتان 2 - 3.

3. أن يكون عالماً بقبح الفعل، وغير مجبر عليه، ولكنّه محتاج إلى فعله.

4. أن يكون عالماً بقبح الفعل، وغير مجبر وغير محتاج، ولكنّه فعله عبثاً ولغواً.

هذه هي الصّور والأسباب الأربعة المتصوّرة لصدور الظّلم، فإذا انتفت هذه الأسباب انتفى الظّلم لانتفاء أسبابه، وبالتالي ثبت العدل.

وكلّ هذه الصّور والأسباب مستحيلة على اللَّه -تعالى-، لأنّها تستلزم النّقص فيه.

فالصّورة الأولى تستلزم نسبة الجّهل إليه -تعالى-، وقد ثبت أنّه تعالى عالم مطلق لا يشوب علمه ذرّة من جهل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

والصورة الثّانيّة تنسب إليه العجز مع العلم بأنّه تعالى هو القادر المطلق الّذي لا يتوهّم فيه عجز ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾[2].

والصورة الثّالثة تسند إليه الحاجة والافتقار مع أنّه -تعالى- هو الغنيّ المطلق الّذي يحتاجه كلّ شيء ولا يحتاج إلى شيء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[3].

والصورة الرابعة تخالف الحكمة، وهو تعالى الحكيم الّذي لا يفعل عبثاً ولا لغواً ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[4] وهو -تعالى- كمال محض، منزّه عن فعل أيّ قبيح[5]، ومن خلال السبب الرابع يمكن الإشارة إلى دليل آخر مستقلّ وهو:

(1) سورة الأنفال، الآية 75.
(2) سورة الأحزاب، الآية 27.
(3) سورة فاطر، الآية 15.
(4) سورة الحشر، الآية 1.
(5) انظر: المظفر، الشيخ محمد رضا، عقائد الإمامية، تقديم: الدكتور حامد حفني داود، انتشارات أنصاريان، قم-إيران، لا.ت، لا.ط، ص42-40.

* دليل الحكمة

تقدّم أنّ اللَّه -تعالى- يتّصف بأسمى مراتب القدرة والاختيار، وأنّه قادر على أن يفعل أيّ فعل ممكن الوجود أو لا يفعله، دون أن يخضع لتأثيرات أيّة قوّة تجبره وتقهره، إلّا أنّ اللَّه -تعالى- لا يفعل كلّ ما يقدر عليه من أفعال، وإنّما يفعل ما يريده هو.

وتقدّم أيضاً أنّ إرادته -تعالى- ليست عبثيّة ولا جزافيّة، وإنّما يريد ما يتناسب مع صفاته الكمالية المطلقة، فإذا لم تقتضِ صفاته الكماليّة فعلاً ما، فإنّه لا يصدر منه ذلك الفعل إطلاقاً.

وبما أنّ اللَّه -سبحانه- كمالٌ محض، فإرادته إنّما تتعلّق بالأصالة بجهة كمال المخلوقات وغيرها، وإذا لزم من وجود مخلوق بعض الشرّ والنقص، فإنّ ذلك يكون مقصوداً بالتبع لا بالأصالة، بمعنى أنّ هذا الشرّ لازم لا ينفكّ عن الخير الغالب، لذلك تتعلّق الإرادة بالخير الغالب وبتبعه الشرّ الّذي لا ينفكّ عنه. وبذلك تثبت صفة الحكمة للَّه -سبحانه-. وبالتالي تثبت عدالته -تعالى-[1].

* شبهات وحلول

1. كيف يتلاءم وجود المصائب من أمراض وكوارث طبيعيّة (كالسيول والزّلازل) والمتاعب الاجتماعية (كالحروب وألوان الظّلم المختلفة) مع العدل الإلهيّ؟

الجواب: **أوّلاً:** إنّ الحوادث الطبيعيّة المؤلمة ملازمة لأفعال العوامل المادّيّة وانفعالاتها وتصادمها والتّزاحم فيما بينها، وبما أنّ خيرات هذه العوامل أكثر من شرورها؛ لذلك لا تكون مخالفة للحكمة وبالتّالي مع العدل الإلهي. وكذلك ظهور المتاعب والمفاسد الاجتماعيّة ممّا تقتضيها اختياريّة الإنسان، هذه الاختياريّة الّتي تقتضيها الحكمة الإلهيّة.

(1) لأنّ العدالة على التعريف المتقدّم مساوية للحكمة.

ثانياً: إنّ وجود هذه المتاعب والكوارث والمصائب، تدفع الإنسان -من جهة- إلى البحث عن معرفة أسرار الطّبيعة والكشف عنها، وبذلك تظهر الثّقافات والكشوفات والصّناعات المختلفة، ومن جهة أخرى، فإنّ خوض هذه المتاعب ومواجهتها وعلاجها، له دور كبير في تنمية الطاقات والاستعدادات ورشدها وتفجيرها، وفي تكامل الإنسان ورقيّه وتقدّمه.

وأخيراً: إنّ تحمّل أيّة مصيبة أو ألم، والصّبر عليه، سوف يكون له الثّواب الجزيل في العالم الأبدي، وسوف لا يذهب هدراً، بل يتمّ جبرانه بصورة أفضل، وسيكون الإنسان أسرع تكاملاً ووصولاً لمرتبة القرب من اللّه -تعالى-.

2. كيف يتلاءم العذاب الأبدي للذنوب المحدودة والمؤقّتة التي يرتكبها المذنبون في هذا العالم مع العدل الإلهي؟

الجواب: توجد علاقة علّية وسببيّة بين الأعمال الحسنة والقبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويّين، وقد كشف عنها الوحي الإلهيّ، ونبّه الناس عليها، كما أنّنا نلاحظ في عالم الدّنيا، أنّ هناك بعض الجرائم، تعقبها آثار سيّئة تمتدّ إلى مدّة طويلة، رغم قصر مدّة الجريمة، فمثلاً لو فقأ الإنسان عينه هو، أو عيون الآخرين فأعماها، فإنّ هذا الفعل يتمّ في مدّة قصيرة جدّاً، ولكن نتيجته -وهي العمى- تمتدّ إلى نهاية العمر، كذلك الذّنوب الكبيرة لها آثارها الأخرويّة الأبديّة، وإذا لم يوفّر الإنسان في هذه الدنيا مستلزمات جبرانها، (كالتّوبة مثلاً) فإنّه سوف يعيش آثارها السيّئة إلى الأبد.

فكما أنّ بقاء عمى الإنسان إلى نهاية العمر بجريمة لم تستغرق إلّا لحظة واحدة لا ينافي العدل الإلهيّ، كذلك الابتلاء بالعذاب الأبدي نتيجة لارتكاب الذّنوب الكبيرة لا ينافي العدل الإلهيّ، وذلك لأنّه ناتج عن الذّنب الذي ارتكبه المذنب عن سابق إصرار وتصميم.

خلاصة الدّرس

- الأشاعرة يقولون بالتحسين والتقبيح الشرعيّين، فلا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها بل الحسن ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبّحه.
- معنى الحسن والقبح العقليين هو أن الأفعال بحد ذاتها تملك قيماً ذاتيّة يُدركها العقل، بغضِّ النظر عن حكم الشرع.
- الدليل على الحسن والقبح العقليين هو الوجدان حيث إنّ العقلاء -حتّى المنكرين للشرائع- لا يتردّدون بالحكم على فعل العدل بأنّه حسن، وعلى فعل الظلم بأنّه قبيح.
- العدل هو فعل ما حسّنه العقل وترك ما قبّحه، أو وضع الشيء في موضعه المناسب، أو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.
- العدل التكويني: وهو يعني أنّه -تعالى- يُعطي كلّ موجود في مرحلة تكوينه ما يستحقّه ويحتاجه في مسيرته نحو الغاية الّتي لأجلها خلق.
- العدل التشريعي: وهو يعني أنّه -تعالى- يُشرِّع الأحكام التي تتكفّل بوصول الإنسان إلى السعادة والكمال.
- العدل الجزائي: وهو يعني أنّه -تعالى- يُحاسب ويُجازي ثواباً وعقاباً كلّ نفس بما كسبت، ولا يُعاقب إلّا بعد البيان وإلقاء الحجّة.
- يستدل على العدل الإلهي بأنّه لو لم يكن اللّه -سبحانه- عادلاً لكان ناقصاً، لأنّ الظلم معلول للجهل أو العجز أو الحاجة أو العبث، وكلّ هذا مستحيل على اللّه -تعالى-.
- إنّ المصائب والأمراض لا تتنافى مع العدل الإلهي، وذلك لأنّ خيرها أكثر من شرّها.
- إنّ العقاب الأخروي الأبدي على الذنوب المحدودة والمؤقّتة لا يتنافى مع العدل الإلهي، حيث إنّ هناك علاقة عليّة بين الأعمال الحسنة أو القبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويّين. ونحن نلاحظ في الدنيا جريمة مؤقّتة -كفقءِ العين- تؤدّي إلى العمى الدائم.

أسئلة حول الدرس

1. وضّح رأي الأشاعرة والعدليّة في مسألة التحسين والتقبيح؟ واذكر دليلاً.
2. أشرح معنى العدل، وأقسامه.
3. أذكر الدليل على العدل الإلهيّ.
4. كيف يتناسب العدل الإلهيّ مع وجود الأمراض والمصائب والابتلاءات؟

الدرس التاسع:

النبوّة العامة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى الدليل على ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام.
2. يتعرّف إلى بعض أسباب تعدّد الأنبياء عليهم السلام.
3. يُميز بين معنيي النبي والرسول.
4. يُدرك بعض فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام.

* ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام

إنّ إثبات ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام هي من المسائل المهمّة في مبحث النّبوّة؛ لأنّ البحث في المسائل المرتبطة بالنبوّة، كوجوب النظر في المعجزة، والبحث في دعوى مدّعي النبوّة، ووجوب طاعته وضرورة عصمته وغيرها من الأبحاث، متفرّع على إثبات ضرورة البعثة وعدم استغناء البشر -مهما تكاملت عقولهم وعلومهم- عن الوحي والنبوّة، ليصلوا إلى الهدف الّذي خُلقوا من أجله. ويمكن إثباتها ببرهان مؤلّف من المقدّمات الآتية:

1. **الاختيار الواعي لطريق الكمال:** إنّ الهدف من خلق الإنسان هو السّير في طريق تكامله، من خلال ممارسة الأفعال الاختياريّة لأجل التوصّل إلى كماله النّهائي، وهذا الكمال لا يُتوصّل إليه إلّا باختيار الإنسان وإرادته.

وبتعبير آخر، إنّما خُلق الإنسان ليكون -بعبادته وإطاعته لله -تعالى-- مستحقّاً وأهلاً للحصول على الرّحمة التي يختصّ بها الأفراد المتكاملون.

وقد اتّضحت هذه المقدّمة عند البحث في الحكمة والعدل الإلهيّ.

2. **الاختيار الواعي يحتاج إلى معرفة صحيحة:** إنّ الاختيار الواعي إضافة إلى احتياجه للقدرة على ممارسة العمل، وتوافر الظروف والأجواء الخارجيّة

لممارسة الأعمال المختلفة، ووجود الميل والدّافع الدّاخلي لها، يحتاج أيضاً إلى المعرفة الصّحيحة بالأعمال الحسنة والأعمال القبيحة، والطّرق الصّالحة وغير الصّالحة، وإنّما يتمكّن الإنسان من اختيار طريق تكامله -بكلّ حريّة ووعي- فيما لو كان يعرف الهدف، وطريق الوصول إليه، وكان عارفاً بكلّ العقبات والعراقيل والانحرافات والمزالق، الّتي قد تواجهه أثناء سيره التّكاملي.

إذاً، فمقتضى الحكمة الإلهيّة أنْ تتوافر للبشر الوسائل والمستلزمات الضّروريّة للحصول على مثل هذه المعارف والمدركات، وإلّا فسيكون حاله كحال الشّخص الّذي يدعو ضيفاً إلى داره، ثمّ لا يدلّه على مكانه، ولا على الطّريق المؤدّي إليه! ومن البديهيّ أنّ مثل هذا العمل منافٍ للحكمة، وموجب لنقض الغرض. وهذه المقدّمة واضحة أيضاً.

3. **قصور المعرفة البشرية:** إنّ المعارف والعلوم الّتي أفاضها اللّه -تعالى- على البشر، والّتي تحصل نتيجة التّعاون بين الحسّ والعقل، لها دورٌ فاعلٌ في توفير ما يحتاج إليه الإنسان في حياته، ولكنّها لا تكفي للتّعرّف إلى طريق الكمال والسّعادة الحقيقيّة، وفي جميع المجالات الفرديّة والاجتماعيّة، والمادّيّة والمعنويّة، والدنيويّة والأخرويّة، وإذا لم يوجد طريق آخر لسدّ النّقائص وملء الفجوات، فلن يتحقّق الهدف الإلهي من خلق الإنسان.

ولتوضيح هذه المقدّمة أكثر لا سيما مع تشكيك البعض بها، يقول الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي رحمه الله: «من أجل معرفة الطريق الصحيح للحياة في كلّ أبعادها وجوانبها، لا بدّ من التعرُّف إلى مبدأ وجود الإنسان ومصيره، وعلاقاته بسائر الموجودات، والروابط التي يمكن له إقامتها وعقدها مع بني نوعه وسائر المخلوقات، وتأثير هذه الروابط والعلاقات المختلفة في سعادته وشقائه. وكذلك عليه أن يُحدِّد نسب المنافع والمضار،

ودرجات المصالح والمفاسد المختلفة ومقاديرها، والموازنة بينها، لتتحدَّد بذلك وظائف هذا العدد الكبير من البشر، والذي يتميَّز بخصائص بدنيَّة ونفسيَّة متفاوتة ومتغايرة، وكلٌّ منهم يعيش ظروفاً طبيعيَّة واجتماعيَّة مختلفة، ولكنَّ الإحاطة بكلِّ هذه الأُمور لا تتيسَّر، وليس لفرد أو لجماعة معيَّنة فحسب، بل للآلاف من الجماعات المتخصِّصة، في مختلف العلوم المرتبطة بالإنسان... لا يمكن (لجميع هؤلاء) اكتشاف مثل هذه الدساتير والقواعد وبيانها على شكل قوانين وأحكام دقيقة ومضبوطة ومحدَّدة، لتكفل بذلك توفير كلّ المصالح الفرديَّة والاجتماعيَّة، الماديَّة والمعنويَّة، الدنيويَّة والأُخرويَّة، لكلِّ البشر. وحينما يقع التزاحم والتضادُّ والتعارض بين أنواع المصالح والمفاسد -وكثيراً ما يحصل ذلك- يُعيِّن المصلحة الأهم بدقَّة، ويُقدِّمها في المجال العملي.

إنَّ ما يلاحظ من مسيرة التغيُّرات الحقوقيَّة والقانونيَّة عبر تاريخ البشر مؤشِّر على أنّه لم يوجد حتى اليوم -بالرغم من كلِّ البحوث والجهود التي بذلها الكثير من العلماء المتخصِّصين عبر آلاف السنين- نظام حقوقيٌّ صحيح وكامل وشامل. والملاحظ -أيضاً- أنّ المقنِّنين والمؤسَّسات الحقوقيَّة في العالم، تتوصَّل -دائماً- إلى نقاط الضعف في القوانين الوضعيَّة، ولذلك يحاولون إصلاحها أو تكميلها، بإلغاء مادّة أو نسخها، أو إضافة مادَّة لها أو إلحاق ملاحظة بها.

... (و) ينبغي أن نعلم بأنَّ كلَّ جهود المقنِّنين والحقوقيِّين متوجِّهة لتوفير المصالح الدنيويَّة والاجتماعية، دون الاهتمام بتوفير المصالح الأُخرويَّة وملاحظة مدى عَلاقتها بالمصالح الدنيويَّة والماديَّة، وإذا ما أرادوا الاهتمام بهذا الجانب -الذي يُعتبر أكثر الجوانب أهمِّية في هذا المجال- فإنَّهم لن يتمكَّنوا من الوصول إلى نتائج يقينيَّة قاطعة، وذلك لأنَّ المصالح الماديَّة والدنيويَّة يمكن التعرُّف إليها -إلى حدٍّ ما- وتحديدها، من خلال التجارب العمليَّة. أمّا المصالح المعنويَّة والأُخرويَّة فإنَّها لا تقبل التجربة الحسيَّة، ولا يمكن تقويمها بدقَّة، وحين تتزاحم

وتتعارض مع المصالح الماديَّة والدنيويَّة فلا يمكن التعرُّف إلى معيار لقياس أهمِّية إحداهما.

ومن خلال ملاحظة الحالة الراهنة التي تعيشها القوانين البشريَّة، يمكن لنا تقويم العلم البشري عبر آلاف أو مئات الآلاف من السنين، لنتوصَّل لهذه النتيجة اليقينيَّة: إنَّ الإنسان البدائيَّ أكثر عجزاً من إنسان عصرنا في تحديد الطريق الصحيح للحياة، وعلى فرض وصول إنسان عصرنا إلى نظام حقوقيٍّ صحيح، وكامل، وشامل، من خلال تجارب آلاف السنين، وعلى تقدير القول بأنَّ هذا النظام يتكفَّل توفير السعادة الأبديَّة والأُخرويَّة، فإنَّ هذا السؤال يبقى ملحَّاً: كيف يتلاءم إهمال الأجيال الكثيرة التي عاشت عبر التاريخ الطويل في ظلام جهلها، مع الحكمة الإلهيَّة والهدف من خلقهم»[1]؟

النتيجة:

مع اتضاح المقدّمات السابقة لا بدّ من القول إنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي وضع طريق آخر للبشر -غير الحسّ والعقل- من أجل التعرّف إلى طريق الكمال في كلّ المجالات، حتّى يستطيع البشر الاستفادة منه. وهذا الطّريق هو الوحي الذي يُمكّن من الوصول إلى السّعادة والكمال النّهائي للإنسان.

* تعدّد الأنبياء عليهم السلام

بما أنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت وجود طريق الوحي، لأجل تحقّق الغرض من خلق الإنسان وهو الكمال على مستوى الفرد والمجتمع، وبما أنّ هذا الهدف لا يتحقّق من خلال نبيّ واحد، فكان لا بدّ من تعدّد الأنبياء عليهم السلام قال -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[2].

(1) دروس في العقيدة الإسلامية، للشيخ اليزدي، مصدر مذكور، ج2، ص212-211.
(2) سورة فاطر، الآية 24.

أسباب التعدّد:

هناك عدد من الأسباب لتعدّد الأنبياء عليهم السلام نذكر منها:

1. محدوديّة وقصر عمر الإنسان بما في ذلك الأنبياء عليهم السلام، وعدم وجود ما يقتضي بقاء النّبيّ الأوّل حتّى نهاية العالم.

2. إنّ عدم قدرة الأنبياء عليهم السلام في عصرهم وزمانهم على نشر دعوتهم وتبليغها لكلّ الأمم والشّعوب، فرض ضرورة تعدّد الأنبياء عليهم السلام حتّى في عصر واحد، كما في نبوّة إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام.

3. تطوّر المجتمعات، وتغيّر الظّروف، وتوسّع وتعقّد العلاقات الاجتماعيّة، حيث يصل إلى حدّ يُحتاج فيه إلى تطوير الأحكام والقوانين الاجتماعيّة والفرديّة كمّاً ونوعاً، إضافة إلى تشريعات جديدة لم تكن تحتاجها المجتمعات السّابقة أساساً، وهذا يفرض وصول هذه التّشريعات على يد أنبياءَ جدد.

4. وقوع التّحريف العمديّ أو التّفسير والفهم الخاطئ الذي يصل إلى حدّ الانحراف عن المسار الّذي يريده اللّه -تعالى-، كما حصل في التوراة والإنجيل.

5. لهذه الأسباب وغيرها كان لا بدّ من تعدّد الأنبياء عليهم السلام ، وكلّ نبيّ أدّى دوره المطلوب منه على أحسن وجه، وكانت دعوته مهمّة وصائبة، إلّا أنّ دورها ينتهي لتبدأ دعوة أخرى، وهكذا يستمرّ تكامل المجتمعات تبعاً لتكامل الدعوات، ولذلك يجب الإيمان والاعتقاد بكلّ الأنبياء عليهم السلام قال -تعالى-: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1].

(1) سورة البقرة، الآية 136.

* النّبيّ والرّسول وأولو العزم

النّبيّ لغةً: قال الراغب في المفردات: النبيُّ بغير همْز ... قال بعضُ العلماء: هو من النَّبْوَة، أي: الرِّفعة، وسمّي نَبيًّا لرِفْعة محلّه عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1]. فالنَّبِيُّ بغير الهمْز أبلغ من النَّبيء بالهمْز، لأنه ليس كلّ مُنَبَّإٍ رفيعَ القَدْر والمحلِّ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال: يا نَبيءَ اللَّه فقال: «**لَسْتُ بِنَبيءِ اللَّه ولكنْ نَبيُّ اللَّه**»[2].

واصطلاحاً: «هو الإنسان المُخبر عن الله -تعالى- بغير واسطة أحد من البشر»[3].

وعن شارح المقاصد النّبوّة هو كون الإنسان مبعوثاً من الحقّ إلى الخلق، فإن كان النّبيّ مأخوذاً من النّباوة وهو الارتفاع لعلوّ شأنه وارتفاع مكانه، أو من النبيّ بمعنى الطريق لكونه وسيلة إلى الحقّ، فالنبوّة على الأصل كالأبوّة، وإن كان من النّبأ بمعنى الخبر لإنبائه عن اللَّه -تعالى- فعلى قلب الهمزة واواً ثمّ الإدغام كالمروّة.

الرّسول: هو خصوص النبي المأمور بتبليغ الرسالة الخاصة الموحاة إليه.

ثم إنّ الفرق بين النبي والرسول هو: «أنّ النبي هو الذي يبيّن للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه، على ما اقتضته عناية اللَّه -تعالى- من هداية الناس إلى سعادتهم، والرسول هو الحامل لرسالة خاصة مشتملة على إتمام الحجة، يستتبع مخالفته هلاكاً أو عذاباً أو نحو ذلك. فالنسبة بين النبي والرسول هي العموم والخصوص المطلق مورداً إذ كلّ

(1) سورة مريم، الآية 57.
(2) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر الكتاب، لا.م، 1404هـ، ط2، مادة نبى، ص482.
(3) السيوري، المقداد، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، 1417-1996م، ط2، 81.

رسول نبي دون العكس، لجواز أن يكون النبي غير رسول كما لا يخفى»[1].

أولو العزم[2]: هم خصوص من امتاز من الرسل بالصّبر والاستقامة الشديدين. وامتازوا أيضاً بأنّ لكلّ واحد منهم كتاباً وشريعة مستقلّة، يتبعها الأنبياء المعاصرون لهم والمتأخّرون عنهم إلى أن يبعث اللَّه -تعالى- نبيّاً آخر من أولي العزم برسالة وشريعة جديدة، قال -تعالى-: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3]. وهذه المعاني المذكورة موافقة للمعنى اللغويّ، وقد ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**النبيّ الّذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يرى الملك، والرسول الّذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويُعاين الملك...**»[4].

وقال -تعالى-: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾[5].

وفي الخبر عن أبي ذر: «قلتُ: يا رسول اللَّه كم النّبيّون؟ **قال: مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ**، قلتُ: كم المرسلون منهم؟ قال: **ثلاث مئة وثلاثة عشر جماً غفيراً**»[6].

وفي الخبر عن أبي جعفر عليه السلام: «**أولو العزم من الرّسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليهم أجمعين**»[7].

(1) بداية المعارف الإلهيّة في شرح العقائد الإماميّة، للخرازي، ج1، ص213.
(2) ففي تفسير القمي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله -تعالى-: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ **الآية، قال: وهو نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وآله، ومعنى أولي العزم أنهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار باللَّه والإقرار بكل نبي كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى».** (القمّيّ، عليّ بن إبراهيم بن هاشم، تفسير القمّيّ، تصحيح وتعليق وتقديم: السيّد طيّب الموسويّ الجزائريّ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران -قمّ، 1404هـ ط3، ج2، ص300).
(3) سورة الأحقاف، الآية 35.
(4) الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص176.
(5) سورة الشورى، الآية 13.
(6) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج11، ص32.
(7) المصدر نفسه، ج11، ص33.

* فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام

إنّ الهدف والغاية الأولى من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو هداية البشريّة إلى الطّريق الصّحيح للتكامل الحقيقيّ، وتلقّي الوحي وإبلاغه للنّاس، إلّا أنّ لها فوائد أخرى مهمّة في تكامل البشر، وأهمّها ما يلي:

1. توجد الكثير من المعلومات، الّتي يمكن للعقل الإنساني إدراكها، ولكنّه ربّما غفل عنها معظم النّاس، فيحتاجون إلى من يُذكّرهم بها وهم الأنبياء، ومن هنا يُعرف السّبب في إطلاق صفتي «**المذكِّر والنذير**» على الأنبياء عليهم السلام، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويُذكّروهم منسيَّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ**»[1].

2. إنّ أهمّ العوامل التي لها تأثيرها الفاعل في التّربية، وفي رشد الإنسان وتكامله، وجود القدوة والأسوة. والأنبياء الإلهيّون الذين يجسدون الإنسان الكامل، هم أعظم مثال للاقتداء والتأسّي، وفي مقدّمتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[2]، فالأنبياء هم القدوة والمثل الأعلى الّذي يحتاجه كلّ سالك في طريق الكمال، حيث يقومون بمهمّة تربية النّاس وتزكيتهم، والقرآن الكريم ربط بين التّعليم والتّزكية، حتّى إنّه في بعض الآيات قدّم التّزكية على التّعليم. قال -تعالى-: ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[3].

3. ومن معطيات وفوائد وجود الأنبياء عليهم السلام بين النّاس، تولّي القيادة في المجالات الاجتماعيّة والسياسيّة والقضائيّة، حينما تتوافر الظّروف اللّازمة لذلك، وبديهيّ أنّ القائد المعصوم من أعظم النّعم الإلهيّة للمجتمع، حيث

(1) نهج البلاغة، ج1، ص33، خ1.
(2) سورة الأحزاب، الآية 21.
(3) سورة الجمعة، الآية 2.

تُعالج بواسطته الكثير من المعضلات والمشكلات الاجتماعية، ويتمّ إنقاذ الأمّة من الاختلاف والتنازع والفوضى والانحراف، ليقودها باتّجاه كمالها المنشود.

* إثبات الأنبياء عليهم السلام في كلام المعصوم عليه السلام

سأل رجل الإمام الصّادق عليه السلام: من أين أثبتَّ الأنبياء والرّسل عليهم السلام؟ فقال عليه السلام: **«إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا، وعن جميع الخلق، ولما كان الصّانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يُشاهده خلقه، ولا يُلامسوه، فيُباشرهم ويباشرونه، ويُحاجّهم ويُحاجّونه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يُعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والنّاهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه -جلّ وعزَّ-، وهم الأنبياء عليهم السلام، وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للنّاس -على مشاركتهم لهم في الخلق والتّركيب- في شيء من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرّسل والأنبياء عليهم السلام من الدّلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجّة، يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته، وجواز عدالته»**[1].

(1) الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص168.

خلاصة الدرس

- إنّ الهدف من خلق الإنسان هو الوصول إلى الكمال باختياره.

- اختيار طريق الكمال يحتاج إلى معرفة صحيحة بكيفيّة الوصول إلى الكمال.

- المعرفة البشريّة قاصرة عن معرفة كيفيّة الوصول إلى الكمال.

- لا بدّ من الأنبياء عليهم السلام الموحى إليهم من اللَّه -تعالى- ليُعرِّفوا البشر على طريق الكمال.

- النبيّ: هو الإنسان المُخبر عن اللَّه -تعالى- بغير واسطة أحد من البشر.

- الرسول: هو خصوص النبي المأمور بتبليغ الرسالة الخاصة الموحاة إليه.

- أولو العزم: خصوص من كان له كتاب وشريعة، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام.

- **من فوائد بعثة الأنبياء:**

1 - الهداية والتذكير والإنذار وإثارة الفطرة.

2 - كون الأنبياء عليهم السلام قدوة، والقدوة لها تأثير فاعل في التربية.

3 - تولّي قيادة المجتمع إذا توافرت الظروف.

أسئلة حول الدرس

1. تحدّث باختصار عن مقدّمات دليل (ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام).
2. تحدّث بوضوح وتفصيل عن قصور المعرفة البشريّة.
3. ما هي الأسباب الّتي أدّت إلى تعدّد الأنبياء عليهم السلام؟
4. ما هي فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام؟

الدرس العاشر:

صيانة الوحي وعصمة الأنبياء عليهم السلام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يُدرك ضرورة صيانة الوحي.
2. يتعرّف إلى معنى العصمة.
3. يتعرّف إلى دليل عقلي على عصمة الأنبياء عليهم السلام.
4. يتعرّف إلى دليل نقلي على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

* تمهيد

إنّ لمبحث عصمة الأنبياء عليهم السلام أهميّة كبرى، تظهر بجلاء عند الاطّلاع على آثارها، والّتي تعادل في أهميّتها مبحث النبوّة، وقد تنوّعت المباحث حول العصمة، وسيتّضح هذا التنوّع، وتظهر تلك الأهمّية من خلال الاطلاع على العناوين والمباحث الآتية.

* تعريف العصمة

العصمة هي: «لطف يفعله اللَّه -تعالى- بالمكلّف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما»(1).

إذاً العصمة هي لطفٌ ورحمة وفضل من اللَّه -تعالى- للشخص المعصوم بحيث يصبح معها ذا ملكة نفسانيّة راسخة وقويّة تدفعه نحو الطّاعة، وتمنعه من ارتكاب المعاصي باختياره، أي: مع قدرته عليها. فالشّجاعة مثلاً هي ملكة نفسانيّة تدفع صاحبها لخوض الحرب وتمنعه من الفرار باختياره مع قدرته على الفرار، والإنسان العاقل بما هو عاقل يستحيل أن يُقدم على قتل ولده باختياره، مع أنّه قادر تكويناً على ذلك، وعليه فالملكات النفسانيّة لا تسلب صاحبها الاختيار -كما هو واضح- مهما اشتدّت الظروف.

---

(1) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، النكت الإعتقادية، تحقيق: رضا المختاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، 1414هـ-1993م، ط2، ص37.

تنبيه:

بما أنّ ملكة العصمة -محلّ الكلام- لا تحصل إلّا بعناية إلهيّة خاصّة، لذلك تنسب وتسند فاعليّتها وتأثيرها إلى اللَّه -تعالى-، فيقال مثلاً: عصمه الله -تعالى- أو العصمة الإلهيّة، وتلك النّسبة إلى اللَّه -تعالى- لا تعني الجبر على ترك المعاصي.

* مجالات العصمة

1. العصمة في تلقّي الوحي وتبليغه

لقد تمّ إثبات ضرورة وجود أنبياء يتلقّون الوحي من اللَّه -تعالى-، ليبلّغوه للنّاس، فيتحقّق بذلك الهدف من إرسال الأنبياء عليهم السلام ومن خلق الإنسان، إلّا أنّ هذا الهدف يتوقّف تحقّقه على كون الوحي مصاناً من أيّ نوع من أنواع التّحريف أيضاً، بل حتّى احتمال التّحريف عمداً أو سهواً؛ وذلك لأنّ الاستفادة من الوحي، وكون الوحي حجّة على النّاس تعتمد على مدى ثقة النّاس بصحّة هذا الوحي، وأيّ احتمال للتّحريف يزعزع ثقة النّاس بالوحي، وبالتّالي يفقد حجيّته فينتقض الغرض منه، فضلاً عن وقوع التّحريف فعلاً المؤدّي إلى انحراف المسار التكامليّ للإنسان، وفقدان المصالح المترتّبة عليه، وبالتّالي انتقاض الغرض من إنزال الوحي وإرسال الأنبياء عليهم السلام، وهذا كما ذُكر مخالف للحكمة، ولا يفعله الحكيم، خاصّة وأنّ عامّة النّاس لا يقدرون على الاتّصال المباشر باللَّه -تعالى- للتأكّد من صحّة الوحي، وبهذا ينحصر تحقّق الغرض من الوحي بعصمة ملائكة الوحي والأنبياء عليهم السلام في مجالي تحمّل الوحي وتبليغه، ليصل إلى النّاس كما أوحاه اللَّه -تعالى-، ويشير إلى ما ذكر قوله -تعالى-: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[1]. فأشار -تعالى-

(1) سورة الجن، الآيات 26 - 28.

في الآية إلى وجود حفظة تصون الوحي من التّحريف، وتصون الأنبياء عليهم السلام من الخطأ فيه حتّى يبلغ النّاس كما هو من دون تغيير.

2. العصمة عن المعصية

الأقوال في المسألة:

لقد وقع خلاف بين الفرق الإسلاميّة حول مدى تنزيه الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم من ارتكاب المعاصي والذّنوب، فالشّيعة الإماميّة يعتقدون بأنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها منذ الولادة حتّى الوفاة، فلا تصدر المعصية منهم ولو سهواً ونسياناً.

وذهبت بعض الفرق إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر دون الصّغائر.

وثالثة قالت بعصمتهم، من سنّ البلوغ دون ما قبله.

ورابعة قالت بعصمتهم بعد النّبوّة.

وأخيراً هناك من نفى وأنكر عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، وهم الحشويّة وبعض أهل الحديث، وقالوا بإمكان صدور المعصية منهم حتّى عمداً[1].

* السّرّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام عن المعصية

تعتمد ملكة العصمة في تكوّنها وحصولها على ركنين أساسيّين هما:

1. علم ووعي تامّ ودائم بحقيقة المعصية وعواقبها.

2. إرادة قويّة على ضبط الميول النفسيّة.

(1) انظر: الشيخ محمد حسن المظفر، دلائل الصدق لنهج الحق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، سوريا -دمشق، 1422هـ ط1، ج4، ص28 وما بعد.

تقدّمت الإشارة إلى ضرورة عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجالين، الأوّل في تلقّي الوحي والثّاني في تبليغ الوحي والالتزام العملي بمقتضاه.

أمّا سرّ عصمتهم في المجال الأوّل، فهو أنّ إدراك الوحي بالنّسبة إلى الأنبياء عليهم السلام من قبيل الإدراكات الّتي لا تحتمل الخطأ، لأنّ إدراك النّبيّ للحقائق العلميّة الموحاة إليه إدراك حضوريّ لا يقبل الشّكّ والتّردّد، وقد أكّد القرآن ذلك بقوله -تعالى-: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1].

وبهذا يظهر أنّ ما ذُكر من قصص وحكايات عن شكّ نبيّ بنبوّته، أو جهله بأنّ ما سمعه وحي من الله -تعالى- وغير ذلك، إنّما هي حكايات موضوعة ومكذوبة.

وأمّا سرّ عصمتهم في المجال الثّاني: فيحتاج إلى مقدّمة وهي: أنّ الأفعال البشريّة إنّما تحصل نتيجة إرادة الإنسان للفعل، وهذه الإرادة تتوقّف على حصول مَيْل في داخل الإنسان لتحقيق أمر يُرغب فيه، وهذه الرّغبة تتحرّك نتيجة عوامل ومؤثّرات نفسيّة وخارجيّة مختلفة فيُحدّد الإنسان -حينئذ- طريق الوصول إلى هدفه المنشود، فإن تمّت الإرادة، أقدم حينئذ على العمل المطلوب. وعلى فرض تعدّد الميول والرّغبات وتعارضها وتزاحمها، فإنّه يسعى قدر جهده لتحديد أفضلها وأكثرها قيمة وأهميّة، فيختاره عمليًّا. ولكنّه أحياناً -ونتيجة لنقص في علمه وقصور في معرفته- يُخطئ في تقييم الأفضل وتحديده، أو أنّه لغفلته عن الأصلح، أو نتيجة اعتياده على الأمر الأسوأ يُسيء الاختيار، ولا يبقى لديه مجال للتّفكير الصحيح واختيار الأصلح. إذاً فكلّما كان الإنسان أكثر معرفة بالحقائق، وكان بالنّسبة إليها أكثر وعياً وتوجّهاً، وثباتاً، وأقوى إرادة على ضبط الميول والانفعالات الداخليّة، فإنّه سيكون أفضل في حسن اختياره، وسيكون أكثر مناعة من الانحرافات والعثرات.

(1) سورة النجم، الآية 11.

ومن هنا فإنّ بعض الأفراد المؤهّلين ومن ذوي الاستعدادات العالية، الّذين توفّروا على الثّقافة اللّازمة والوعي الضّروري ونعموا بالتّربية الصحيحة، سوف يتوصّلون إلى مراحل مختلفة من الكمال والفضيلة، وربما يقتربون من حدود العصمة، بل ولا يخطر في أذهانهم مجرّد التّفكير باقتراف الذّنب والعمل السيّئ، كما لا يُفكّر أيّ عاقل بشرب السمّ أو تناول الأشياء القذرة والعفنة.

* النتيجة

لو فرضنا أنّ إنساناً بلغ الغاية في استعداده لإدراك الحقائق -كالأنبياء عليهم السلام وارتفع صفاء روحه وقلبه إلى أسمى المستويات والدرجات، وكما يُعبّر القرآن ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[1]، وبسبب هذا الاستعداد القويّ والصفاء الذاتيّ، تتولّاه التّربية الإلهيّة، ويؤيَّد بروح القدس، فإنّ هذا الإنسان سوف يطوي مدارج الكمال بسرعة لا توصف، وربما تفوّق على الآخرين حتّى في مرحلة طفولته، بل حتّى وهو جنين، وتظهر لمثل هذا الإنسان قبح المعاصي والذّنوب، تماماً كظهور ضرر السمّ ووضوحه، وقبح الأشياء العفنة والقذرة، بل الاشمئزاز منها للآخرين، بل أشدّ وأوضح، إضافة إلى الإرادة القويّة، فيمتنع عن ارتكاب المحرّمات والقبائح، بل لا يُفكّر فيها، ويمتنع عنها باختياره، كما هو الحال فيمن أدرك أنّ هذا السّائل سمٌّ قاتل، فإنّه لا يُفكّر بالإقدام على شربه وإن اشتدّ به العطش.

* الأدلّة العقليّة على العصمة

إنّ مخالفة أفعال الأنبياء عليهم السلام لأقوالهم ومباينة سلوكهم لكلامهم يترك أثره في مجالين أساسين هما:

1. الهداية والتّعليم
2. التّزكية والتّربية

(1) سورة النّور، الآية 35.

1. دليل الهداية والتّعليم

بما أنّ الهدف الأساس من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو هداية البشر للحقائق وتعليمهم الوظائف والأحكام الإلهيّة، ومن الواضح والمعلوم أنّ التعليم والبيان يحصل من خلال الكلام تارة، ومن خلال الفعل تارة أخرى، والبيان من خلال الفعل قد يكون أقوى تأثيراً منه بالكلام، فلو فرض مخالفة النّبيّ لأقواله من خلال الفعل المناقض لها، فإنّ النّاس سيفقدون الثّقة بأقوال الأنبياء عليهم السلام، وبالتّالي سينتقض الغرض والهدف من بعثتهم، ونقض الغرض قبيح ومخالف للحكمة، فوجبت عصمة الأنبياء عليهم السلام لانحصار تحقّق الغرض من خلالها.

2. دليل التّربية والتّزكية

إنّ من جملة وظائف وأدوار الأنبياء عليهم السلام دفع النّاس لتربية نفوسهم وتزكيتها، ووجود القدوة الحسنة والمثل الأعلى في عمليّة التزكية أمر لا بُدّ منه ولا غنى عنه، ولا يصحّ أن يكون القدوة إلّا من بلغ أسمى درجات الكمال الإنساني المتجلّية بالعصمة، إضافة إلى أنّ التزام المربّي وسلوكه الموافق لأقواله له الأثر الكبير في دفع الآخرين إلى تربية نفوسهم وتزكيتها، وعليه فإنّ تحقّق الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام بصورة كاملة باللّحاظ التّربوي لن يتحقّق دون العصمة في الأقوال والأفعال.

* الأدلّة النّقليّة على العصمة

لقد أولت الآيات القرآنيّة الكريمة والرّوايات الشريفة أهميّة كبرى لعصمة الأنبياء عليهم السلام، فورد العديد منها ممّا يمكن الاستدلال به على العصمة، ولكن المقام يقتضي الاختصار والاقتصار على بعض الآيات والروايات.

الآية الأولى:

لقد استعمل القرآن الكريم كلمة (مخلَص) بفتح اللّام، وهي -اسم مفعول-

وتعني أنّ الله -تعالى- جعله خالصاً، وهي مغايرة لكلمة (مخلِص) بكسر اللّام -اسم فاعل- وتعني الإخلاص لله -سبحانه-، ومحلّ الكلام هو المعنى الأوّل، ومن خصائص المخلَص -بالفتح- أنّه لا يقدر أحد على إغوائه حتّى إبليس، قال -تعالى-: -حكاية عن إبليس- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]، وعدم تعرّض إبليس لإغواء المخلَصين نابع من علمه بالعجز عن إغوائهم، وما ذلك إلّا لما تمتّعوا به من تنزيه من الضّلال وعصمة من الآثام والذّنوب، وعليه يكون اصطلاح مخلَص، -بالفتح- مساوٍ لمصطلح (معصوم)، ولا شكّ بأنّ الأنبياء عليهم السلام من أبرز المخلَصين، ويؤكّد ما ذُكر أنّ القرآن نسب (المخلَص) لعدد من الأنبياء عليهم السلام، وفي آيات عدّة:

قال -تعالى-: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[2].

وقال -تعالى-: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[3].

ووصف -تعالى- النبيّ يوسف عليه السلام بالمخلَص في قوله -تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[4]، وبهذه الآيات تثبت عصمة عدد من الأنبياء عليهم السلام.

الآية الثّانية:

قال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾[5].

لقد أوجب اللَّه -تعالى- على النّاس إطاعة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، ولم يرضَ -بمخالفتهم، والطّاعة المطلقة لا تتناسب مع احتمال وقوع الأنبياء عليهم السلام بالخطأ

(1) سورة ص، الآيتان 82 - 83.
(2) السورة نفسها، الآيتان 45 - 46.
(3) سورة مريم، الآية 51.
(4) سورة يوسف، الآية 24.
(5) سورة النساء، الآية 64.

والانحراف بل تُنافيها، إذ لو فُرض وقوع الانحراف والخطأ فلا يبقى أيّ معنى للطّاعة؛ لأنّ الطّاعة حينئذ تعني أنّه تعالى يرضى بالانحراف وهو قبيح لا يفعله المولى -عزّ وجلَّ-، فالطاعةً المطلقة ملازمة للعصمة، لا تنفكّ عنها.

الآية الثّالثة:

ورد في القرآن الكريم قوله -تعالى-: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فقد طلب النّبيّ إبراهيم عليه السلام منصب الإمامة لذريّته، أو سأل عمّن ينالها من ذريّته، فجاءه الجواب بأنّ المناصب الإلهيّة كالنّبوّة والإمامة لا ينالها من تلوّث ب (الظلم)، ومن الواضح أنّ كلّ معصية هي ظلم للنّفس على كلّ حال؛ لأنّ المعصية إن لم تتعلّق بالغير كانت ظلماً للنّفس فقط، وإن تعلّقت بالغير كانت ظلماً للنّفس وللغير، وعليه فكلّ عاص ومذنب ظالم في المصطلح القرآنيّ قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2]، فالآية تدلّ على أنّ الأنبياء عليهم السلام منزّهون عن كلّ ظلم ومعصية، وهو معنى العصمة، وبهذا المقدار يظهر جليّاً، أنّ عصمة الأنبياء عليهم السلام أمرٌ ضروريّ عقلاً وقد أكّدته الآيات الّتي تمّ عرضها آنفاً.

* تنبيه مهم

تقدّم أنّ العصمة ملكة نفسانيّة تمنع صاحبها من ارتكاب المعاصي مع قدرته عليها، فالعصمة حركة فرديّة، وكمال شخصيّ، يختصّ بصاحبه، بينما الرسالة والإمامة تفرضها حاجة المجتمع إلى التّشريع والقيادة اللّذين يتحقّقان بالرسالة والإمامة. فقد يتحلّى الإنسان بالعصمة من دون أن يكون نبيّاً أو إماماً،

(1) سورة البقرة، الآية 124.
(2) السورة نفسها، الآية 229.

وذلك لعدم حاجة المجتمع إليهما، وعليه فكلّ نبيّ أو إمام معصوم، وليس كلّ معصوم يجب أن يكون نبيّاً أو إماماً، ومن هنا قالت الشّيعة بعصمة الزهراء عليها السلام، وعصمة السّيّدة مريم عليها السلام، وذلك لقيام الدّليل على عصمتهما، وقد يوجد من هو معصوم غيرهما إلّا أنّ التّمييز بين المعصوم وغيره يتوقّف على البيان الإلهي؛ لأنّه -تعالى- هو المطّلع على هذه الصّفة دون غيره.

خلاصة الدرس

- الشيعة تقول بعصمة الأنبياء عليهم السلام من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سهواً وعمداً منذ الولادة حتّى الوفاة.
- العصمة هي ملكة نفسانيّة راسخة تدفع صاحبها نحو الطاعة وتمنعه عن المعاصي باختياره.
- سرّ عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال تلقّي الوحي وتبليغه هو كون الأنبياء عليهم السلام علمهم بالوحي حضوري لا يقبل الشكّ والتردُّد.
- سرّ عصمة الأنبياء عليهم السلام عن المعصية كونهم بلغوا الغاية في إدراك الحقائق وصفاء روحهم وقوّة إرادتهم، وبسبب هذا الاستعداد تتولّاه العناية الإلهيّة الخاصّة.
- إنّ من أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام الهداية والتعليم، فلو فرض معصية الأنبياء عليهم السلام لَفقدَ الناس الثقة بهم، وبالتّالي انتقض الغرض من بعثتهم، ونقض الغرض قبيح ومخالف للحكمة.
- إنّ من أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام التربية والتزكية، فلو فرض معصيتهم، لفقد الناس القدوة، والّتي لها دور كبير في عمليّة التربية والتزكية.
- يقول -تعالى-: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ والأنبياء عليهم السلام هم من المخلَصين، فلا يقعون تحت غواية الشيطان.
- يقول -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ والأمر بإطاعة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً لا يتناسب مع معصيتهم.
- يقول -تعالى-: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فالمناصب الإلهيّة كالنبوّة والإمامة لا ينالها الظالم، والظالم بالمصطلح القرآنيّ هو كلّ عاصٍ ومذنب.

أسئلة حول الدرس

1. عرّف العصمة، وما المقصود من العصمة المنزّه عنها المعصوم.
2. اذكر دليلاً عقليّاً على عصمة الأنبياء عليهم السلام.
3. بيّن كيفيّة الاستدلال بآية الابتلاء على العصمة.
4. عدّد الأقوال والآراء حول عصمة الأنبياء عليهم السلام.

الدرس الحادي عشر:

شبهات حول العصمة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى قواعد فهم مراد المتكلّم.
2. يُفرّق بين نوعي الأوامر الإلهية.
3. يتعرّف إلى بعض الشبهات التي أُثيرت حول بعض الأنبياء عليهم السلام.

* تمهيد

هناك العديد من الآيات القرآنيّة التي نسبت صدور أفعال من الأنبياء عليهم السلام، قد يظهر منها ما يُنافي عصمتهم، إضافة إلى ما ورد عنهم عليهم السلام وعن الأئمّة عليهم السلام في أدعيتهم ومناجاتهم من الاستغفار والتّوبة، الذي يوهم ارتكابهم المعاصي واقترافهم للذّنوب، فكيف نتعامل مع مثل هذه النصوص؟

* الجواب: يقع في مقامين

المقام الأوّل: إنّ فهم مراد المتكلّم من كلامه يعتمد على القرائن المحيطة بكلامه سواء كانت القرائن لفظيّة أو حاليّة أو عقليّة، لما لها من أثر مهمّ في معرفة مقصود المتكلّم ومراده ، وكذلك لها أثر في تحديد وجهة الفعل الصّادر من فاعله، فإذا قام الدّليل العقلي القطعي على أمر ما، وورد دليل لفظي من الشارع الحكيم ظاهره مخالف لحكم العقل القطعي، فالدّليل العقليّ يُشكّل قرينة متّصلة بالكلام تُغيّر ظاهر الدّليل اللّفظي، وتفرض فهمه بكيفيّة تتوافق مع هذا الدّليل العقليّ كما هو الحال -مثلاً- مع الآيات والرّوايات الّتي قد يظهر منها ابتداءً وبلا تأمّل التّشبيه والتّجسيم لله -تعالى-، فإنّه لا بُدّ من التّعامل معها على أساس الظّهور المعتمد على القرينة العقليّة القطعيّة، والّتي تُعيّن المعنى المراد والموافق للتّنزيه- وذلك

بعدما قام الدّليل العقليّ على وجوب التّنزيه وامتناع التّجسيم. وبهذه الطريقة تمّ التّعاطي مع قوله -تعالى-: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[1]، وغيرها من الآيات الّتي توهم التّجسيم والتّشبيه، حيث فُسِّرت اليد بالقدرة، بل هو المعنى الصّحيح الظّاهر من لفظ اليد، بالاعتماد على القرينة العقليّة الّتي قامت على استحالة التّجسيم. وهذا ليس تأويلاً وحملاً للكلام على خلاف ظاهره، بل هذا ما يُفهم من ظاهر الكلام مع التوجّه للقرينة العقليّة حال استماع هكذا كلام.

وكذلك الحال بالنّسبة إلى عصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، فإنّ الدّليل العقليّ -الّذي تقدّم ذكره- والّذي أثبت عصمتهم عليهم السلام يُشكّل قرينة لا يمكن إغفالها، لما لها من دور في تحديد المعنى المقصود من أيّ كلام أو فعل يصدر عنهم عليهم السلام قد يتوهّم منه ما يُخالف عصمتهم؛ فيتعيّن حينئذ حمل الكلام على معناه الظّاهر المعتمد على تلك القرينة العقليّة، وهذه هي الطريقة العقلائيّة في الفهم والتّفهيم المتّفق عليها بين العقلاء، وكذلك الحال في القرائن اللّفظيّة؛ إذ لا بُدّ من تتبّع وجمع الآيات والرّوايات المرتبطة بموضوع معيّن حتّى تتشكّل من خلالها الصّورة الصّحيحة والكاملة للمفهوم المراد، لأنّ الاجتزاء والاكتفاء ببعضها، يؤدّي إلى انحراف الباحث عن الحقيقة الّتي يطلبها -حسب الفرض- وبعد هذا البيان أصبح بالإمكان شرح المقام الثّاني من الجواب.

المقام الثّاني: ويستعرض فيه جملة مفاهيم ومصطلحات ترجع إليها مجمل الشّبهات المطروحة، بحيث يرتفع الشّك والشّبهة بمجرّد توضيحها وفهمها بشكل صحيح.

1. إنّ الأوامر والنواهي الإلهية تنقسم إلى قسمين:

أ. أوامر ونواهٍ مولويّة: وهي تكاليف شرعيّة إلزامية يترتّب على تأديتها المدح والثواب، وعلى مخالفتها الذّم والعقاب، ومخالفة هذه التّكاليف هو الّذي يتنافى مع العصمة.

(1) سورة الفتح، الآية 10.

ب. أوامر ونواهٍ إرشادية، وإنّما هي مجرّد إرشاد وتوجيه للمصلحة والمفسدة في المأمور به والمنهي عنه؛ ولذلك لا يترتّب على مخالفة المنهي عنه العقاب، بل يتحمّل المخالف لها الآثار الوضعيّة والتكوينيّة المترتّبة عليها، وحالها حال نهي الطّبيب مريضه عن تناول طعام معيّن، فلو خالف المريض نهي الطبيب، فإنّه لا يترتّب عليه عقاب، ولكنّه يتحمّل الآلام المترتّبة على تناول الطّعام المنهي عنه.

وعليه فارتكاب هذا القسم من المخالفة لا ينافي العصمة، فإنّه قد لا يترتّب عليه لوم وعتاب فضلاً عن الذّمّ والعقاب.

2. ترك الأولى:

يجب إعادة التأكيد على أنّ الفعل الّذي يتنافى مع العصمة، هو خصوص الفعل المحرّم شرعاً، أو ترك الواجب كذلك، أمّا ما يُصطلح عليه بـ «**ترك الأولى**»، فإنّه لا يُنافي العصمة، فالإنسان المؤمن إذا ارتقى في درجات الإيمان، فلن يترك صلاة اللّيل، فإذا نام عنها ولو لمرّة واحدة، ستجده واقفاً بين يدي ربّه مستغفراً تائباً وكأنّه ارتكب فعلاً محرّماً، بل قد يشعر شعور المذنب حقيقة، فإذا كان هذا حال الإنسان العادي، فكيف بالأنبياء والأئمّة عليهم السلام وغيرهم من المعصومين؟! فإنّهم يشعرون بالذّنب لمجرّد الالتفات عن الخالق ولو كان التفاته لسبب ضروري، لأنّ له من المعرفة والارتباط باللّه -تعالى- والشّوق للمثول بين يديه ما لا يُدركه غيرهم من الناس مهما بلغوا في مراتب عبوديّتهم.

3. الذنب والمعصية لغة:

توجد ألفاظٌ حُمّلت معاني أخصّ من معناها الحقيقيّ الأصليّ، فأصبحت بذلك مرادفة للفظ الحرام -أي مخالفة الأمر الإلهيّ الإلزاميّ-، وهذا ما أوقع بعض المفسّرين والمتكلّمين في الاشتباه مثل كلمة (ذنب) و(معصية)، فإنّها لا تختصّ بمخالفة أوامر اللّه -تعالى- فقط، فالمعصية تعمّ كلّ مخالفة للطّلب ولو لم يكن

صادراً من اللَّه -تعالى- فيُقال: (عصى التلميذ أستاذه)، والذّنب: هو كلّ فعل يستحقّ فاعله عليه العقاب بنظر من صدر بحقّه هذا الفعل؛ لأنّه يُعْتبَر جرماً بنظره، ومثاله قوله -تعالى- حكاية عن النّبيّ موسى عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾[1]، فهو ذنب بنظر فرعون وقومه يستحقّ عليه النّبيّ موسى عليه السلام العقاب بنظر فرعون، وهذا لا يعني أنّه ذنب وجرم عند اللَّه -تعالى-، وعليه ينبغي التأمّل عندما نقرأ أو نسمع بمعصوم استعمل هكذا ألفاظ، إذ يجب حملها على معناها الحقيقي الأعمّ من الحرام ولا يساويه.

* إيّاك أعني واسمعي يا جارة

إنّه ممّا لا شكّ ولا ريب فيه أنّ من أهمّ وظائف الأنبياء والأئمة عليهم السلام هو دور تربية النّاس ودفعهم لتزكية أنفسهم، وتعليمهم كيفيّة التّعامل مع أنفسهم ومع ربّهم ومع المجتمع، ومن المعروف أنّ من جملة الأساليب التربويّة -في بعض الحالات- هو توجيه الخطاب لشخص ويُراد به غيره، وذلك لأكثر من سببٍ. منها فتح قلوب الناس وعقولهم لإدراك المبادئ والقيم بشكل موضوعي، إذ إنّ توجيه الخطاب بشكل مباشر يدفع النّفوس المريضة إلى عدم التأمّل في المفاهيم والقيم بشكل صحيح، بل تستنفر طاقاتها للدّفاع عن ذاتها، لا لمحاكمتها، فتنصرف النّفس حينئذ عن إدراك الغاية وفهم المعنى؛ ولذلك استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب الّذي عبّر عنه الإمام الصّادق عليه السلام بقوله: «**إنّ اللَّه بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، فالمخاطبة للنّبيّ والمعنى للنّاس**»[2].

بعد هذا البيان يبقى الكلام حول بعض النّماذج من الآيات أو الرّوايات الّتي قد يُساء فهمها، وتُحلّ المشكلة فيها على أساس هذه الأمور الّتي تمّ استعراضها وتوضيحها كمقدّمات لحلّ الشبهات الواردة على الآيات والروايات.

(1) سورة الشعراء، الآية 14.

(2) الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، إيران -قم، 1412هـ - 1370ش، ط4، ج4، ص234.

هناك العديد من الآيات القرآنيّة أوهمت وقوع ما يخلّ بعصمة المعصومين، وحتى نرفع هذا التوهّم لا بدّ من إرجاع تلك الآيات إلى مبادئها وأصولها، والّتي من خلالها تُفهم بشكل صحيح.

* آيات قصّة آدم عليه السلام

الآيات الّتي تحدّثت في قصّة النّبيّ آدم عليه السلام حول وسوسة الشيطان له، وإخراجه من الجنّة بسبب الأكل من الشّجرة، وقد نسب الله تعالى فيها لآدم عليه السلام ارتكاب المعصية والغواية، ثمّ توبة اللّه -سبحانه- عليه كما في قوله -تعالى-: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[1].

والجواب: بعد التّأمّل في مجمل الآيات الواردة في المقام يتّضح الجواب من خلال الإشارة إلى عدّة نقاط:

1. إنّ المعصية التي نُسبت لآدم عليه السلام هي مخالفته لنهي إرشاديّ لا يتنافى مع العصمة، وليست مخالفته لنهي شرعيّ تحريميّ (مولويّ)، بدليل أنّ الجنّة الّتي كان فيها آدم عليه السلام لم تكن دار تكليف أصلاً، ولم تنزل شريعة بعدُ، فلا وجود لأمر ونهي مولويّ حتّى يُخالفه.

2. إنّ المولى لم يرتّب عليها عقاباً، بل المترتّب على هذه المخالفة هو الخروج من الجنّة[2]، والهبوط إلى الأرض، وهذه هي الغاية من خلق آدم عليه السلام وبقيّة

(1) سورة طه، الآيتان 121 - 122.

(2) في تفسير القمي عن أبيه رفعه قال: قال سُئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: «**كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما أخرج منها أبداً آدم ولم يدخلها إبليس**». (تفسير القمي، مصدر مذكور، ج1، ص43). وهذا الأمر اتفقت عليه العلماء على أنّ الجنّة المذكورة ليست جنّة الخلد؛ وذلك لأنّ جنّة الخلد هي نتيجة العمل في الدنيا، إضافة إلى أنّ الداخل إليها لا يخرج منها، وأما التوبة للنبي آدم عليه السلام، فإنّ التوبة عن كلّ شيء بحسبه، وبما أنّ المعصية كانت لأمر إرشادي مخالف للأولى كانت التوبة كذلك. (انظر: الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي، مصدر مذكور، ج1، ص127 وما بعد).

البشر، إذ يقول -تعالى-: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وترتّب على هذه المخالفة أيضاً انتقال آدم عليه السلام وحواء من مرحلة تحصيلهما ما يريدان بدون تعب إلى مرحلة شقاء المكابدة والمجاهدة لتحصيل الطّعام والشّراب واللّباس، فإنّه وبمجرّد أكلهما من الشّجرة بدت سوءاتهما وأدركا لزوم التّستّر، وهذه نتائج طبيعيّة للأكل من الشّجرة وليس عقاباً. قال -تعالى-: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

وأمّا لفظ (غوى) بمعنى ضلّ، فهو يعني هنا -أيضاً- وقوع آدم عليه السلام في مخالفة النهي الإرشادي بالابتعاد عن الشجرة -كما مرّ آنفاً-، وليس المراد الغواية المحرّمة المسبّبة عن معصية الأمر المولوي من اللَّه -سبحانه-، ويمكن الاستدلال على ذلك بأمرين:

الأول: أنّه -تعالى- لم يُرتّب عليها عقاباً، بل أنهى تعالى كلامه برفع درجة آدم عليه السلام واجتبائه له ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[3] وهذا لا يتلاءم مع ارتكابه لفعل محرّم.

الثاني: أنّه -تعالى- قد تعهّد عند مخاطبته إبليس بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[4] بصيانة عباده من غواية إبليس -الغواية المحرّمة- والأنبياء عليهم السلام على رأسهم وآدم عليه السلام منهم، فينكشف أنّ الغواية هي المسبّبة لمخالفة النهي الإرشادي فقط دون غيرها.

(1) سورة البقرة، الآية 30.
(2) سورة الأعراف، الآيات 20 - 22.
(3) سورة طه، الآية 122.
(4) سورة الحجر، الآية 42.

* آيات قصّة موسى عليه السلام

لقد تحدّث القرآن الكريم عن النّبيّ موسى عليه السلام في جملة آيات:

منها قوله -تعالى-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

والشّبهة تدور حول قول النّبيّ موسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾ و ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

والجواب يظهر من جهتين:

الأولى: من ملاحظة مجموع الآيات، خاصّة وأنّ المولى -عزّ وجلّ- صدّرها بمدح النّبيّ موسى عليه السلام، وإظهار علوّ شأنه وارتفاع مرتبته، وأنّه من المحسنين، فكان جزاؤه من اللّه -تعالى- أن آتاه العلم والحكمة الإلهيّين. وتصديرُ الآيات بالمدح للنّبيّ موسى عليه السلام وبيان أهليّته لتحمّل العهد الإلهيّ لا يتناسب مع نسبة المعصية المحرّمة إليه، فإنّ المعصية تقتضي الذّم لا المدح، وهذا واضح.

الثانيّة: إنّ المولى -عزّ وجلّ- قد استعمل لفظ (وَكَزَ) وهو ظاهر في أنّ الفعل الصادر من النّبيّ موسى عليه السلام لم يكن بقصد القتل، فهي ضربة لا تؤدّي إلى الموت عادة، فلا يُعدّ النّبيّ موسى عليه السلام مرتكباً لجرم وذنب يستحقّ عليه العقاب بالنّسبة إلى اللّه -تعالى-، إلّا أنّ هذا لا يمنع من أن تتفاعل آثار موت القبطي من ناحية اجتماعيّة، بحيث يُعتبر النّبيّ موسى عليه السلام ظالماً ومذنباً ويستحقّ العقاب على فعله بنظر فرعون ومجتمع القتيل، وهذا المعنى صرّح

(1) سورة القصص، الآيات 14 - 16.

به -تعالى- حكاية عن النّبيّ موسى عليه السلام في قوله -تعالى-: ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾[1].

فالنّبيّ موسى عليه السلام كان مذنباً بنظرهم، ولذلك كان يستحقّ العقاب بقتله قصاصاً أيضاً بنظرهم، ولذا قال: (ولهم) ولم يقل «**ولك عليّ ذنب**».

ولأنّ موت هذا الرجل بهذه الضّربة -المعبّر عنها بـ (وكَز)- لم يكن أمراً طبيعيّاً، بحيث لا يتوقّع من مثله أذيّة كبرى فضلاً عن الموت، نسبه النّبيّ موسى عليه السلام إلى الشيطان، بقوله ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾[2] وأمّا طلب النبيّ موسى عليه السلام من المولى -عزّ وجلّ- أن يغفر له، فهو بمعنى محو أو تخفيف الآثار والنتائج الاجتماعيّة المترتّبة على هذا الفعل الذي لم يكن محرّماً.

* آيات في قصّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

لقد نسب القرآن الكريم إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ارتكاب ذنوب، وقد غفرها له كما في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3].

وهذه الآية من جملة الآيات الّتي أُشكل فهمها على بعض المفسّرين والمتكلّمين، إذ توهّموا أنّ اللّه -تعالى- قد نسب إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ذنباً، وهو منافٍ للعصمة المفروضة.

والجواب: إنّ التأمّل في الآيات المذكورة يدلّ على أنّ المراد من الذّنب هنا هو ما ارتكبه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بحقّ قريش والمشركين من إهانة آلهتها، وقتل أبطالها، وكسر هيبتها، فالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مذنب بنظر قريش وقد استحقّ عندهم بذلك العقاب

(1) سورة الشعراء، الآية 14.
(2) سورة القصص، الآية 15.
(3) سورة الفتح، الآيتان 1 - 2.

والانتقام منه ﷺ على ما فعله بهم وبآلهتهم، وبهذا يصبح للرّبط بين الفتح والمغفرة معنى، فإنّ الفتح -بغضّ النظر عن كونه صلح الحديبية، وعليه الأكثر، أو فتح مكّة- الّذي تحقّق على يد النّبيّ ﷺ قضى على آخر أمل لقريش في معاقبة النّبيّ ﷺ على ما ارتكبه بحقّها وفي نظرها.

وبالتأمّل فيما ذُكر يتّضح المقصود من الذّنب والمغفرة في المقام، وأنّه ليس بمعنى مخالفة أمر شرعيّ إلزامي فلا يكون مخالفاً ومنافياً لعصمته ﷺ. كما تقدّم في الدرس السابق.

وكما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾[1] فإنّها وغيرها من الآيات من باب «**إيّاك أعني واسمعي يا جارة**»، الّذي قال فيه الإمام الصادق عليه السلام: «**فالمخاطبة للنّبيّ والمعنى للنّاس**»[2]. إضافة إلى أنّه ﷺ لم يصدر منه التقوّل والكذب على اللَّه -والعياذ باللَّه- وبالتّالي لم تصدر منه المعصية للَّه -تعالى-.

وبعد كلّ ما ذكر يمكن -بعد التأمّل- فهم ما لم يذكر من الآيات الموهمة، وذلك بإرجاعها إلى الأسس والقواعد الّتي ذكرت في الدّرس السابق. كما ينبغي أيضاً الرجوع إلى الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والّتي بيّنوا فيها المعنى المقصود من هذه الآيات، وحذّروا فيها من نسبة المعصية لأنبياء اللَّه عليهم السلام. ومن هذه الروايات، ما ورد عن الامام الرضا عليه السلام في جوابه لعليّ بن الجهم والّتي يقول فيها عليه السلام: «**ويحك يا عليّ، اتّق اللَّه، ولا تنسب إلى أنبياء اللَّه الفواحش، ولا تتأوّل كتاب اللَّه برأيك، فإنّ اللَّه -عزّ وجلّ- قد قال:** ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾[3]»[4].

(1) سورة الحاقة، الآيتان 44 - 45.

(2) النمازي الشاهرودي، الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران -قم، 1418ه-، لا.ط، ج8، ص484.

(3) سورة آل عمران، الآية 7.

(4) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان -بيروت، 1404هـ - 1984م، لا.ط، ج1، ص171-170.

خلاصة الدّرس

- الأوامر والنواهي التي تكون مخالفتها منافية للعصمة هي الأوامر والنواهي المولويّة الإلزاميّة لا الإرشاديّة الّتي لا يترتّب عليها الذمّ والعقاب.
- ترك الأولى لا يُنافي العصمة لأنّه لا إلزام فيه.
- هناك خطابات موجّهة للمعصوم بظاهرها فيها شدّة ومؤاخذة، وما هذا إلّا من باب: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة».
- إنّ مخالفة النبي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت للنهي الإرشادي لا المولوي، حيث لم تكن الجنّة الّتي كان فيها عَلَيْهِ السَّلَامُ دار تكليف أصلاً، فلا وجود لأمر ونهي مولويّ حتّى يُخالفه.
- لو كانت مخالفة النبي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لنهي مولوي لعاقبه اللّه -تعالى-، وخروجه من الجنّة -الّتي هي ليست جنّة الخلد- ليست عقاباً، حيث إنّ غاية خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هبوطه إلى الأرض ليتحقّق الاستخلاف فيها.
- الغواية والتوبة كانتا باعتبار المخالفة لأمر إرشادي ومخالفة للأولى.
- كلمة «وكز» تدلّ على عدم قصد القتل، والذنب الّذي على النبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس بنظر الله سبحانه بل بنظر الناس، وطلب النبيّ موسى الغفران بمعنى محو أو تخفيف الآثار والنتائج الاجتماعية المترتّبة على فعله غير المقصود.
- المراد بالذنب في قوله -تعالى-: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هو الذنب بنظر قريش وليس معصية اللّه -سبحانه-.
- ما ورد بحقّه صلى الله عليه وآله وسلم من مثل: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾، فهو من باب: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة».

أسئلة حول الدرس

1. بيّن أقسام الأوامر والنواهي الإلهيّة، وما هي الآثار المترتّبة عليها.

2. لماذا اعتبر البعض أنّ استعمال كلمة (ذنب) و(معصية) بحقّ المعصومين يتنافى مع عصمتهم؟

3. أجب عن مسألة قتل النّبيّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للقبطيّ.

4. قال -تعالى- مخاطباً النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. والسؤال هو: كيف يمكن فهم هذه الآية بما لا يتنافى مع العصمة؟

الدرس الثاني عشر:

المعجزة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى معنى المعجزة.
2. يُعدّد عناصر المعجزة.
3. يتبيّن له الترابط بين المعجزة والنبوّة.

* مقدّمة

يعتبر مقام النّبوّة من المقامات السّامية ويتوقّف على إثباتها مصير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، ولها أهميّة كبرى كونها من المقامات والمناصب الإلهية الّتي لا يُدانيها أيّ منصب ومقام آخر، ولأنّها منصب خطير شكّلت مطمعاً لأصحاب الأهواء من أهل الدنيا، فادّعَوْها كذباً وزوراً، ولأنَّ النّبوّة ارتباط بالغيب الّذي لا يستطيع النّاس الاطّلاع عليه بشكل مباشر، لأجل كلّ ما ذُكر وجب أن يُزوَّد النّبيّ بأمر يعجز النّاس عن الإتيان بمثله؛ ليستطيع النّبيّ من خلاله إثبات صدقه في دعواه النّبوّة، وفي المقابل كذب كلّ من يدّعيها زوراً وطمعاً، وهذا الأمر يُسمّى بـ(المعجزة).

* تعريف المعجزة

المعجزة: (هي أمر خارق للعادة، يعجز النّاس عن الإتيان بمثله، مطابق للدّعوى (المطلوب) مصحوب بدعوى النّبوّة، (مقرون بالتّحدّي-غالباً).

يشتمل تعريف المعجزة على مجموعة عناصر:

1. «**أمر خارق للعادة**» يعني أنّ المعجزة خارجة عن الأسباب المادّيّة والطبيعيّة المعروفة والواقعة تحت قدرة البشر، فلا تُدركها الحواس ولا تنالها التجربة،

فهي محال عادة، ولكنّها ليست خارجة عن الأسباب والقوانين العقليّة؛ إذ إنّ المعجزة لا تعني وجود الأمر الخارق بدون علّة، لأنّ لها علّة لكنّها غير معروفة ولا مقدورة للبشر، بل لها علّة غيبيّة إلهيّة.

فتحصّل أنّ المعجزة خاضعة لقانون العلّية العامّ وليست مناقضة له، لأنّ أقصى ما يقتضيه هذا القانون هو (أنّه لا بُدّ لكلّ معلول من علّة توجده)، أمّا خصائص هذه العلّة فهي أمر آخر خارج هذا القانون، وبالتّالي فالمعجزة ليست مستحيلة عقلاً.

2. أنّها مما «**يعجز النّاس عن الإتيان بمثله**»، وبهذا يُفرّق بين المعجزة وبين أعمال المرتاضين والسّحرة وأصحاب الإبداع العلمي، فهذه قد تكون خارقة للعادة، ولكنّها تعتمد على علل وأسباب معروفة عند أهل هذا العلم وأصحاب الفنّ، وإن كانت مجهولة عند غير أهل الاختصاص، فهو غير معجز لإمكان الإتيان بمثله ممّن تعلّم قواعده وعرف خفاياه.

3. أن يكون «**مطابقاً للدّعوى**»، والمقصود من هذا أن تكون نتيجة الفعل موافقة لما قصده النبيّ أو طُلِب منه، فيكون دليلاً على صدق مدّعي النّبوّة في دعواه، لأنّ المعجزة إنّما يأتي بها النّبيّ أو تُطلب منه لأجل أن يُثبت صحّة وصدق ارتباطه بالغيب، وإلّا لو كان الفعل مخالفاً، لكان دليلاً على كذبه وإن كان خارقاً للعادة، فمسيلمة الكذّاب عندما طلبوا منه أن يفيض ماء البئر، تفل فيه، فغاض وغار ماؤه، فدلّ ذلك على كذبه.

4. أن تكون «**مصحوبة بدعوى النّبوّة**»، يعني أنّ الإتيان بالأمر الخارق للعادة المشتمل على الشّروط المتقدّمة لا يُسمّى معجزة في المصطلح الخاصّ، إلّا إذا كان مصحوباً بدعوى النّبوّة، وأمّا لو لم يكن مصحوباً بها فيُسمّى كرامة كما هو الحال فيما يأتي به الأئمّة عليهم السلام والأولياء.

5. أن تكون «**مقرونة بالتّحدّي**» وهذا الشرط لا يدخل في حقيقة المعجزة بقدر ما يُشكّل وسيلة لحصول الإقرار والإذعان، بحيث تكون الحجّة للنّبيّ على النّاس واضحة بيّنة، فإنّ النّبيّ عندما يتحدّى المنكرين لنبوّته بأن يأتوا بمثله إنّما يتحدّاهم لإثبات عجزهم وتأكيد إعجاز فعله وصحّة ارتباطه بالغيب وتصديق الله تعالى له وأنّه مرسل من قِبَله.

* طريقان آخران غير المعجزة

يوجد طريقان آخران يمكن إثبات النّبوّة من خلالهما في بعض الحالات وهما:

أوّلاً: الحياة الشخصيّة المستقيمة للنبي قبل نبوّته من المزايا والفضائل، وسيرته الحسنة مثل الصّدق والأمانة، والعدالة والتّواضع وغيرها، وكذلك مضمون دعوته كالدّعوة للحقّ والعدل والتّوحيد والأخلاق الحسنة وغيرها، فإنّها قد تصل ببعض الناس إلى حدّ الاطمئنان والتّصديق بنبوّته، إلّا أن هذا الطريق يبقى ناقصاً في الغالب، لأنّه لا يُفيد القطع والجزم التامّ.

ثانياً: تبشير النّبيّ السّابق وتصديقه ودلالته على النّبيّ الّذي يأتي من بعده، فإنّه طريق تثبت من خلاله نبوّة اللّاحق. وإلّا لزم تكذيب النبيّ السابق أو خطؤه وقد تقدّم استحالة هذا على النبيّ مطلقاً.

* التّرابط المنطقيّ بين المعجزة والنّبوّة

يوجد بين المعجزة والنبوّة رابط حقيقي؛ وذلك لأنّ ادّعاء النّبوّة يُلازمه ادعاء الارتباط بالغيب من خلال الوحي الإلهي، وهذا لا يمكن أن تُدركه الحواس، أو يطّلع عليه النّاس، وعليه فادّعاء النّبوّة ادّعاء لأمر خارق للعادة، فلو كان النّبيّ صادقاً في دعواه النّبوّة والوحي كان لازمه أنّه مؤيّد بقوّة إلهيّة، والمؤيّد بهذه القوّة الإلهيّة حقّاً، يُمكنه الإتيان بخارق آخر للعادة وهو المعجزة.

وبسبب هذا الترابط المنطقي كان النّاس يطلبون المعجزة ليُثبتوا صحّة دعوى النّبوّة من مدّعيها.

* فوارق بين المعجزة وغيرها من الخوارق

يوجد مجموعة فوارق بين الخارق للعادة الإلهيّ بقسميه المعجزة والكرامة من جهة وبين غيرهما من الخوارق.

1. أنّ المعجزة والكرامة وليدتا العناية الإلهيّة الخاصّة؛ ولذلك لا تكونان خاضعتين للدّراسة والتّعلّم، وأمّا السحر وغيره، فهو نتاج التّعليم والتّعلّم، وله قواعد ومنهج علميّ ويحتاج إلى ممارسة وتدريب قال -تعالى-: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾(1).

2. أنّ السّحر متشابه في نوعه يدور في فلك واحد، ولا يأتي السّحرة إلّا بما تدرّبوا عليه، وأمّا المعجزة فهي شديدة التّنوّع بحيث لا تكاد تجد بينها قدْراً مشتركاً، فأيّ قدْر مشترك مثلاً في معاجز النّبيّ عيسى عليه السلام التي وردت في قوله -تعالى-: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(2)، فما هو القدْر المشترك بين إحياء الأموات، وشفاء المرضى وعلمه بما يأكل النّاس وما يحتفظون به في بيوتهم؟

3. الاختلاف بينهما من حيث الأهداف والغايات، فإنّ الأنبياء عليهم السلام يأتون بالمعجزة ليصلوا من خلالها إلى أهداف سامية من الدّعوة إلى الله -تعالى-،

(1) سورة البقرة، الآية 102.
(2) سورة آل عمران، الآية 49.

ونفي الشّرك والدّعوة إلى الفضائل، ونبذ الرّذائل، وللعدل وغيرها.

أمّا السّحرة وغيرهم فالمهمّ عندهم هو الشهرة والمال وغير ذلك من المصالح الخاصّة، ولذلك تجد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يتّصفون بما يدعون إليه من مكارم الأخلاق بخلاف السّحرة وغيرهم.

خلاصة الدرس

- المعجزة هي: أمر خارق للعادة، يعجز الناس عن الإتيان بمثله، مطابق للدّعوى، مصحوب بدعوى النبوّة، مقرون بالتحدّي غالباً.

- أمر خارق للعادة: فهي غير مقدورة للبشر، وهي محال عادة، وإن كانت غير مستحيلة عقلاً، ولا تخرج عن قانون العلّيّة وإن كانت العلّة غير معروفة.

- يعجز الناس عن الإتيان بمثله: وبهذا تفترق المعجزة عن غيرها من الأعمال الخارقة الّتي تعتمد على علل وأسباب معروفة، يُمكن لمن تعلّم أسرارها وقواعدها أن يقوم بها.

- مطابق للدعوى: فمسيلمة الكذّاب عندما طلبوا منه أن يفيض ماء البئر، تفل فيه، فغاض وغار ماؤه، فدلّ ذلك على كذبه.

- مصحوبة بدعوى النبوّة: حيث إنّ الكرامة خارقة للعادة ولكنّها غير مصحوبة بدعوى النبوّة، كما كان يحصل مع الأئمّة عليهم السلام والأولياء.

- مقرونة بالتحدّي: فالنبيّ يتحدّى المنكرين لنبوّته لإثبات عجزهم وتأكيد إعجاز فعله وصدق نبوّته.

- هناك رابط منطقي بين النبوّة والمعجزة، حيث إنّ ادعاء النبوّة تعني الارتباط بالغيب والقوّة الإلهيّة، ولازم ذلك إمكان المدّعي الإتيان بخارق العادة (المعجزة).

- المعجزة ناشئة من العناية الإلهيّة؛ ولذلك لا تكون خاضعة للدراسة والتعلُّم بخلاف غيرها من الخوارق.

أسئلة حول الدرس

1. عرّف المعجزة، (مع توضيح مختصر).
2. تحدّث عن الطّريقين الآخرين -غير المعجزة- لإثبات النّبوّة.
3. تحدّث حول الرابط المنطقيّ بين المعجزة والنّبوّة.
4. عدّد الفوارق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادة، (مع توضيح مختصر).

الدرس الثالث عشر:

نبيّ الإسلام ﷺ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى حال العالم قبل بعثة رسول اللَّه ﷺ.
2. يتعرّف إلى الدليل على نبوّة نبي الإسلام ﷺ.
3. يتبيّن له واحدة من معجزات النبي ﷺ.

* تمهيد

إنّ ما نزل من وحي على النّبيّ موسى وعيسى عليهما السلام، وهما التوراة والإنجيل قد تعرّضا للتّحريف، ولا يمكنهما أن يقوما بالدّور المنشود في هداية البشر. وأمّا لماذا وكيف تمّ هذا التّحريف، ليس هنا مجال البحث فيه[1].

ففي القرن السّادس بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وفي فترة أطبق فيها على العالم كلّه ظلام الجهل والظلم، وخمدت مشاعل الهداية الإلهيّة في كلّ أنحاء العالم، بعث اللّه -سبحانه- خاتم أنبيائه عليه السلام وأفضلهم في أكثر المناطق تخلّفاً وانحطاطاً وظلمة، ليُضيء -وإلى الأبد- مشعل الوحي السّاطع لكلّ النّاس، وليحمل للبشر الكتاب الإلهيّ الخالد المصون من التّحريف والنّسخ، وليُعلِّم النّاس المعارف الحقيقيّة والحكمة السّماويّة، والأحكام والقوانين الإلهيّة، وليقود البشريّة جمعاء باتجاه السّعادة الدّنيويّة والأخرويّة.

قال -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[2].

---

(1) انظر: البلاغي، محمد جواد، الهدى إلى دين المصطفى؛ أيضاً: الهندي، رحمة الله، إظهار الحق.

(2) سورة الجمعة، الآية 2.

يصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه الظّروف والأوضاع الّتي كان يعيشها العالم أيّام بعثة النّبي صلى الله عليه وآله فيقول: «**أرسله على حين فترة من الرّسل**[1]، **وطول هجعة**[2] **من الأمم، واعتزام من الفتن**[3]، **وانتشار من الأمور**[4]، **وتلظّ من الحروب**[5]، **والدّنيا كاسفة النّور**[6]، **ظاهرة الغرور**[7]، **على حين اصفرار من ورقها**[8]، **وإياس من ثمرها**[9]، **واغورارٍ من مائها**[10]، **قد درست منائر الهدى**[11]، **وظهرت أعلام الرّدى**[12]، **فهي متجهّمة لأهلها**[13]، **عابسة في وجه**

(1) الفترة الفاصلة بين الشّيئين، فقد جاء الرسول صلى الله عليه وآله بعد ما انقضى عن رسالة عيسى حوالي خمسمائة سنة، لا كأنبياء بني إسرائيل الّذين أرسلوا تباعاً.

(2) الهجعة: الهجوع النوم، كأنّ الأمم كانت نائمة عن المعارف الحقّة والمعلومات الإلهيّة فجاء النبي صلى الله عليه وآله لإيقاظهم وإعادة الحق إلى نصابه.

(3) (واعتزام) أي غلبة (من الفتن) فإنّ الفتنة تقوم كلّما تقلّص الدين من النّفوس إذ الدّين خير رادع عن الفتن وأسبابها وجذورها.

(4) (وانتشار من الأمور) فإنّ كلّ أمر له نظام واقعي يُبيّنه الدين فإذا ذهب الدين انتشر الأمر بين أهواء النّاس مثلاً: الدين يُقرّر أن مهر السنة خمسمائة درهم، أمّا إذا لم يكن دين فقانون يُغالى فيه إلى حدود مدهشة، وقانون يخفض منه إلى حدود زهيدة وهكذا.

(5) تلظّت الحرب، أي اشتعلت، والتهبت، وكلّما بعد الناس عن الدّين كثرت الحروب، لأنّها ولائد الفتن، وعدم استقرار النّظام، وهما من ثمار عدم الدّين.

(6) (والدنيا كاسفة النور) فكما أنّ النور إذا كان، يرى الإنسان الأشياء كذلك الدين سبب لرؤية المضار والمصالح والخيرات والشرور، فإذا فُقد الدين لم يكن للدنيا نور.

(7) (ظاهرة الغرور) الناس مخدوعون بها إذ لا ثقافة دينية لهم حتى يخرجوا عن الاغترار إلى التبصّر والتفكّر.

(8) (على حين اصفرار من ورقها) فالدنيا كالشجرة إذا كانت مع دين كانت مخضرة للنشاط والحياة والصحة التي يولدها الدين فيها، وإلا كانت بالعكس.

(9) (وإياس من ثمرها) فإنّ الدّنيا إذا كانت مضطّربة لا تُثمر الثّمر المطلوب منها من التّقدّم والأمن والرخاء.

(10) (وأغورار من مائها) كناية عن عدم النضارة والبهجة، أو أنّ هذه الجملة على نحو الحقيقة فإنّ انحراف الأرض عن مناهج السّماء توجب عدم جريان الأنهار، وقلّة الثّمار، واصفرار الأشجار، وهذا كما أنّه مربوط بالأمور الغيبيّة كذلك مربوط بالمناهج فإنّ الدّين يوسّع آفاق الفكر، ويضع المناهج الصّحيحة، ويوجب التّعاون وكلّ ذلك موجب لعمارة الأرض.

(11) (قد درست) أي خلقت وبليت (منار الهدى) المنار المحلّ الّذي يوضع عليه المصباح، ليرى الإنسان طريقه في اللّيل، وهذا جنس ولذا جيء بالفعل مؤنّثاً، كالمثل «أهلك النّاس الدّرهم البيض والدّينار الصفر».

(12) (وظهرت أعلام الرّدى) أي رايات الضّلالة الموجبة للهلاك والشّقاء.

(13) (فهي) أي الدّنيا (متجهّمة لأهلها) من تجهّم بمعنى استقبله بوجه عابس كريه.

طالبها[1]. ثمرها الفتنة[2]، وطعامها الجيفة[3]، وشعارها الخوف[4]، ودثارها السّيف[5]»[6].

* الدّليل على نبوّة نبيّ الإسلام

تقدّم معنا الطرق الثلاث لإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام، وهي:

1. التّعرف إلى سيرتهم وسلوكهم، والاعتماد على القرائن والمؤشّرات المؤدّية للاطمئنان. بصحّة نبوّتهم عليهم السلام.
2. إخبار الأنبياء عليهم السلام السّابقين وبشاراتهم.
3. المعجزة.

وقد توافرت هذه الطّرق الثّلاث لنبيّ الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

الطريق الأول: عاصر أهل مكّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، واطّلعوا عن كثب على حياته خلال أربعين عاماً، فلم يجدوا نقطة مظلمة واحدة في حياته المضيئة الحافلة بالنّور والعطاء، وعرفوه بالصّدق والأمانة، حيث لقّبوه بـ (الصادق الأمين)، وبطبيعة الحال، فلا يُحتمل الكذب في مثل هذا الشّخص. وعليه فإذا ادّعى النبوّة يُطمأن بصدقه وصحّة دعواه.

(1) (عابسة) أي قابضة اشمئزازاً (في وجه طالبها) لا تُسعد الطالب ولا تفي بما يريد الإنسان من الخير والسّعادة.

(2) (ثمرها الفتنة) فإنّ المناهج إذا انحرفت -وذلك من جرّاء عدم وجود الأنبياء وسلطة الجبّارين- كثرت الفتن والاضطرابات.

(3) (وطعامها الجيفة) فقد كانوا يأكلون الجيف، لقلّة أرزاقهم.

(4) (وشعارها الخوف) أي كان النّاس يخاف بعضهم من بعض، والشّعار هو الثّوب اللّاصق بالشعر من الجلد -ومنه سُمّي شعاراً- وشُبّه به الخوف لأنّه في قلب الإنسان لاصق به، وذلك لأنّ الاضطراب يوجب خوف جميع أفراد الإنسان بعضهم من بعض.

(5) (ودثارها السّيف) الدّثار هو الثّوب الّذي يُلبس فوق الشّعار، والمجتمع إذا كان خائفاً كان يحمل السّلاح وقاية لنفسه عن الأعداء.

(6) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، ص122.

الطريق الثاني: فقد وردت بشارات الأنبياء السّابقين وإخبارهم ببعثته[1]. وقد كان ينتظر ظهوره جماعة من أهل الكتاب، وكانوا يعرفون بعض العلامات الواضحة والبيّنة عليه[2]، وكانوا يقولون للمشركين من العرب، بأنّه سيُبعث بالرّسالة أحد أبناء النّبيّ إسماعيل (وهم من القبائل العربيّة)، يُصدّق الأنبياء السّابقين والأديان التّوحيديّة[3]. وقد آمن به ﷺ بعض علماء اليهود والنّصارى، اعتماداً على مثل هذه البشائر والأخبار[4]، وإن أعرض بعضهم عن اعتناق الإسلام خضوعاً لدوافع دنيوية وشيطانيّة.

وقد أشار القرآن الكريم لهذا الطّريق بقوله -تعالى-: ﴿أَوَ لَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[5].

إنّ معرفة علماء بني إسرائيل بنبيّ الإسلام ﷺ كان يستند إلى بشارات الأنبياء السّابقين التي تُعدّ دليلاً واضحاً على صحّة رسالته، فهي من المفترض أن تكون مقنعة لأهل الكتاب جميعاً. وتُعتبر حجّة مقنعة أيضاً على أنّ الأنبياء المبشِّرين أنفسهم كانوا على حقّ.

وممّا يُثير العجب والدّهشة ويجدر الالتفات إليه هو أنّه حتّى في الإنجيل الذي بين أيدينا والتوراة المحرّفة أيضاً، وبالرّغم من كلّ الجهود التّي بُذلت من أجل إخفاء مثل هذه البشارات والأخبار، توجد بعض النّقاط المضيئة التي

---

(1) ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ سورة الصف، الآية 6.

(2) ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية 157؛ وانظر أيضا: سورة البقرة، الآية 146؛ وسورة الأنعام، الآية 20.

(3) ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 89.

(4) ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ سورة المائدة، الآية 38؛ وانظر أيضاً: سورة الأحقاف، الآية 10.

(5) سورة الشعراء، الآية 197.

تُقيم الحجّة على الباحثين عن الحقيقة، كما اهتدى الكثير من علماء اليهود والمسيحيين -الّذين كانوا طلّاباً للحقّ والحقيقة- إلى الدّين الإسلامي المقدّس، بتأثير هذه النّقاط المضيئة، والبشائر المتبقّية في كتابَي التوراة والإنجيل[1].

الطريق الثالث: وقد سُجّلت في كتب التّاريخ والحديث الكثير من المعجزات البيّنة الّتي صدرت عن النّبيّ ﷺ، وقد بلغ نقل الكثير منها حدّ التّواتر، كتسبيح الحصى بين يديه ﷺ، وانشقاق القمر إلى فلقتين، وغيرها[2]، ولكن العناية الإلهيّة اقتضت وجود معجزة أخرى خالدة تدلّ على نبوّة النّبيّ ﷺ ودينه الخالد، وهذه المعجزة الأخرى هي خالدة بنفسها وبها تتمّ الحجّة على البشر -والى الأبد- وهي القرآن الكريم.

* القرآن معجزة

إنّ القرآن الكريم هو الكتاب السّماوي الوحيد الّذي أعلن -وبكلّ صراحة وقوّة- أنّ أحداً لن يتمكّن من الإتيان بمثله، ولو اجتمعت الإنس والجنّ، فلن يتمكّنوا من ذلك[3]، بل إنّهم لا يقدرون على الإتيان بعشر سور مثله[4]، بل حتّى سورة واحدة قصيرة ذات سطر واحد[5]. ومن ثمّ تحدّى الجميع ودعاهم لمعارضته ومجاراته، وأكّد ذلك كثيراً في آياته وأنّ عدم قدرتهم على مثل هذا العمل وعدم الاستجابة لهذا التّحدي دليل على صحّة نسبة هذا الكتاب ورسالة النّبيّ ﷺ لله -تعالى-[6].

---

(1) يمكن أن نعتبر من هؤلاء الميرزا محمد رضا (من علماء اليهود الكبار في طهران) مؤلف كتاب (إقامة الشهود في رد اليهود)، والحاج بابا القزويني اليزدي (من علماء اليهود في يزد) مؤلف كتاب (محضر الشهود في رد اليهود) والبروفسور عبد الأحد داوود الأسقف المسيحي السابق، ومؤلف كتاب (محمد في التوراة والإنجيل) الّذي ترجم أخيراً من الإنجيلية للفارسية.

(2) يلاحظ: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر سابق، ج17، ص225 إلى آخر الجزء 18، وسائر كتب الحديث والتاريخ المعتبرة.

(3) ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾. سورة الإسراء، الآية 88.

(4) ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾. سورة هود، الآية 13.

(5) ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ سورة يونس، الآية 38.

(6) ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن

إذاً فممّا لا يقبل الشّك والتّردّد أنّ هذا الكتاب الشّريف قد حمل معه دعواه بأنّه معجزة، كما أنّ من جاء به عرضه للبشر كمعجزة خالدة، وبرهان قاطع على نبوّته وإلى الأبد، واليوم وبعد مرور أربعةَ عشَر قرناً، ما زال صدى هذا الصّوت الإلهيّ يطرق أسماع الجميع صباح مساء من خلال أجهزة الإعلام الصّديقة والعدوّة، ويُتمّ الحجَّةَ عليهم.

ومن جانب آخر، واجه نبيّ الإسلام من أوّل يوم من دعوته أعداءً متشدّدين، وحاقدين، بذلوا كلّ غالٍ ونفيس لمحاربة هذا الدّين الإلهي، وبعد أن يئسوا من تأثير تهديداتهم وإغراءاتهم تآمروا على قتل النبي ﷺ واغتياله. ولكن فشلت هذه المؤامرة بإرادة من الله الحكيم، وذلك من خلال هجرته ﷺ ليلاً وسرّاً إلى المدينة. وبعد هجرته قضى بقيّة عمره الشّريف في حروب ومعارك عديدة مع المشركين وحلفائهم من اليهود. ومنذ وفاته وإلى اليوم حاول -ويحاول- منافقو الدّاخل وأعداء الخارج إطفاء هذا النّور الإلهيّ، وقد بذلوا كلّ جهودهم وقواهم في هذا المجال، ولو كان يمكنهم الإتيان بكتاب مثل القرآن الكريم لفعلوا ذلك بدون تردّد، وأراحوا أنفسهم من كل جهد وعناء، وإذ لم يفعلوا مع أنّه السبيل الأقصر والأسهل، فيكشف هذا عن أنّ القرآن معجز فوق قدرة البشر.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ سورة البقرة، الآيتان 23 - 24.

خلاصة الدرس

- يمكن إثبات نبوّة النبيّ محمّد ﷺ من خلال الطرق الثلاث -الّتي مرّ ذكرها في الدرس السابق-.

الأوّل: المعجزة، حيث كانت لرسول اللَّه ﷺ معاجز كثيرة تُحدِّثنا كتب السيرة عنها.

الثاني: سيرة الرسول محمّد ﷺ الناصعة ومضمون رسالته الراقية.

الثالث: إخبار الأنبياء السابقين وبشاراتهم بالنسبة إلى نبيّنا الكريم ﷺ.

- أهمُّ معجزة لرسول اللَّه ﷺ معجزة القرآن الكريم، حيث عجز الناس عن الإتيان بمثله، بل ولو بسورة من مثله.

أسئلة حول الدرس

1. كيف يصف أمير المؤمنين عليه السلام حال العالم قبل البعثة؟

2. تحدّث حول سيرة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والّتي تدلّ على نبوّته.

3. اذكر بعض بشارات الأنبياء عليهم السلام بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

4. اذكر دليلاً على نبوّة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

الدرس الرابع عشر:

إعجاز القرآن الكريم

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى عناصر الإعجاز في القرآن الكريم.
2. يتعرّف إلى إقرار بلغاء العرب بإعجاز القرآن الكريم.
3. يُدرك معنى أميّة النبي في القرآن.

* تمهيد

لقد تقدّمت الإشارة في الدرس السابق إلى أنّ القرآن الكريم كلام إلهيّ معجز، فهو يملك كلّ خصائص المعجزة (من كونه خارقاً إلهيّاً للعادة، وأنّه لا يقبل التّقليد والمعارضة، وطرحه دليلاً على صحة النّبوّة). ومن هنا فهو أفضل دليل قاطع على صدق دعوى النّبيّ الأعظم ﷺ وعلى حقانيّة الدّين الإسلامي المقدّس، وأنّ من أكبر النّعم الإلهيّة على الأمّة الإسلاميّة أن يكون هذا الكتاب الشّريف قد نزل بصورة يبقى معها -وإلى الأبد- معجزة خالدة، وأن يملك في داخله الدّليل على صدقه وصحَّته واعتباره. هذا الدّليل الّذي يمكن لأيّ فرد فهمه واستيعابه وتقبّله دون احتياجه لتعلّم وتخصّص.

* عناصر الإعجاز في القرآن الكريم

بعد المعرفة الإجماليّة بأنّ القرآن الكريم كلام إلهيّ معجز، لا بدّ من توضيح بعض عناصر الإعجاز القرآنيّة.

1. **فصاحة القرآن وبلاغته:** إنّ أوّل عنصر من عناصر الإعجاز في القرآن الكريم هو فصاحته وبلاغته، أي أنّه -تعالى- استخدم لعرض مقاصده وفي كلّ موضوع أعذب الألفاظ وأجملها، وأجود التّراكيب سبكاً واعتدالاً وإتقاناً ووقعاً، ومن

خلال ذلك يوصل المعاني المقصودة للمخاطَبين بأفضل الأساليب وأقربها للفهم، ولا يتيسّر اختيار أمثال هذه الألفاظ والتّراكيب المتناسقة الملائمة للمعاني العالية والدّقيقة، إلّا لمن كانت له إحاطة تامّة بكلّ خصوصيّات الألفاظ ودقائق المعاني، والعلاقات المتبادلة فيما بينها، ليُمكِنه اختيار أفضل الألفاظ والعبارات، مع ملاحظة كلّ أبعاد المعاني المقصودة وجوانبها، وملاحظة مقتضى الحال والمقام. ومثل هذه الإحاطة العلميّة الشّاملة لا يمكن توافرها في أيّ إنسان بدون الاستعانة بالوحي والإلهام الإلهيّ.

وأمّا التّعرف إلى أنّه معجزة في الفصاحة والبلاغة، فلا يتيسّر إلّا لأولئك الّذين يملكون الخبرة والتّخصّص في فنون الكلام المختلفة، ومقارنة ما يتميّز به القرآن الكريم مع سائر أنواع الكلام الفصيح والبليغ، واختبار قدراتهم بالقياس إليه. ومثل هذه المهمّة لا يقوم بها إلّا الشّعراء والبلغاء العرب، وذلك لأنّ أعظم ما كان يتميّز به العرب من فنّ في عصر نزول القرآن هو البلاغة والأدب، إذ بلغ ذروته آنذاك.

إقرار واعتراف:

لقد أقرّ بلغاء العرب حتّى المشركين منهم بإعجاز القرآن، فهذا الوليد بن المغيرة المخزوميّ يقول: «والله لقد سمعتُ من محمد آنفاً كلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة[1]، وإن أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق[2]، وإنّه ليعلو وما يُعلى»[3]. وهذان المشركان عتبة بن ربيعة، والطّفيل بن عمرو قالا: بأنّ القرآن بلغ الغاية في فصاحته وبلاغته[4].

---

(1) الطلاوة: الحسن والرونق.

(2) والمغدق: غدق المكان: ابتلّ بالغدق وخصب. والغدق: الماء الكثير.

(3) الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان -بيروت، 1415هـ.ق - 1995م، ط1، ج10، ص178.

(4) الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1417هـ ط1، ص27 و 28، وص49.

وبعد قرن من نزوله حاول بعض المنافقين والزنادقة -أمثال ابن أبي العوجاء وابن المُقفَّع وأبي شاكر الدّيصاني وعبد الملك البصريّ- أن يجرّبوا حظّهم في معارضة القرآن ومجاراته، وقد بذلوا كلّ ما في وسعهم خلال عام واحد في هذا المجال، ولكنّهم أخيراً اعترفوا بعجزهم أمام القرآن الكريم، وحين اجتمعوا في المسجد الحرام ليتدارسوا أعمالهم وجهودهم خلال ذلك العام، مرّ عليهم الإمام الصّادق عليه السلام وتلا عليهم هذه الآية الشّريفة: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[1].

2. **أُميّة النّبيّ** صلى الله عليه وآله: إنّ القرآن الكريم -بالرّغم من صغر حجمه نسبيّاً- كتاب يشتمل على مختلف أنواع المعارف والعلوم والأحكام والتّشريعات الفرديّة والاجتماعية، ويحتاج البحث عن كلّ قسم منها، ودراستها دراسة كاملة إلى جماعات متخصّصة تبذل كلّ جهودها العلميّة وخلال أعوام طويلة، ليكتشفوا -بالتدريج- بعض كنوزها وأسرارها المخبوءة، وليتوصّلوا -من خلال ذلك- إلى حقائق أكثر، وإن كان اكتشاف كلّ حقائقه وأسراره وكنوزه لا يتيسَّر إلّا لأولئك الّذين يمتلكون العلم والتأييد والمدد الإلهيّ. إنّ هذه المجالات المختلفة الّتي استعرضها القرآن الكريم تشتمل على أكثر المعارف دقّةً وسمُوّاً، وأرفع التّعاليم الأخلاقيّة وأكثرها قيمة، وأكمل القوانين الحقوقيّة والقانونيّة والجزائيّة عدالة وإحكاماً، وأثرى المناسك العباديّة والأحكام الفرديّة والاجتماعيّة حكمة، وأكثر المواعظ والنّصائح تأثيراً ونفعاً، وأفضل الحكايات التّاريخيّة عظة وتربية، وأنجع الأساليب التّربويّة والتّعليميّة.

وبإيجاز فإنّه يشتمل على كلّ الأصول والمبادئ الّتي يحتاجها البشر من أجل تحقيق سعادتهم الدّنيويّة والأخرويّة. وقد امتزج كلّ ذلك بأسلوب رائع بديع لم

(1) سورة الإسراء، الآية 88، وانظر تفسير (نور الثقلين) حول هذه الآية.

يسبق له مثيل، بحيث يمكن لفئات المجتمع -جميعاً- الاستفادة والتّزوّد منها، كلٌّ بحسب استعداده وقابليّته.

إنّ جمع كلّ هذه المعارف والحقائق في مثل هذا الكتاب يفوق قدرة البشر العاديّين، ولكن ممّا يزيد الدّهشة والإعجاب أكثر، أنّ هذا الكتاب العظيم ظهر على يد إنسان لم يعرف الدّرس والتّعلّم خلال حياته أبداً، ولم يُمسك -يوماً- بيده قلماً وقرطاساً، وقد نشأ في محيط بعيد عن الحضارة والثّقافة. والأعجب من ذلك أنّه لم يُسمع منه -خلال أربعين عاماً قبل بعثته- مثل هذا الكلام المعجز، وخلال أيّام رسالته وبعثته أيضاً كان ما يصدر منه من آيات قرآنيّة ووحي إلهي يتميّز بسبكه وأسلوبه الخاصّ، وهو يختلف -تماماً- عن سائر كلامه وأحاديثه، وهذا الفرق الواضح بين هذا الكتاب وسائر أحاديثه مشهود وملموس للجميع.

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الأمور فيقول: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[1].

وفي آية أخرى يقول: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[2].

وثمّة احتمال كبير في أن تكون الآية في قوله -تعالى-: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[3] مشيرة إلى هذا العنصر الإعجازي، أي: أنّ هناك احتمالاً كبيراً في رجوع ضمير (مثله) إلى (عبدنا). والحاصل: إذا افترضنا -محالاً- قدرة المئات من الجماعات المتخصّصة والمثقّفة -وبالتعاون والاشتراك فيما بينها- على الإتيان بمثل هذا الكتاب لما استطاعوا، وبالتالي لا يمكن لفرد أميّ واحد القيام بذلك، إلّا إذا كان مؤيّداً بالوحي كما هو الحال مع النبيّ محمّد ﷺ.

(1) سورة العنكبوت، الآية 48.
(2) سورة يونس، الآية 16.
(3) سورة البقرة، الآية 23.

3. التناسق وعدم الاختلاف: إنّ القرآن الكريم كتاب نزل خلال ثلاثة وعشرين عاماً من حياة النبيّ ﷺ، وهي فترة شهدت مرحلة مضطّربة مليئة بالحوادث الملتهبة، وزخرت بالكثير من التّحدّيات والمحن والحوادث المرّة والسّعيدة، ولكن كلّ هذه المتغيّرات والمؤثّرات لم يكن لها أيّ تأثير في تناسق محتويات القرآن وأسلوبه المعجز. ويُشكّل هذا التّناسق وعدم الاختلاف في شكله ومضمونه جهة أخرى من جهات إعجازه. وقد أُشير إليها كما أُشير إلى العلامتين السّابقتين في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

وتوضيحه: إنّ كلّ إنسان يواجه -على الأقلّ- نوعين من المتغيّرات.

- إنّ معلوماته وخبراته تأخذ بالتّزايد والنّمُوّ، وهذا النّموّ والزّيادة في ثقافته ومعلوماته وخبراته وقدراته تنعكس وتؤثّر في أحاديثه وكلامه، وبطبيعة الحال، سوف يبرز الاختلاف الواضح بين أحاديثه خلال عشرين عاماً.

- إنّ حوادث الحياة المختلفة تؤدّي إلى ظهور حالات نفسيّة ومشاعر وأحاسيس مختلفة، أمثال: اليأس والأمل، والفرح والحزن، والقلق والهدوء، ولمثل هذا الاختلاف في الحالات تأثير كبير في تفكير المرء وفي أقواله وأفعاله، وبطبيعة الحال، مع اشتداد هذه التغيّرات واتساعها فإنّ أحاديثه سوف يطرأ عليها اختلاف كبير. وفي الواقع إنّ تغيّرات الكلام خاضعة لتغيّرات الحالات النفسيّة، وهي بدورها خاضعة لتغيّر الظّروف الطّبيعيّة والاجتماعية. فإذا افترضنا أنّ القرآن الكريم من اختراع النّبيّ ﷺ نفسه كإنسان خاضع لكلّ المتغيّرات المذكورة، فمع ملاحظة الظّروف المتغيّرة الحادّة الّتي شهدتها حياته، فلا بدَّ أن تظهر في كلامه اختلافات كبيرة في شكله ومحتواه، مع أنّه لم يُشاهد أيّ أثر لمثل هذه الاختلافات.

---

(1) سورة النساء، الآية 82.

إذاً، فهذا الانسجام وعدم الاختلاف في مضامين القرآن، وفي مستوى بلاغته المعجز، يُعدّ علامة أخرى على صدور هذا الكتاب الشّريف من مصدر العلم الثّابت واللّامتناهي لله -تعالى-، الحاكم على الطّبيعة وغير المحكوم لكلّ الظّواهر مهما اختلفت وتغيّرت.

ملاحظة

لقد اقتضت الحكمة والعناية الإلهيّة أن تكون معجزة كلّ نبيّ متلائمة مع العلم والفن الشائع في ذلك الزمان، حتّى يُدرك جيّداً امتيازها وتفوّقها المعجز على كلّ المحاولات والمنجزات البشريّة؛ لأنّ إقرار أصحاب العلم وأرباب الفنّ بعجزهم عن مجاراة المعجزة، كافٍ في إثبات إعجازها بالنّسبة إلى عامّة النّاس.

* جواب الإمام الهادي عليه السلام حول تنوّع معجزات الأنبياء عليهم السلام

لقد أجاب الإمام الهادي عليه السلام ابن السكّيت عندما سأله: لماذا بعث اللّه موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السّحر؟ وبعث عيسى بآلة الطبّ؟ وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام بالكلام والخطب؟

فقال الإمام عليه السلام:

«إنّ اللّه لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السّحر، فأتاهم من عند اللّه بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ اللّه بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزُّمانات[1]، واحتاج النّاس إلى الطبّ، فأتاهم من عند اللّه بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن اللّه، وأثبت به الحجّة عليهم. وأن اللّه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من عند اللّه من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم»[2].

(1) الزُّمانات: الآفات الواردة على بعض الأعضاء فيمنعها عن الحركة، كالفالج واللقوة، ويُطلق المزمن على مرض طال زمانه. (حاشيّة أصول الكافي، ج1، ص24).

(2) الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص24.

خلاصة الدرس

- فصاحة القرآن وبلاغته من حيث ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه وملاحظة مقتضى الحال.

- أقرّ بلغاء العرب حتّى المشركين منهم بإعجاز القرآن المجيد، كالوليد بن المغيرة المخزومي وعتبة بن ربيعة، والطفيل بن عمرو وغيرهم.

- إنّ ما يؤكّد إعجاز القرآن البلاغي والفصاحي والمضموني؛ أنّ هذا الكتاب العظيم ظهر على يد إنسان لم يعرف الدرس والتعلّم خلال حياته أبداً، ولم يُمسك قلماً وقرطاساً، وقد نشأ في محيط بعيد عن الحضارة والثقافة.

- إنّ القرآن الكريم وعلى مدى ثلاثة وعشرين عاماً -مدّة نزوله- لم يطرأ على تناسقه وروحه أيّ اختلاف رغم الظروف المتباينة والحالات النفسيّة والمشاعر والأحاسيس المختلفة.

أسئلة حول الدرس

1. تحدّث حول إعجاز القرآن الكريم من جهة الفصاحة والبلاغة (باختصار).
2. كيف نستفيد من أميّة النّبيّ ﷺ إعجازَ القرآن الكريم؟
3. تحدّث حول التناسق وعدم الاختلاف، وكيفيّة دلالته على الإعجاز القرآني.

الدرس الخامس عشر:

ختم النّبوّة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى معنى الختم لغة واصطلاحاً.
2. يُدرك الدليل على ختم النبوّة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
3. يتعرّف إلى السرّ في ختم النبوّة.

* تمهيد

من الواضح عند المسلمين قاطبةً أنّ الدّين الإسلامي غير مختصّ بمنطقة دون أخرى ولا بجماعة وقوم دون غيرهم، وهو دين باقٍ إلى قيام السّاعة، وهذا ما يُستفاد من الخطاب القرآني الموجّه إلى جميع النّاس من خلال آيات كثيرة مثل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] و﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾[2] ، فهو خطاب موجّه لكلّ النّاس وفي كلّ زمان ومكان.

وكذلك الرّوايات كما في قول النّبيّ ﷺ: «**حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة**»[3].

فالإسلام دين عالميّ وخالد، وهذان الأمران يُعدّان من ضروريّات الدّين الإسلاميّ ومن المعلوم أنّ الضّروريّات الدّينية لا تحتاج إلى دليل، وبملاحظة خلود الدين الإسلامي لا يبقى أيّ احتمال لبعثة نبيّ آخر ينسخ الشريعة الإسلاميّة، ولكن يبقى احتمال بعثة نبيّ آخر يقوم بمهمّة تبليغ الإسلام ونشره...

(1) سورة الأعراف، الآيات 26 - 27 - 28 - 31 - 35؛ سورة يس، الآية 60.
(2) سورة الأنعام، الآية 90؛ سورة يوسف، الآية 104؛ سورة ص، الآية 87؛ سورة التكوير، الآية 27؛ سورة القلم، الآية 52.
(3) الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص58؛ ج2، ص17.

ومن هنا يلزم علينا البحث عن ختم النبوّة بنبيّ الإسلام ﷺ، حتّى لا يبقى مجال لمثل هذا الاحتمال. وهذه المسألة وإن كانت من الضروريّات الدينية أيضاً الّتي لا تحتاج إلى استدلال، ولكن مع ذلك يمكن استفادتها من القرآن الكريم والروايات الشريفة.

* معنى الختم

معنى الختم في اللغة

الختم في اللغة ورد في معانٍ عدّة، منها:

1. **الطبع:** «**ختمه، يختمه، ختماً: طبعه**»[1]. ومن ذهب إلى هذا القول صاحب لسان العرب[2] والقاموس المحيط[3]، وفي تاج العروس: «معنى ختم وطبع واحد في اللغة»[4].

2. **آخر الشيء ونهايته:** قال صاحب المحكم: «وختم الشيء يختمه: ختماً بلغ آخره، وخاتم كلّ شيء: عاقبته وآخرته، وختام كلّ مشروب آخره، وفرض التنزيل: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾[5]. أي آخره، وختام القوم وخاتمهم آخرهم. وفي التنزيل ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[6]»[7].

قال الراغب الأصفهاني: «وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل: ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره... وخاتم النبيين لأنّه ختم النبوّة، أي تمّمها

(1) المحكم لابن سيده، ج5، ص26.
(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، إيران -قم، 1405هـ لا.ط، ج12، ص163.
(3) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، لبنان -بيروت، لا.ت، لا.ط، ج2، ص15.
(4) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والتوزيع، لبنان-بيروت، 1414هـ - 1994م، لا.ط، ج8، ص266.
(5) سورة المطففين، الآية 26.
(6) سورة الأحزاب، الآية 40.
(7) المحكم لابن سيده، ج5، ص26.

بمجيئه ﷺ»[1]. وقال صاحب القاموس: «والخاتم من كلّ شيء: عاقبته وآخرته، وآخر القوم كالخاتم»[2].

معنى الختم اصطلاحاً

أمّا في الاصطلاح أيضاً تحتمل هذين المعنيين:

الأول: الخاتم بمعنى الطبع، فإنّ رسول اللّه ﷺ خاتم الأنبياء جميعاً، أي أنّه كالخاتم الذي يتزيّن به ويطبع به، فهو بالنسبة إلى الأنبياء جميعاً زينتهم وخاتمهم.

الثاني: الخاتم بمعنى الانتهاء، بمعنى أنّ سلسلة الأنبياءعليهم السلام تنتهي به ﷺ.

* الدليل القرآني على كونه ﷺ خاتم النبيّين

قال -تعالى-: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[3].

فإن قيل: إنّ الآية دلّت على ختم النّبوّة بالنّبيّ محمّد ﷺ ولم تدل على ختم (الرّسل)، فالجواب واضح بعد التّأمّل في معنى النّبيّ ومعنى الرّسول، فإنّ النّبيّ أعمّ من الرّسول، فكلّ رسول نبيّ وليس كلّ نبيّ رسولاً، فلا وجود لرسول ليس نبيّاً، وعليه فنفي النّبوّة نفي للرّسالة بطريق أولى، إذ إنّ نفي الأعمّ نفي للأخصّ دون العكس. فعندما تقول مثلاً: لا إنسان (الأعمّ) موجود في البيت، فهذا يعني لا وجود لا لرجل (أخصّ) ولا لامرأة (أخصّ)، وإن قلت: لا امرأة موجودة في البيت، فإنّ هذا لا يعني نفي وجود إنسان؛ إذ قد يوجد في الدّار رجل. وعليه فنفي النبيّ من بعده ﷺ نفي للرسول أيضاً، فلا نبيّ من بعده ولا رسول.

(1) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مصدر مذكور، ص143-142.
(2) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مصدر مذكور، ج2، ص15.
(3) سورة الأحزاب، الآية 40.

* الأدلّة الرّوائيّة على ختم النّبوّة

ورد التّصريح والتّأكيد على ختم النّبوّة بنبيّ الإسلام في المئات من الرّوايات، منها حديث المنزلة[1] الّذي نقله الشّيعة وأهل السّنة متواتراً عن النّبيّ ﷺ، بحيث لا يبقى معه أيّ شكّ في صدور مضمونه، وذلك حين خرج النّبيّ ﷺ في غزوة تبوك وخلف عليّاً عليه السلام مكانه في المدينة، فبكى علي عليه السلام، فقال له رسول اللّه ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ**»[2].

وفي رواية أخرى عن النبيّ ﷺ: «**أيّها النّاس، إنّه لا نبيّ بعدي ولا أمّة بعدكم**»[3].

وفي حديث آخر عنه ﷺ أنّه قال: «**أيّها النّاس إنّه لا نبيّ بعدي، ولا سنّة بعد سنّتي**»[4].

ونُقل هذا المعنى في أكثر من خطبة من نهج البلاغة[5]، وفي الرّوايات والأدعية والزّيارات المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

* السّر في ختم النّبوّة

إنّ الحكمة في تعدّد الأنبياء عليهم السلام وبعثتهم المتدرّجة -كما ذُكر سابقاً- هي أنّه لا يمكن لفرد واحد تبليغ الرّسالة الإلهيّة ونشرها -في الأزمنة السّابقة- في أقطار العالم كافّة، وفي كلّ الأمم والشّعوب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ

(1) مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، لا.ت، لا.ط، ج7، ص120.

(2) البخاري، أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا.م، 1401هـ-1981م، لا.ط، ج4، ص208.

(3) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، لا.م، لا.ت، ط2، ج8، ص115.

(4) الحرّ العامليّ، الشيخ محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق وتصحيح: وتذييل الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، لبنان -بيروت، 1403-1983م، ط5، ج18، ص555.

(5) نهج البلاغة، الخطبة الأولى والخطبة 69، و83، و87، و129، و168، و193، و230.

اتساع العلاقات وتعقيدها، وحدوث الظّواهر الاجتماعيّة الجديدة، يفرض وضع قوانين جديدة أو تغيير القوانين السّابقة، وكذلك فإنّ وقوع التحريف من قبل المغرضين أو الجاهلين يستدعي كلّ ذلك تصحيحاً وتعديلاً للتّعاليم الإلهيّة من قبل نبيّ آخر.

ولكن لو توافرت الظروف والشروط لبقائها واستمرارها فلا ملزم لبعث نبيّ آخر، والشروط هي:

1. أن يتمكّن النبيّ من تبليغ رسالته الإلهيّة للعالم كلّه ولو بالاستعانة بأنصاره وخلفائه.

2. أن تُلبيّ أحكام شريعته وتعاليمها وتشريعاتها كلّ احتياجات المجتمعات الرّاهنة والمستقبليّة، ومتضمّنة لجميع الاحتياطات الضروريّة للمسائل المستجدّة والمستحدثة.

3. أن يوجد الضّامن الّذي يكفل بقاءها وصيانة كتابها من التحريف.

فمع توافر كلّ هذه الظّروف والعوامل، فلا ملزم حينئذ لبعثة نبيّ آخر، ولكنّ معارف البشر العاديّة وعلومهم لا يُمكنها تحديد مثل هذه الظّروف والعوامل التي تفرض إرسال نبيّ جديد برسالة مختلفة. ومعرفةُ الظّرف والوقت المناسب منحصر باللَّه -تعالى-، فإنّه ومن خلال علمه اللامتناهي المحيط بكلّ شيء يُمكنه تحديد الزّمان الّذي تتحقّق فيه هذه الظّروف، وهو الّذي يُمكنه الإعلام عن ختم النّبوّة، كما فعل ذلك في آخر كتبه السّماويّة مع خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله وسلم.

* تنبيه حول الهداية

إنّ ختم النّبوّة لا يعني قطع علاقة الهداية -تماماً- بين اللَّه -سبحانه- والعباد، فإنّ اللَّه -تعالى- يفيض من العلوم الغيبيّة على بعض عباده الصالحين متى ما رأى المصلحة تقتضي ذلك، وإن لم يكن ذلك عن طريق وحي النّبوّة، ويعتقد الشّيعة

بأنّ أمثال هذه العلوم قد أفاضها اللّه -جلّ وعلا- على الأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين خلفوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واحداً تلو الآخر.

* جواب عن شبهة

توصّلنا -ممّا سبق- إلى أنّ السّر في ختم النّبوّة:

1. إنّ نبيّ الإسلام -بمعونة أنصاره وخلفائه- يمكنه إيصال رسالته إلى أسماع جميع البشر في العالم.

2. التكفّل بصيانة الكتاب السّماوي عن أيّ تحريف. وقد قام الدّليل على صيانة القرآن من التّحريف؛ وذلك لاستحالة الزّيادة في القرآن؛ لأنّ الزيادة معناها إمكان الإتيان بمثله، وهو باطل بسبب إعجاز القرآن الكريم، وأيضاً قد تعهّد -تعالى- بحفظ القرآن في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، وبعد ثبوت عدم إمكان الزيادة في القرآن الكريم وكون هذه الآية من كلامه -تعالى-، يثبت بهذه الآية صيانة القرآن الكريم عن أيّ تلاعب أو تغيير أو حذف؛ لأنّه يُنافي حفظه -تعالى- له.

3. إنّ الشّريعة الإسلاميّة يُمكنها الاستجابة لاحتياجات البشر كلّها حتّى نهاية العالم.

شبهة حول خلود الإسلام: إنّ تعقيد العلاقات والظواهر الاجتماعية في الأزمنة السّابقة اقتضى وضع أحكام جديدة، أو تغيير الأحكام السّابقة عليه، لذلك كان سبباً في بعث نبيّ آخر، والأمر ظلّ كذلك حتّى بعد نبيّ الإسلام، حيث حدثت متغيّرات بارزة أضحت معها العلاقات والظواهر الاجتماعيّة أكثر تعقيداً، فكيف لا تقتضي هذه المتغيّرات شريعة جديدة؟

(1) سورة الحجر، الآية 9. تفصيل الكلام حول صيانة القرآن من التحريف موكول إلى مباحث علوم القرآن.

الجواب: إنّه -كما أشرنا إلى ذلك سابقاً- ليس في مقدور الإنسان العادي تحديد المتغيّرات والتحوّلات الّتي تقتضي تغيّر التّشريعات الأساس، وذلك لأنّنا لا نحيط بعلل الأحكام والتّشريعات وحكمِها، بل إنّنا -ومن خلال الأدلّة المبرهنة على خلود الإسلام، وختم النّبوّة بالنّبيّ ﷺ- نكتشف عدم الاحتياج لتغيير الأحكام والتّشريعات الإسلاميّة الأساس.

أجل، نحن لا ننكر ظهور بعض التغييرات الاجتماعية، الّتي تقتضي وضع أحكام جديدة، ولكن قد جُعلت في الشّريعة الإسلاميّة أصول وقواعد عامّة توضع على أساسها أمثال هذه الأحكام والتّشريعات الجزئيّة، حيث يمكن لذوي الخبرة والمعرفة الدقيقة بأحكام الشريعة وضع الأحكام اللازمة لمعالجتها وتطبيقها على أساسها.

خلاصة الدرس

- الخاتم قد يُراد منه معنى الطبع، فإنّ رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء جميعاً، أي أنّه كالخاتم الذي يتزيّن به ويطبع به، فهو بالنسبة إلى الأنبياء جميعاً زينتهم وخاتمهم.

- الخاتم قد يُراد منه معنى الانتهاء، بمعنى أن سلسلة الأنبياء عليهم السلام تنتهي به ﷺ.

- إنّ الدِّين الإسلامي شامل عامّ خالد، فهو لكلِّ البشر ولكلِّ زمان ومكان، فالقرآن لطالما خاطب جميع الناس ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

- الرسول ﷺ يقول: «**حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمّد حرام إلى يوم القيامة**».

- قال رسول اللَّه ﷺ للإمام عليّ عليه السلام: «**أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ**».

- إنّ السرّ في ختم النبوّة بالنبيّ محمّد ﷺ هو تحقُّق شروط وظروف بقاء واستمرار رسالته وهي:

- تمكُّن النبيّ محمّد ﷺ من تبليغ رسالته للعالم كلّه ولو بالاستعانة بأنصاره وخلفائه.

- شريعة النبيّ ﷺ تستجيب لتطوّر الزمن.

- صيانة القرآن الكريم -الكتاب المنزل على رسول اللَّه ﷺ- من التحريف.

- ختم النبوّة لا تعني قطع علاقة هداية اللَّه -تعالى- لبعض عباده، وإن لم يكن ذلك عن طريق وحي النبوّة، كما يعتقد الشيعة بالأئمّة المعصومين عليهم السلام.

أسئلة حول الدرس

1. اذكر معاني ختم النبوّة اصطلاحاً.

2. اذكر بعض الآيات والرّوايات الّتي تدلّ على شموليّة ودوام الدّين الإسلاميّ.

3. اذكر آية ورواية تدلّان على ختم النّبوّة.

4. تحدّث (باختصار) عن السرّ في ختم النّبوّة.

الدرس السادس عشر:

الإمامة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى موضع الخلاف الرئيس بين السنّة والشيعة في مسألة الخلافة.
2. يُدرك النتائج المترتّبة على رأي السنّة في مسألة الخلافة.
3. يتعرّف إلى معنى الإمامة.

* تمهيد

إنّ النّبيّ ﷺ بعد هجرته من مكّة إلى المدينة، ودفاع أهل المدينة المستميت عنه، وعن المسلمين الّذين هاجروا من مكّة -والّذين سُمُّوا بـ(المهاجرين)، بينما سُمّي أهل المدينة بـ(الأنصار)- وضع دعائم وأسس المجتمع الإسلامي وقام بإدارته. وكان مسجد النبيّ ﷺ ملجأً للمهاجرين والمحرومين، وملاذاً لمعالجة قضاياهم ومشاكلهم الاقتصادية والمعيشيّة، إضافة إلى كونه موضعاً للعبادة، ومنطلقاً لنشر الرّسالة الإلهيّة وتعليم النّاس وتربيتهم، ومعالجة الخصومات والمسائل القضائيّة، ومركزاً لإصدار القرارات العسكريّة، وتزويد جبهات الحرب بالعدّة والعدد، وإسناد الجبهات، ومعالجة سائر القضايا الحكوميّة.

وبإيجاز كانت إدارة شؤون النّاس وقضاياهم الدّينيّة والدّنيويّة تتمّ على يد النّبيّ ﷺ. وكان المسلمون يرون أنفسهم مكلّفين بإطاعة تعاليم النّبيّ ﷺ وأوامره؛ لأنّ الله تعالى -إضافة لفرضه إطاعة الرّسول المطلقة عليهم[1]- كان قد أصدر أوامر مؤكّدة على ولاية الرسول ﷺ وقيادته للأمّة[2] في خصوص المسائل والمجالات السّياسيّة والقضائيّة والعسكريّة.

(1) ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ سورة آل عمران: الآية 32، وانظر أيضاً السور التالية: النساء: 12، و14، و69 و80، والمائدة: 92، والأنفال: 1، و20 و46، والتوبة: 71، والنور: 51، 54، و56، والأحزاب: 66، و71، والحجرات: 14، والفتح: 16، و17، ومحمّد: 32، والمجادلة: 12، والممتحنة: 12، والتغابن: 12، والجنّ: 23.

(2) ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ..﴾ سورة المائدة: 48، وانظر أيضاً السور التالية: آل عمران: 152، والنساء: 42، و59، و65، و105، والحج: 67، والأحزاب: 6، 36، والمجادلة: 89، والحشر: 7.

وبعبارة أخرى: إنّ النّبيّ ﷺ إضافة لمنصب النّبوّة والرّسالة، ومنصب تعليم الأحكام وتبيينها، كان يملك منصباً إلهيّاً آخر، هو قيادة الأمّة الإسلاميّة والوِلاية عليها، وتتفرّع منها مناصب أخرى، كالقضاء والقيادة العسكريّة وغيرهما. وكما أنّ الدّين الإسلاميّ اشتمل على الوظائف والتّعاليم العباديّة والأخلاقيّة، فهو كذلك اشتمل على الأحكام السّياسيّة والاقتصاديّة والحقوقيّة وغيرها. كما كان نبيّ الإسلام مكلّفاً بوظائف التّبليغ ومهامّ التّعليم والتّربية، وكذلك كان مكلّفاً -من قبل اللّه سبحانه- بمهمّة تنفيذ الأحكام والتّشريعات الإلهيّة وتطبيقها وكان بيده زمام كلّ المهامّ والمناصب الحكوميّة.

ومن البديهيّ أنّ الدّين الّذي يدّعي قيادة البشريّة كلّها حتّى نهاية العالم، لا يمكنه عدم الاهتمام بهذه المسائل والقضايا، ولا يمكن للمجتمع القائم على أساس هذا الدّين أن يفتقد مثل هذه المهامّ والمناصب السّياسيّة والحكوميّة، هذه المناصب والمسؤوليّات الّتي يشملها جميعاً عنوان (الإمامة)[1]. وفي الواقع فإنّ الخلاف بين الشيعة والسنّة هو أوّلاً حول ضرورة ثبوت موقع الإمامة، وثانياً حول من يقوم بهذه المهمّة بعد وفاة الرسول وكونه مصداقاً للإمام؟ ومن الّذي يُعيّن مثل هذا الشّخص في هذا المنصب؟

فهل اللّه -تعالى- هو الّذي يُنصّب الإمام كما ينصّب النّبيّ، أم أنّ النّاس هم الّذين ينتخبون الإمام؟ يعني هل مشروعيّة الإمام في منصبه مستمدّة من اللّه تعالى بالتّعيين أو من النّاس بالانتخاب؟

* مفهوم الإمامة

الإمامة في اللّغة: هي الرِّئاسة وكلّ من يتصدّى لرئاسة جماعة يُسمّى (الإمام)،

(1) وإن كانت الإمامة عند الشيعة -كما سيأتي- أوسع دوراً ويندرج ضمن وظائفها قيادة المجتمع الإسلامي.

سواء كان في طريق الحقّ أم الباطل، وقد أُطلق مصطلح (أئمّة الكفر)[1] في القرآن الكريم على رؤساء الكفّار، وأُطلق على من يقتدي به المصلّون (إمام الجماعة).

والإمامة في مصطلح علم الكلام عبارة عن: الرِّئاسة العامّة الشّاملة على الأمّة الإسلاميّة وقيادتها في جميع الأبعاد والمجالات الدّينيّة والدّنيويّة.

وإنّما ورد ذكر كلمة (الدّنيويّة) لأجل التّأكيد على سعة ميدان الإمامة ومجالها، وإلّا فإنّ تدبير القضايا الدّنيويّة للأمّة الإسلاميّة وإدارتها يُعدُّ جزءاً من الدّين الإسلاميّ. وهذه الرّئاسة والقيادة -في رأي الشّيعة- إنّما تكون شرعيّة فيما لو كانت من قبل الله -تعالى-، ولا يكتسب أيّ شخص مثل هذا المقام أصالة (لا نيابة) إلّا إذا كان معصوماً عن الخطأ في بيان الأحكام والمعارف الإسلاميّة، ومنزّهاً من الذّنوب والمعاصي. وفي الواقع إنّ الإمام المعصوم يمتلك كلّ مناصب ووظائف النّبيّ ﷺ سوى النّبوّة والرّسالة، وكما أنّ أحاديث النّبيّ حجّة في بيان الحقائق والتّشريعات والأحكام والمعارف الإسلاميّة، وتجب إطاعة أوامره وأحكامه في مختلف القضايا الحكوميّة، كذلك الأمر في الإمام المعصوم عليه السلام.

* رواية عبد العزيز بن مسلم عن الإمام الرّضا عليه السلام

«يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنّ اللّه -تبارك وتعالى- لم يقبض نبيّه ﷺ حتّى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام.

وجميع ما يحتاج إليه كمّلًا فقال -عزّ وجلّ-: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾[2].

---

(1) يقول اللّه -تعالى-: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ سورة التوبة، الآية 12.

(2) سورة الأنعام، الآية 38.

وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[1].

وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ ﷺ حتّى بيّن لأمّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحقّ، وأقام لهم عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله -عزَّ وجلَّ- لم يُكمل دينه فقد ردّ كتاب اللّه ومن ردّ كتاب اللّه فهو كافر به»[2].

* الإمامة بين السنّة والشيعة

يتّضح ممّا تقدّم النّقطة الرّئيسة في الخلاف بين الشّيعة وأهل السّنّة. فالشّيعة تعتقد بأنّ الإمامة منصب إلهيّ، لا بدَّ وأن يُنصّب فيه الأفراد الصالحون لذلك من قبَل اللّه -تعالى-، وقد قام اللّه -تعالى- بهذا التّعيين بواسطة نبيّه ﷺ، حيث عيّن أمير المؤمنين عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ خليفة له من بعده مباشرة، وعيّن من بعده أحدَ عشر إماماً من أولاده خلفاء من بعده.

ولكن أهل السّنّة يعتقدون بأنّ الإمامة الإلهيّة -كالنّبوّة والرّسالة- قد انتهت بوفاة النّبيّ ﷺ وقد أوكل للنّاس مهمّة تعيين الخليفة من بعده، بل صرّح بعض كبار علماء أهل السّنّة، أنّه لو سيطر أحد بقوّة السلاح على النّاس وأمسك بزمام أمورهم، فتجب على الآخرين إطاعته[3].

وعلى هذا الأساس يمكننا تلخيص الاختلاف بين الشّيعة وأهل السّنّة في موضوع الإمامة في ثلاث مسائل يقول بها الشيعة وهي:

1. إنّه لا بُدّ من نصب الإمام وتعيينه من قبِل اللّه -تعالى-.

(1) سورة المائدة، الآية 3.

(2) الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص199.

(3) الماوردي، علي بن محمد البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، توزيع دار التعاون للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكة المكرمة، 1966-1386م، ط2، ص34-33.

2. إنّه لا بُدّ وأن يملك الإمام العلم الموهوب له من اللَّه -سبحانه-، وأن يكون مصاناً عن الخطأ.

3. إنّه لا بُدّ وأن يكون معصوماً من المعصية.

* نتيجة رأي السنّة

من الواضح أنّه بناء على ما تصوّره أهل السنّة لموقع الخلافة عن رسول اللَّه ونفيهم للإمامة الإلهية، ستفتح الأبواب أمام الجبابرة والطّواغيت والمحتالين للتّوصّل إلى مطامعهم ومآربهم، وبالتّالي ستتوافر عوامل التّمزّق والانحطاط والتّخلّف بين المسلمين. وفي الواقع إنّ أهل السّنّة باعتقادهم شرعيّة الخلافة عن رسول اللَّه بدون التعيين الإلهيّ، فقد وضعوا الحجر الأساس لفكرة عزل الدّين عن السّياسة. وباعتقاد الشّيعة إنّ هذا الأمر هو المنعطف الخطير للانحراف عن المسير الإسلاميّ الأصيل والصّحيح، وعن عبادة اللَّه -تعالى- في جميع الجوانب والأبعاد الحياتيّة، وكذلك كان منطلقاً للكثير من الانحرافات الأخرى الّتي ظهرت بين المسلمين من حين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

* وجوب البحث

من هنا، كان من الواجب على كلّ مسلم البحث في هذا الموضوع بكلّ اهتمام، وبعيداً عن كلّ تقليد وعصبيّة[1]، وأن يبذل جهده في اكتشاف المذهب الحقّ والدّفاع عنه، وأن يتجنّب أتْبَاعُ المذاهب المختلفة التفرقةَ والصّراعَ والتّناحرَ، ممّا يُمهّد الطّريق ويُوفّر الظّروف الملائمة لأعداء الإسلام لتحقيق أطماعهم والوصول لمآربهم.

---

(1) ومن الجدير بالذكر أن العلماء الكبار كتبوا في هذا المجال الكثير من الكتب والدراسات وبمختلف اللغات، وبأساليب عديدة، ومهدوا طريق الحقّ للباحثين عن الحقيقة، نذكر نماذج منها أمثال: كتاب عبقات الأنوار، والغدير، ودلائل الصدق، وغاية المرام وإثبات الهداة، ونحث من لم تسمح له الظروف بالتحقيق والتوسع على مطالعة كتاب (المراجعات)، وهو مجموعة من الرسائل بين علمين من أعلام الأمة، وأحدهما من علماء الشيعة، والآخر من علماء السنّة، وكتاب (أصل الشيعة وأصولها).

ويلزم عدم ممارسة الأعمال الّتي توسّع من شقّة الخلاف بين صفوف المسلمين، فيتزعزع بها تلاحمهم وقوّتهم تجاه الكفّار، بحيث لا تعود مفاسده وأضراره الخطيرة إلّا على جميع المسلمين، ولا تؤدّي إلّا إلى ضعف الأمّة الإسلاميّة، ولكن الحفاظ على الوحدة والتّلاحم بين المسلمين ينبغي أن لا يكون عائقاً ومانعاً من البحث الموضوعيّ وبذل الجهود المخلصة، في سبيل التّعرف إلى المذهب الحقّ، وتوفير الظّروف الملائمة والأجواء الصّالحة لدراسة مسائل الإمامة ومعالجتها دون إثارة العصبيّات، هذه المسائل الّتي يكون لمعالجتها الصّحيحة دورها الفاعل في مصير المسلمين وسعادتهم في الدّنيا والآخرة.

خلاصة الدرس

- النبيّ ﷺ وبالإضافة إلى امتلاكه منصب النبوّة والرسالة وتعليم الأحكام وتبليغها، كذلك كان يملك منصباً آخر وهو الإمامة والقيادة للأمّة الإسلاميّة والّتي يتفرّع منها مناصب أخرى كالقضاء والقيادة العسكريّة وغيرهما.

- الإمامة في اللّغة: هي الرِّئاسة، وفي مصطلح علم الكلام عبارة عن: الرِّئاسة العامّة الشّاملة على الأمّة الإسلاميّة وقيادتها في جميع الأبعاد والمجالات الدّينيّة والدّنيويّة.

- نقطة الخلاف الرئيسة بين السنّة والشيعة، أنّ منصب الإمامة -عند الشيعة هو منصب إلهيّ موقوف على التعيين الإلهيّ بواسطة نبيّه ﷺ. بينما يرى أهل السّنّة أنّ الإمامة الإلهيّة قد انتهت بوفاة النّبيّ ﷺ وقد أوكل للنّاس مهمّة تعيين الخليفة من بعده، بل ذهب بعضهم أنّه لو سيطر أحد بقوّة السلاح على النّاس وأمسك بزمام أمورهم، فتجب على الآخرين إطاعته.

- عيّن الرسول ﷺ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام خليفة له، ثمّ أبناءه من بعده أحد عشر إماماً.

أسئلة حول الدرس

1. تحدّث حول المنصب الّذي كان يتولّاه النّبيّ ﷺ إضافةً إلى النّبوّة والرّسالة.

2. استعرض -باختصار- مفهوم الإمامة لغةً واصطلاحاً.

3. ما هي نقطة الخلاف الرئيسة بين الشيعة والسّنّة حول الإمامة؟

الدرس السابع عشر:

الحاجة لوجود الإمام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يُدرك ضرورة وجود الإمام.
2. يتعرّف إلى الأدلة العقليّة على عصمة الإمام وعلمه.
3. يتعرّف إلى خصائص الإمام.

* تمهيد

إنّ الخلاف في كيفيّة تولّي منصب الإمامة والخلافة بعد النبيّ ﷺ يتمحور حول شرعيّة تولّي هذا المنصب، أنّه هل يتم ذلك بواسطة التعيين، أو باختيار الناس، أو من خلال الشورى مثلاً؟

وذلك لأنّ المشكلة والخلاف الأساس يدور حول حقيقة الإمامة بعد النبيّ ﷺ، وهل أنّ الإمامة منصبٌ إلهيٌّ كمنصب النبوّة -خلا الوحي- فتكون الإمامة استمراراً لخطّ النبوّة في كلّ مجالاتها، فيكون دور الإمام ووظيفته عين دور النبيّ ووظيفته -كما يقول الشيعة؟ أو أنّ الإمامة هي مجرّد منصب دنيوي ينحصر دوره في إدارة شؤون الناس الحياتيّة، وسياستهم الدنيويّة- كما يقول السنّة؟

ويتفرّع على هذا الاختلاف، اختلافات أخرى:

منها: ما هي الشرائط، والمواصفات الّتي يجب أن يتحلّى بها من يتولّى هذا المنصب؟ وهل يُشترط فيه أن يحمل علماً خاصّاً أم لا؟

وهل يشترط أن يكون معصوماً عن المعصيّة والخطأ أم لا؟

وهل أنّ معرفة الشخص المؤهّل لهذا المنصب ممكنة لعامّة الناس؟ أو أنّ معرفته منحصرة باللَّه -تعالى-، وبالتّالي يحتاج إلى بيان وتنصيب من قِبَل اللَّه -تعالى-؟

إذاً فالخلاف ليس حول الشخص بقدر ما هو خلاف حول المفاهيم والمبادئ والشروط المتعلّقة بالإمامة والإمام.

وبذلك يتّضح لماذا طُرحت الإمامة عند الشيعة كأصل عقائدي، ولم تُطرح عندهم كفرع فقهي، كما هو الحال عند السنّة.

والإجابة عن هذه التساؤلات تتضح بملاحظة ما يأتي من عناوين...

* ضرورة وجود الإمام

الكلام في ضرورة وجود الإمام يتحقّق ببيان أمرين:

1. ذكرنا فيما سبق أنّ تحقيق الهدف من خلق الإنسان مرتبط بهدايته بواسطة الوحي، وقد اقتضت الحكمة الإلهيّة بعثة أنبياء يُعلّمون البشر طريق السّعادة في الدّنيا والآخرة وهدايتهم للطّريق القويم، وصراط الحقّ المستقيم، وكذلك تربية الأشخاص المؤهّلين وإيصالهم لآخر مرحلة كماليّة يُمكنهم الوصول إليها، وكذلك القيام بتنفيذ الأحكام والتّشريعات الاجتماعيّة الدّينيّة فيما لو توافرت الظّروف الاجتماعية المناسبة لذلك.

2. تقدّم أنّ الدّين الإسلامي دين عالميّ وخالد، لا يُنسخ ولا يأتي بعد نبيّ الإسلام ﷺ نبيّ آخر، ولا يتوافق ختم النّبوّة مع الحكمة من بعثة الأنبياء عليهم السلام، إلّا إذا كانت الشّريعة السماويّة الأخيرة مستجيبة لجميع الاحتياجات البشريّة، إضافة إلى ضمان بقائها حتّى نهاية العالم. وقد توفّر القرآن الكريم على هذا التّكفّل والضّمان، فقد تعهّد الله -تعالى- بحفظ هذا الكتاب العزيز من كلّ تغيير وتحريف، إلّا أنّه لا يتأتّى استفادة جميع الأحكام والتّعاليم الإسلاميّة من ظواهر الآيات الكريمة.

فلا يمكن التّعرُّف من القرآن الكريم إلى عدد ركعات الصلاة، وطريقة أدائها،

والكثير من الأحكام وتفصيلاتها المرتبطة بها مثلاً. وليس القرآن الكريم في مقام بيان تفاصيل الأحكام والتّشريعات، بل وضع مهمّة بيانها على عاتق النّبيّ ﷺ، من خلال العلم الّذي وهبه اللّه -تعالى- له (غير الوحي القرآني) ومن هنا تثبت حجيّة سنّة النّبيّ ﷺ[1] واعتبارها كمصدر من المصادر الأصيلة لمعرفة الإسلام.

إلّا أنّ الظّروف الصّعبة الّتي عاشها النّبيّ ﷺ في بداية الدعوة، وسنوات الحصار في شعب أبي طالب، ثمّ عشرة أعوام من القتال مع أعداء الإسلام، لم تسمح له ببيان جميع الأحكام والتّشريعات الإسلاميّة للنّاس كافّة. وحتّى ما تعلّمه الأصحاب، لا يوجد ما يضمن الحفاظ عليه، فقد اختلف في طريقة وضوئه ﷺ، بالرّغم من أنّها كانت بمرأى من المسلمين لسنوات طويلة. فإذا كانت أحكام هذا العمل معرّضة للاختلاف -وهو عمل يحتاجه جميع المسلمين ويمارسونه يوميًّا، مع عدم وجود دوافع للتّحريف والتّغيير العمدي فيه- فإنّ خَطَرَ الخطأ والاشتباه في النّقل، والتّحريفات المتعمّدة أشدّ وأكثر في مجال الأحكام الدقيقة، وخاصّة تلك الأحكام والتّشريعات الّتي تصطدم مع أهواء بعض الأفراد، وأطماع بعض الجماعات ومصالحهم[2].

* الأدلّة العقليّة على عصمة الإمام وعلمه

ومن خلال هذه الملاحظات يتّضح أنّه يمكن طرح الدّين الإسلامي كدين كامل وشامل يستجيب لكلّ الاحتياجات ولجميع البشر، حتّى نهاية العالم، فيما لو افترض وجود طريق لتوفير المصالح الضّروريّة للأمّة في داخل الدّين نفسه، تلك

(1) ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ سورة البقرة: الآية 151، وانظر أيضاً السور التالية: آل عمران: 461، والجمعة: 2، والنحل: 44، و46، والأحزاب: 12، والحشر: 7.

(2) ذكر العلامة الأميني قدس سره في كتابه «الغدير» أسماء سبعمائة من الوضّاعين للأحاديث، ونسب لبعضهم أنه وضع ما يناهز مئة ألف حديث، يراجع الغدير، ج5، ص802، وما بعدها.

المصالح الّتي يمكن أن تتعرّض للتّهديد والتّدمير مع وفاة الرسول ﷺ ولا يتمثّل هذا الطّريق إلّا في تعيين الخليفة الصّالح للرّسول ﷺ، هذا الخليفة الّذي يملك العلم الموهوب من اللّه -تعالى-، ليُمْكنه بيان الحقائق الدّينيّة بكلّ أبعادها وخصوصيّاتها، ويتمتّع بملكة العصمة، حتّى لا يخضع لتأثير الدّوافع النفسانيّة والشّيطانيّة، وحتّى لا يرتكب التّحريف العمدي في الدّين، وكذلك يمكنه القيام بالدّور التّربوي الّذي كان يمارسه النّبيّ، لا سيّما مع الأفراد المؤهّلين، ولإيصالهم إلى أرفع درجات الكمال. وكذلك -حين تتوافر الظّروف الاجتماعيّة الملائمة- يتصدّى للحكومة وتدبير الأمور العامّة في الأمّة الإسلاميّة، وتنفيذ التّشريعات الاجتماعية الإسلاميّة، وتطبيقها ونشر الحقّ والعدالة في العالم.

والحاصل: إنّ ختم النّبوّة إنّما يكون موافقاً للحكمة الإلهيّة فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، هذا الإمام الّذي يمتلك خصائص نبيّ الإسلام ﷺ كلّها عدا النّبوّة والرّسالة.

وبذلك تثبت ضرورة وجود الإمام، وكذلك ضرورة توفّره على العلم الموهوب من اللّه -عزّ وجلّ-، ومقام العصمة، ولزوم تعيينه ونصبه من قِبل اللّه -تعالى-؛ لأنّه -عزّ وجلّ- وحده الّذي يعرف الشّخص الذي أُفيض عليه هذا العلم والعصمة، وهو الّذي يملك حقّ الولاية على عباده أصالة، ويمكنه منح مثل هذا الحقّ في درجة أدنى لأفراد يتمتّعون بشروط معيّنة.

فإذاً، كما حَكَمَ العقل بلزوم عصمة النّبيّ وغيرها من الصّفات الكماليّة، يحكم أيضاً بضرورتها لكلّ من يتولّى وظائف النّبيّ وأدواره، عدا الصّفات المختصّة به كنبيّ وذلك كالوحي الّذي ثبت أنّه لا يكون إلا للنبيّ دون غيره ولو كانوا أصحاب عصمة.

* عثرات الخلفاء عند السنّة

وممّا يلزم التأكيد عليه، أنّ غير الشيعة لا يقولون بمثل هذه الخصائص لأيّ

خليفة من الخلفاء، فلا يدّعون نصبه وتعيينه من اللَّه -تعالى- والنّبيّ ﷺ، ولا توفّر الخلفاء على العلم الموهوب من اللَّه -تعالى-، ولا ملكة العصمة.

بل إنّهم نقلوا في كتبهم المعتبرة عثراتهم واشتباهاتهم وعجزهم في الإجابة عن أسئلة النّاس الدّينيّة. أمّا عثرات خلفاء بني أميّة وبني العبّاس، فهي أوضح من أن تُذكر، ويعرفها كلّ من له أدنى اطّلاع على تاريخ المسلمين. والشّيعة وحدهم الّذين يعتقدون بوجود الشّروط الثّلاثة في الأئمّة الاثني عشر من بعد النبيّ ﷺ. ويثبت ممّا ذكرنا صحّة اعتقادهم في مسألة الإمامة، ولا يحتاج ذلك للأدلّة الموسّعة والمفصّلة، ومع ذلك ستتمّ الإشارة في الدّرس القادم إلى بعض الأدلّة المقتبسة من الكتاب والسّنّة.

* الإمامة منزلة الأنبياء عليهم السلام

ورد عن الإمام الرّضا عليه السلام في مقطع من رواية عبد العزيز عنه عليه السلام: «**إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء عليهم السلام وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة اللَّه -عزَّ وجلَّ-، وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامةَ زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصّيام والحجّ، والجهاد، وتوفير الفيء، والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثُغور والأطراف. الإمام يُحلّ حلال اللَّه، ويُحرّم حرام اللَّه، ويُقيم حدود اللَّه، ويذبّ عن دين اللَّه ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة.**

الإمام كالشّمس الطّالعة للعالم وهي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير، والسّراج الزّاهر والنّور السّاطع، والنّجم الهادي في غياهب الدّجى، والبيدِ القفارِ، ولججِ البحار»[1].

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، مصدر مذكور، ص203-198.

خلاصة الدرس

- الأنبيـاء عليهم السلام أُرسـلوا لهدايـة النـاس وتربيتهـم وللقيـام بتنفيـذ الأحـكام والتشـريعات إذا توافـرت الظـروف.

- تميّزت رسالة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بأنّها رسالة عالميّة عامّة خالدة خاتمة، لا تُنسخ، ولا نبيّ بعد نبيّنا كما بيّنت الآيات والروايات.

- لا بدّ من وجود إمام يحمل مواصفات يستطيع من خلالها تكميل مهمّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- ختم النبوّة إنّما يكون موافقاً للحكمة الإلهيّة فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، هذا الإمام ينبغي أن يمتلك خصائص نبيّ الإسلام ما عدا النبوّة والرسالة.

- ينبغي أن يكون الإمام بتعيين من قِبل اللّه -تعالى- واختياره، كما كان النبيّ مختاراً منه سبحانه.

- ينبغي أن يتوافر الإمام على العلم الموهوب من اللّه والعصمة عن الخطأ والذنب.

- السنّة لا يعتبرون في إمامهم ما تقوله الشيعة، ولذلك نرى أنّهم نقلوا في كتبهم عثرات الخلفاء.

أسئلة حول الدرس

1. لماذا يعتبر الشّيعة الإمامة أصلاً عقائديّاً؟
2. بيّن فكرة ضرورة وجود الإمام.
3. متى يكون ختم النّبوّة موافقاً للحكمة الإلهيّة؟
4. اذكر الدليل العقلي على لزوم عصمة الإمام.

الدرس الثامن عشر:

تعيين الإمام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى الدليل القرآني والروائي على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.
2. يُدرك الدليل على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

* تمهيد

تقدّم في الدّرس السّابق أنّ ختم النّبوّة بدون نصب الإمام المعصوم وتعيينه مخالف للحكمة الإلهيّة، وأنّ إكمال الدّين الإسلاميّ العالمي الشامل والخالد مرتبط بتعيين الخلفاء الصّالحين بعد النّبيّ ﷺ، أمّا في هذا الدرس فسنتناول الآيات القرآنيّة والروايات الدالّة على هذا الأمر.

* الدليل القرآني والروائي

يمكن الاستدلال بالآيات القرآنيّة الكريمة والرّوايات الشريفة الكثيرة الّتي نقلها الشّيعة وأهل السّنّة في تفسير هذه الآيات.

1. منها قوله -تعالى-: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1].

وقد اتّفق المفسّرون جميعاً على نزول هذه الآية في حجّة الوداع، أي قبل وفاة الرّسول ﷺ بعدّة أشهر، فبعد أن تشير الآية إلى يأس الكفّار من إلحاق الضّرر بالإسلام ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾[2] تؤكّد الآية إكمال الدّين اليوم،

---

(1) سورة المائدة، الآية 3.
(2) السورة والآية نفسها.

وإتمام النّعمة في ذلك اليوم. ومع ملاحظة الكثير من الرّوايات الواردة في شأن نزول هذه الآية، يتّضح جليّاً أنّ الإكمال والإتمام اللّذين اقترنا بيأس الكفّار من إلحاق الضّرر بالإسلام، إنّما تحقّقا بنصب خليفة للنّبيّ ﷺ من قِبل الله -تعالى-؛ وذلك لأنّ أعداء الإسلام كانوا يتوقّعون بقاء الإسلام بدون قائد بعد وفاة رسول الله ﷺ -وخاصّة مع عدم وجود الأولاد الذّكور للرّسول ﷺ-، وبذلك يكون معرّضاً للضّعف والزّوال، بيد أنّ الإسلام قد بلغ كماله بتعيين خليفة للنّبيّ ﷺ، فتمّت بذلك النّعمة الإلهيّة وانهارت أطماع الكافرين وآمالهم[1]. وقد تمّ هذا التّعيين حين رجوع النّبيّ ﷺ من حجّة الوداع. فقد جمع الحجّاج كلّهم في موضع يقال له (غدير خم)، وخلال إلقائه خطبته الطّويلة عليهم، سألهم: «**ألست أولى بكم من أنفسكم**»[2] قالوا: «**بلى**» ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام ورفعها أمام النّاس وقال: «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**»، وبهذا أثبت للإمام عليه السلام الولاية الإلهيّة فبايعه جميع الحاضرين، ومنهم الخليفة الثّاني الّذي هنّأه بقوله: «بخٍ بخٍ لك يا عليّ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[3].

وعقيب هذا التنصيب الإلهي نزلت الآية الشريفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، فكبّر الرّسول ﷺ وقال: «**تمام نبوّتي وتمام دين الله ولاية عليّ بعدي**»[4].

وورد في رواية: «فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول اللّه هذه الآيات خاصة لعلي؟ قال: **بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة**، قالا: يا رسول اللّه بيّنهم لنا، قال: **علي أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في أمّتي وولي كلّ**

(1) للتوسع أكثر حول دلالة هذه الآية يراجع تفسير الميزان، ج5، ص156 وما بعدها، المصحّح.
(2) يشير بذلك إلى الآية (6) من سورة الأحزاب ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾.
(3) انظر: السيد حامد النقوي، خلاصة عبقات الأنوار، مؤسسة البعثة -قسم الدراسات الإسلامية - طهران - إيران، 1405، لا.ط، ج7؛ أيضاً: الشيخ الأميني، الغدير، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، 1397هـ - 1977م، ط4، ج1، ص270.
(4) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، مصدر مذكور، ج31، ص411.

مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يُفارقونه ولا يُفارقهم حتى يردوا عليّ حوضي»[1].

ويُستفاد من روايات عديدة أنّ النّبيّ ﷺ كان مأموراً قبل ذلك بالإعلان الرسمي عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام على الرأي العامّ، لكنّه كان يخشى حمل النّاس مثل هذا العمل منه على رأيه الشّخصي، واتهامه أنّه ما كان تنصيب عليّ عليه السلام إلّا لقرابته منه ﷺ، فيُعرضون عنه ولا يتقبّلونه؛ ولذلك كان يبحث عن فرصة مناسبة، تتوافر فيها ظروف الإعلان عن مثل هذا الحدث المهمّ والخطير، حتّى نزلت الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[2].

فمن خلال التّأكيد على ضرورة إبلاغ هذا النداء الإلهي -الّذي هو بمستوى كلّ النداءات الإلهيّة الأخرى، وعدم إبلاغه يساوي عدم إبلاغ الرّسالة الإلهيّة كلّها- قد بشّره اللَّه بأنّه سيعصمه ويحفظه من جميع الآثار والمضاعفات المتوقّعة من هذا العمل الّذي سيُزعج الكثير من الناس الّذين لا يريدون الخير للأمّة. وقد أدرك النّبيّ ﷺ -مع نزول هذه الآية- حصول الزّمان المناسب للقيام بهذه المهمّة، وليس من الصّالح تأخيرها، ومن هنا بادر في غدير خم إلى القيام بها[3].

والملاحظ: أنّ ما يختصّ بهذا اليوم هو الإعلان الرسميّ عن هذا التّعيين أمام النّاس، وأخذ البيعة منهم، وإلّا فإنّ رسول اللَّه ﷺ كان قد تعرّض مراراً خلال فترة رسالته لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبأساليب وتعابير مختلفة.

---

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران -قم، 1405هـ - 1363ش، لا.ط، ص377.

(2) سورة المائدة، الآية 67، للتوسع أكثر حول دلالة الآية يُراجع تفسير الميزان، ج6، ص41 فما بعدها.

(3) روى علماء أهل السنة الكبار هذه الواقعة عن سبعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ وهم: زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وجابر بن عبد اللَّه الأنصاري، والبراء بن عازب، وأبو هريرة، ابن مسعود (انظر: الغدير، للعلامة الأميني، مصدر مذكور، ج1).

2. ومنها حين نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[1] في بدايات البعثة، قال ﷺ لعشيرته: «**فأيّكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون هو أخي ووصيّي وخليفتي فيكم**»، واتّفق الفريقان على إحجام القوم جميعاً إلّا عليّ بن أبي طالب وأنّه أوّل من استجاب[2].

3. ومنها حين نزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[3].

حيث فرض اللَّه -تعالى- فيها إطاعة أولي الأمر بصورة مطلقة، واعتبر إطاعتهم بمستوى إطاعة النّبيّ ﷺ، والروايات الدّالة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

- سأله جابر بن عبد اللَّه من هم الّذين وجبت طاعتهم؟ أجاب ﷺ:

«**هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستُدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن ابن علي، ثم سميّي وكنيّي حجّة اللَّه في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن ابن علي الذي يفتح اللَّه على يده مشارق الأرض ومغاربها**»[4].

وكما أخبر النّبيّ ﷺ، فقد بقي جابر حيّاً حتّى إمامة الباقر عليه السلام وأبلغه سلام رسول اللَّه ﷺ.

(1) سورة الشعراء، الآية 214.
(2) انظر: السيد شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات، حسين الراضي، لا.ن، لا.م، 1982-1402م، ط2، ص187، (المراجعة 20).
(3) سورة النساء، الآية 59.
(4) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، مصدر مذكور، ج23، ص289.

وفي حديث عَن ابْن مُسْكَان عَنْ أَبِي بَصِير، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْد اللَّه عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّه -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] فَقَالَ: **نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْن أَبِي طَالب والْحَسَن والْحُسَيْن عليهم السلام**، فَقُلْتُ لَه: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ فَمَا لَه لَمْ يُسَمِّ عَلِيّاً وأَهْلَ بَيْته عليهم السلام فِي كِتَاب اللَّه -عزَّ وجلَّ-، قَالَ: فَقَالَ: **قُولُوا لَهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم نَزَلَتْ عَلَيْه الصَّلَاةُ ولَمْ يُسَمِّ اللَّه لَهُمْ ثَلَاثاً ولَا أَرْبَعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ ونَزَلَتْ عَلَيْه الزَّكَاةُ ولَمْ يُسَمِّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَماً دِرْهَمٌ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ ونَزَلَ الْحَجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ طُوفُوا أُسْبُوعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ ونَزَلَتْ** ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ **ونَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ والْحَسَنِ والْحُسَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فِي عَلِيٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاه فَعَلِيٌّ مَوْلَاه، وقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّه وأَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّه -عزَّ وجلَّ- أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ، وقَالَ: لَا تُعَلِّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى ولَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ**»[2].

- ومن الروايات الدالّة على خلافتهم عليهم السلام ما كان يُكرّره الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم مرارا في أواخر أيّام حياته: «**إنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب اللّه وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[3].

- وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «**ألا إنّ مثلَ أهل بيتي فيكم مثلُ سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق**»[4] وقال مرارا مخاطباً عليّاً عليه السلام: «**أنت وليّ كلّ**

---

(1) سورة النساء، الآية 95.

(2) الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص287-286.

(3) وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة أيضاً، وقد رواه عن الرسول وبطرق عديدة، جماعة من كبار علماء أهل السنة أمثال: (أحمد بن حنبل، المسند (مسند أحمد)، دار صادر، لبنان -بيروت، لا.ت، لا.ط، ج5، ص182؛ أيضاً: سنن الترمذي، مصدر مذكور، ج5، ص329؛ أيضاً: النسائي، فضائل الصحابة، دار الكتب العلمية، لبنان -بيروت، لا.ت، لا.ط، ص15؛ المستدرك، للحاكم النيسابوري، مصدر مذكور، ج3، ص109).

(4) مستدرك الحاكم، مصدر مذكور، ج3، ص151.

مؤمن بعدي»[1]وعشرات من الأحاديث الأخرى، لا يسمح المجال لذكرها، وكلّها تدلّ على أحقيّته بالخلافة بعد رسول اللّه ﷺ.

وبعد كلّ ما ذُكر -وهو قليل بالنسبة إلى ما لم يُذكر- لا يبقى أمام الباحث عن الحقيقة إلّا الإذعان والإقرار بما قامت عليه الأدلّة العقليّة والنقليّة من آيات وروايات.

* معنى الإمامة من كلام المعصوم عليه السلام

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «**هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم؟! إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يُقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل** عليه السلام **بعد النّبوّة، والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال -عزّ وجلَّ-:** ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ **فقال الخليل** عليه السلام**:- سرورا بها-** ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ **قال اللَّه -عزّ وجلّ-:** ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2] **فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه اللَّه -عزّ وجلّ- بأن جعلها في ذريّته أهل الصّفوة والطّهارة فقال -عزّ وجلّ-:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[3]**، فلم تزل في ذريّته يرثها بعض عن بعض حتّى ورثها النّبيّ** ﷺ**، فقال اللَّه -عز**

(1) مستدرك الحاكم، مصدر مذكور، ج3، ص134، وص111؛ أيضاً: الهيتمي المكي، أحمد بن حجر، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، مصر، 1385هـ - 1965م، ط2، ص124؛ أيضاً: المستدرك للحاكم النيسابوري، مصدر مذكور، ج3، ص134؛ أيضاً: مسند ابن حنبل، مصدر مذكور، ج4، ص438.

(2) سورة البقرة، الآية 124.

(3) سورة الأنبياء، الآيتان 72 - 73.

وجلَّ-: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، فكانت له خاصّة، فقلّدها ﷺ عليّاً بأمر اللَّه -عزَّ وجلَّ- على رسم ما فرضها اللَّه -عزَّ وجلَّ-، فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين آتاهم اللَّه العلم والإيمان بقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2]، فهي في وُلد عليّ عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد ﷺ، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟!»[3].

(1) سورة آل عمران، الآية 68.

(2) سورة الروم، الآية 56.

(3) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان -بيروت، 1404هـ - 1984م، لا.ط، ج1، ص196.

خلاصة الدرس

- ضرورة تعيين إمام من قِبَل اللّه -تعالى-، ويوجد في القرآن الكريم والروايات أدلّة على هذا التعيين.

- عقيب التنصيب الإلهي لأمير المؤمنين عليه السلام نزلت الآية الشريفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، فكبّر الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «**تمام نبوّتي وتمام دين اللّه ولاية عليّ بعدي**».

- يُستفاد من روايات عديدة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان مأموراً قبل ذلك بالإعلان الرسمي عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام على الرأي العامّ، لكنّه كان يخشى حمل النّاس مثل هذا العمل منه على رأيه الشّخصي.

- حين نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ في بدايات البعثة، قال صلى الله عليه وآله وسلم لعشيرته: «**فأيّكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون هو أخي ووصيّي وخليفتي فيكم**»، واتّفق الفريقان على إحجام القوم جميعاً إلّا عليّ بن أبي طالب وأنّه أوّل من استجاب.

- من الروايات الدالّة على خلافتهم عليهم السلام ما كان يُكرّره الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم مراراً في أواخر أيّام حياته: «**إنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب اللّه وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**».

أسئلة حول الدرس

1. ما هي الآية المرتبطة بتعيين الإمام؟ وبيّن دلالتها على ذلك.

2. بيّن الواقعة الّتي عُيّنَ فيها أمير المؤمنين عليه السلام إماماً.

3. لماذا أخّر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الإعلان عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف أقدم على هذا الأمر؟

4. اذكر الرّوايات الدّالة على إمامة سائر الأئمّة عليهم السلام.

5. ما هو فرق إعلان الغدير عن غيره حتّى لا يخشى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه ما خشيه في غيره؟

الدرس التاسع عشر:

العصمة وعلم الإمام

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى الدليل النقلي على عصمة الإمام.

2. يتعرّف إلى علم الإمام.

3. يُدرك شموليّة علم الإمام.

* تمهيد

تقدّمت الإشارة سابقاً -عند الكلام عن ضرورة الإمامة- إلى الدّليل العقلي على عصمة الأئمّة عليهم السلام، وسيتمّ عرض بعض الأدلّة النّقليّة في هذا الدّرس.

* عصمة الإمام في الآيات والروايات

لقد وردت جملة من الآيات والروايات الّتي تدلّ على عصمة الأئمّة، وسيتمّ التعرّض لبعض منها:

1. **آية الابتلاء:** ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

حيث نفى -سبحانه وتعالى- منح المناصب الإلهيّة ومنها الإمامة لأولئك الملوَّثين بالذنوب. وقد تقدّم الكلام حول دلالة الآية على الإمامة عند البحث عن عصمة الأنبياء.

2. **آية التطهير:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

---

(1) سورة البقرة، الآية 124.

(2) سورة الأحزاب، الآية 33.

إنّ الإرادة التشريعيّة الإلهيّة في تطهير العباد لا تختصّ ببعض البشر دون بعض، فإنّه -تعالى- أراد من جميع البشر ووجّه خطابه لجميع الناس أن يعصموا أنفسهم، من خلال اتّباعهم للتّشريعات الإلهيّة -فالإرادة التشريعيّة عامّة وليست خاصّة بفئة وصنف من الناس. وبما أنّه -تعالى- في مقام التفضّل والامتنان وهما يقتضيان تخصيص المتفضّل والممتن عليه بأمر معيّن، فيتعيّن كون الإرادة في الآية هي الإرادة التّكوينيّة الإلهيّة والّتي لا تقبل التخلّف، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] وهي مختصّة بالنّبيّ وأهل البيت عليهم السلام.

والتّطهير المطلق ونفي كلّ رجس وقبيح يعني العصمة، ونحن نعلم أنّ كل المذاهب والفرق الإسلاميّة، لا تدّعي وجود العصمة في أيّ أحد من المنتسبين للنبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا الشّيعة الّذين يعتقدون بعصمة الزهراء (عليها السلام)، والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام[2].

الروايات المفسّرة للآية:

ويلزم علينا أن نؤكِّد أنّ هناك أكثر من سبعين رواية، ورد أكثرها عن علماء أهل السّنّة، تدلّ على أنّ هذه الآية الشّريفة نزلت في شأن «**الخمسة الطّيبين**»[3]، أي: النّبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وقد نقل الشّيخ الصّدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: فقال: «**يا عليّ هذه الآية نزلت فيك، وفي سبطيك، والأئمّة من ولدك، فقال: يا رسول اللّه، وكم الأئمّة من بعدك؟ قال: أنت يا عليّ، ثمّ ابناك الحسن والحسين، وبعد الحسين عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد جعفر ابنه،**

(1) سورة يس، الآية 82.
(2) لمزيد من التوضيح حول هذه الآية يراجع تفسير الميزان، ج1، ص267 وما بعد.
(3) البحراني، أبو المكارم السيّد هاشم بن السيّد سليمان، غاية المرام وحجّة الخصام في تبيين الإمام من طريق الخاصّ والعامّ، تحقيق: السيد علي عاشور، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط، ج3، ص141.

وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، وبعد الحسن الحجّة من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألتُ اللَّه عن ذلك، فقال: يا محمّد: هم الأئمّة بعدك، مطهّرون، معصومون، وأعداؤهم ملعونون»[1].

ومن الروايات حديث الثقلين المتواتر عند السنّة والشيعة، حيث قرن فيه الرسول ﷺ أهل البيت والعترة مع القرآن الكريم، وأكَّد عدم افتراقهما أبداً، وهذا يدل بالدلالة الواضحة على عصمتهم، وذلك؛ لأنّ ارتكاب المعصية -حتّى لو كانت صغيرة، وإن صدرت سهواً- يعني الافتراق العملي عن القرآن. مع أنّ الحديث يؤكِّد عدم الافتراق مطلقاً.

والحديث هو: عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إني أوشك أن أُدعى فأُجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه -عزَّ وجلَّ- وعترتي، كتاب اللَّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما**»[2].

* علم الإمام

مصادر علم الإمام

إنّ مصادر علوم الأئمة متنوّعة ومتعدّدة، منها:

1. إنّ أهل بيت النّبيّ ﷺ قد اقتبسوا وتزوّدوا من علومه ﷺ أكثر من غيرهم،

(1) الحرّ العامليّ، الشيخ محمّد بن الحسن، هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة عليهم السلام، تحقيق ونشر: مجمع البحوث الإسلامية، إيران -مشهد، 1412هـ، ط1، ج1، ص17.

(2) بن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، مصدر مذكور، ج3، ص17.

وكما قال ﷺ في حقّهم: «**فلا تُعلِّموهم فإنّهم أعلم منكم**»[1]، وخاصّة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الّذي ترعرع ونشأ في أحضان الرسول ﷺ منذ طفولته، ولازمه حتّى آخر لحظات عمره الشريف، وكان يغترف دائماً ويتزوّد من علمه ﷺ، وقد قال ﷺ في حقّه: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»[2].

ونُقل عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «**إنّ رسول اللّه ﷺ علّمني ألف باب من الحلال والحرام ممّا كان وممّا هو كائن إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب**»[3]. ولكنّ علوم أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا تنحصر بما سمعوه من النّبيّ ﷺ بواسطة أو بدون واسطة، بل توجد طرق أخرى.

2. إنّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا يتمتّعون بنوع من العلوم غير العاديّة أيضاً، والّتي تُفاض عليهم من طريق (الإلهام) أو (التّحديث)[4]، كالإلهام الّذي حصل للخضر وذي القرنين[5]، ومريم وأمّ موسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[6]، وقد عبّر في القرآن الكريم عن بعضها بـ(الوحي) وليس المقصود وحي النّبوّة، وبمثل هذا العلم بلغ بعض الأئمّة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مقام الإمامة في فترة طفولتهم، وحيث كانوا يعلمون بكلّ شيء، لم يحتاجوا إلى التعلّم والدّراسة عند الآخرين.

(1) الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص209.
(2) مستدرك الحاكم، مصدر مذكور، ج3، ص126-127، ومن الجدير بالذكر أنّ أحد علماء أهل السنّة ألّف كتابا اسمه (فتح الملك العلي بصحّة حديث مدينة العلم علي) وطبع في القاهرة كتبه سنة 1354هـ.
(3) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، 1414هـ - 1993م، ط2، ص283.
(4) انظر: الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص264 وص275.
(5) سورة الكهف، الآيات 65 - 98، والكافي، الشيخ الكليني، مصدر سابق، ج1، ص269.
(6) ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية 42، وانظر أيضاً في السور التالية: مريم: 17-21، طه: 38، القصص: 7.

* الأدلّة على التحديث

وتستفاد هذه الحقيقة من روايات كثيرة نُقلت عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنفسهم-حيث ثبتت حجّيّتها بملاحظة عصمتهم.

منها: ما رواه ابن المغازلي الشّافعي عن عبد اللَّه بن عطاء: قال كنت عند أبي جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) جالساً إذ مرّ علينا ابن عبد اللَّه بن سلام[1]، قلتُ: جعلني الله فداك، هذا ابن الّذي عنده علم الكتاب، قال: «**لا ولكنّه صاحبكم عليّ بن أبي طالب الّذي نزلت فيه آيات من كتاب اللَّه -عزَّ وجلَّ-:** ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[3] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[4]»[5]. فثبت من خلال الرّواية أنّ عليّاً عليه السلام عنده علم الكتاب، فهو يمتلك المقام الرّفيع كذلك.

وتتّضح لنا أهميّة التّوفّر على (علم الكتاب) حينما نتأمّل في حكاية سليمان عليه السلام وإحضار عرش بلقيس لديه، الّتي ذكرها القرآن الكريم: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[6].

ويُستفاد من هذه الآية أنّ التّعرّف إلى (بعض) علم الكتاب يؤدّي إلى مثل هذه الآثار المدهشة، فكيف من كان عنده علم جميع الكتاب؟ وقد أشار الإمام الصّادق عليه السلام إلى ذلك في حديث رواه سدير عنه:

«**يا سدير: ألم تقرأ القرآن**، قلتُ: بلى، قال: **فهل وجدتَ فيما قرأتَ من كتاب الله -عزَّ وجلَّ-:** ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ

(1) وعبد اللَّه من علماء أهل الكتاب وقد أعلن إسلامه في حياة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم.
(2) سورة الرعد، الآية 43.
(3) سورة هود، الآية 17.
(4) سورة المائدة، الآية 55.
(5) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي، مصدر مذكور، ج35، ص206-183.
(6) سورة النمل، الآية 40.

﴿أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ قال: قلتُ: جعلتُ فداك قد قرأتُه[1]، قال عليه السلام: **فهل عرفتَ الرّجل؟ وهل علمتَ ما كان عنده من علم الكتاب؟** قال: قلتُ: أخبرني به، قال: **قطرة من الماء في البحر الأخضر.** ثمّ قال عليه السلام: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[2] قلتُ: قد قرأتُه، قال عليه السلام: **أفمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟** قلتُ: لا بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومأ بيده إلى صدره، وقال عليه السلام: **علم الكتاب واللّه كلّه عندنا، علم الكتاب واللّه كلّه عندنا»**[3].

* علم الإمام في كلام الأئمة عليهم السلام

يوجد جملة من الرّوايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حول علومهم.

1. عن أبي محمد القاسم بن العلاء -رحمه الله- رفعه، عن عبد العزيز بن مسلم، قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلتُ على سيّدي عليه السلام فأعلمتُه خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام، ثم قال: «... **الإمام المطهّر من الذنوب والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين. الإمام واحد دهره، لا يُدانيه أحد، ولا يُعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير ... وإنّ العبد إذا اختاره اللّه -عزّ وجلّ- لأمور عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم**

(1) ويلزم أن نعلم بأنّ المراد من علم الغيب المختصّ باللّه -تعالى-، هو العلم الّذي لا يحتاج لتعلّم، كما أجاب به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عمّن سأله عن علمه بالغيب، «إنّما هو تعلّم من ذي علم»، وإلّا فإنّ جميع الأنبياء وكثيراً من أولياء اللّه مطّلعون على بعض العلوم الغيبيّة بواسطة الوحي أو الإلهام. ومن العلوم الغيبية التي لا يشكّ فيها أحد هذا النبأ الغيبيّ الذي أُلهم لأمّ موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ سورة القصص: الآية 7.

(2) سورة الرعد، الآية 43.

(3) الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص257.

يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد أمِن من الخطايا والزلل والعثار، يخصّه اللّه بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم. فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيُقدّمونه ...»[1].

2. وعن الحسن بن يحيى المدائني عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: قلتُ له: أخبرني عن الإمام إذا سُئل كيف يُجيب؟ فقال: «**إلهام، وسماع، وربما كانا جميعاً**»[2].

3. وعن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «**أيّ إمام لا يعلم ما يُصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجّة للّه على خلقه**»[3].

4. وعنه عليه السلام أيضاً: «**إنّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم**»[4].

5. وعنه عليه السلام أيضاً أنّه سُئل عن قوله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ قال: «**خلق من خلق اللّه -عزّ وجلّ- أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله يُخبره ويُسدّده وهو مع الأئمّة من بعده**»[5].

(1) الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص203-198.
(2) الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات، تصحيح: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، منشورات الأعلمي، إيران -طهران، 1404هـ - 1362ش، لا.ط، ص336.
(3) الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص258.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص258 وفي رواية (اعلم) بلا عن (علم) وفي الأخرى (علمه اللّه بذلك).
(5) مستدرك الحاكم، مصدر سابق، ج1، ص273.

خلاصة الدرس

يقول اللَّه -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ وهناك روايات توضّح المقصود من أهل البيت الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس بأنّهم أهل الكساء بالإضافة إلى ولد الحسين عليه السلام المعصومين عليهم السلام.

يقول اللَّه -تعالى-: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حيث نفت الآية الإمامة عن الظالمين الملوّثين بالذنوب.

- حديث الثقلين الذي قرن فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهل البيت مع القرآن الكريم، وأكّد عدم افتراقهما أبداً، وهو دليل على عصمتهم.

- إنّهم اقتبسوا من علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً الإمام عليّ عليه السلام؛ باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- العلم اللدنّي من اللَّه -تعالى- بالإلهام والتحديث.

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**علم الكتاب واللَّه كلّه عندنا، علم الكتاب واللَّه كلّه عندنا**»، وعنه عليه السلام، بعدما سأله أحدهم عن الإمام إذا سُئل كيف يُجيب؟ فقال عليه السلام: «**إلهام، وسماع، وربما كانا جميعاً**».

أسئلة حول الدرس

1. اذكر آية التطهير، وكيفيّة دلالتها على العصمة.

2. ما هي أنواع علم الإمام، واذكر شواهد؟

3. ما هي الآثار المترتّبة على من يعلم علم الكتاب؟ واذكر الآيات الدالّة عليها.

الدرس العشرون:

الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرف إلى معنى الحكومة العالمية.
2. يتعرّف إلى آية تتحدّث عن الوعد الإلهي.
3. يُدرك معنى غيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف.

* تمهيد

روى الشّيعة وأهل السّنّة روايات كثيرة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أُشير في بعضها إلى عدد الأئمّة فحسب، وأُضيف في بعضها الآخر أنّهم جميعاً من قريش، وفي بعض آخر ذكر أنّهم بعدد نقباء بني إسرائيل، وجاء في جملة منها أنّ تسعة منهم من أولاد الإمام الحسين عليه السلام، وأخيراً فإنّ بعض الرّوايات ذكرت أسماءهم واحداً تلو الآخر، وبعضها منقول عن أهل السّنّة[1]، وهي متواترة من طرق الشّيعة[2].

وقد رويت أحاديث كثيرة من طرق الشّيعة حول إمامة كلّ واحد من الأئمّة الأطهار عليهم السلام لا يسمح المجال لذكرها في هذا الموجز؛ ولذلك نخصّ البحث في موضوع الإمام الثاني عشر صاحب الزمان عجل الله فرجه، ومراعاة للإيجاز سيُحصر البحث حول أهمّ النقاط:

(1) انظر: صحيح مسلم، مصدر مذكور، ج6، ص3؛ أيضاً: القندوزي، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران -قم، 1416هـ ط1، ج3، ص289 وما بعد.

(2) انظر: الخزاز القمي، كفاية الأثر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، انتشارات بيدار، إيران -قم، 1401هـ لا.ط، ص10 وما بعد؛ غاية المرام وحجّة الخصام في تبيين الإمام من طريق الخاصّ والعامّ، للسيد هاشم البحراني، ج1، ص118 وما بعد.

* الحكومة الإلهيّة العالميّة

لقد حاول الأنبياء العظام عليهم السلام تشكيل مجتمع مثاليّ قائم على أساس عبادة اللَّه -سبحانه- والقيم والتّعاليم الإلهيّة، ونشر العدل والقسط في الأرض كلّها، وقد خطا كلّ واحد منهم -بحسب وسعه- خطوة في هذا السّبيل، وقد تمكّن بعضهم من إقامة دولة إلهيّة في منطقة أو مرحلة زمنيّة معيّنة، ولكن لم تتوافر لأيٍّ منهم الظّروف والشّروط المناسبة لإقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة.

وممّا ينبغي الإشارة إليه هو أنّ عدم توافر مثل هذه الظّروف والشّروط المناسبة لا يعني قصور تعاليم الأنبياء عليهم السلام ومناهجهم وأساليبهم، أو النّقص والتقصير في تبليغهم وإدارتهم وقيادتهم، وذلك لا يعني عدم تحقّق الهدف الإلهّي من بعثتهم. إذ -وكما أشرنا إلى ذلك- إنّ الهدف الإلهيّ هو: توفير الأجواء والظّروف المناسبة لحركة البشر الاختياريّة ومسيرتهم: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[1]، وليس جبر النّاس وقهرهم على اعتناق الدّين الحقّ دون اختيار منهم ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[2]، وهذا المقدار من الهدف قد تحقّق بقيام كلٍّ منهم بوظيفته على أكمل وجه.

ولكنّ اللَّه -تعالى- وعد -في كتبه السّماوية- بإقامة الحكومة الإلهيّة على الأرض كلّها، ويمكن اعتبار ذلك نوعاً من الإنباء بالغيب بالنّسبة إلى توافر الأجواء المناسبة في المستقبل لتقبّل الدّين الحقّ، على نطاق واسع من المجتمع البشري، وحيث تتحقّق على أيدي أشخاص متميّزين -وبمعونة الإمدادات الغيبيّة الإلهيّة- إزالة العقبات والحواجز الّتي تحول دون إقامة الحكومة العالميّة ونشر العدل والقسط في المجتمعات المظلومة والمستضعفة، والّتي ضاقت ذرعاً بجور الظّالمين، ويئست من كلّ المبادئ والأنظمة الحاكمة،

---

(1) سورة النساء، الآية 165.

(2) سورة البقرة، الآية 256.

ويمكن اعتبار ذلك هو الهدف النّهائي لبعثة خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله وسلم، ودينه العالميّ والخالد؛ وذلك لأنّ الله قال في حقّه: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1].

وبما أنّ الإمامة متمّمة للنّبوّة، ومحقّقة لحكمة ختم النّبوّة، فيتوصّل -على ضوء ذلك- إلى هذه النّتيجة، وهي: أنّ هذا الهدف سيتحقّق بواسطة الإمام الثاني عشر المهديّ عجل الله فرجه الشريف، وهذه الفكرة قد ذُكرت في روايات عديدة، ومنها روايات متواترة.

ويُشار هنا إلى آيات من القرآن الكريم، تتضمّن البشارة والوعد بإقامة هذه الدّولة العالميّة، وبعد ذلك تُعرض نماذج من الرّوايات المرتبطة بهذا الموضوع.

* الوعد الإلهي

يقول اللّه -تعالى- في القرآن الكريم: وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[2].

وقد ورد هذا الوعد الإلهيّ في آيات عدّة، ومما لا يقبل الشّكّ أنّه سيأتي اليوم الّذي يتحقّق فيه هذا الوعد الإلهيّ في قوله -تعالى-: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾[3].

وهذه الآية -وإن وردت في شأن بني إسرائيل واستيلائهم على زمام الأمور بعد تخلّصهم من قبضة الفراعنة- ولكن هذا التعبير (ونريد) يشير إلى إرادة إلهيّة مستمرّة؛ ولذلك طُبّقت في الكثير من الرّوايات على ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف[4].

وقد خاطب تعالى -في موضع آخر- المسلمين بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(1) راجع السور التالية: التوبة: الآية 33، والفتح: 28، والصف: 9، وراجع: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج51، ص50، ح22، وص60، ح58 - 59.
(2) سورة الأنبياء، الآية 105.
(3) سورة القصص، الآية 5.
(4) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج51، ص54، ح35، وص63 - 64.

﴿...منكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

وجاء في بعض الرّوايات، أنّ المصداق الكامل لهذا الوعد سيتحقّق في زمان ظهور الإمام الغائب عجّل الله فرجه الشريف بصورة كاملة[2]. وتوجد روايات أخرى طبّقت بعض الآيات على الإمام الغائب[3] عجّل الله فرجه الشريف، نُعرِض عن ذكرها رعاية للاختصار والإيجاز[4].

* المهدي عجّل الله فرجه الشريف في روايات أهل السّنّة

إنّ الرّوايات الّتي نقلها الشّيعة وأهل السّنّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حول الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف تفوق حدّ التّواتر، بل إنّ الروايات الّتي نقلها أهل السّنّة وحدها تبلغ حدّ التّواتر، باعتراف جماعة من علمائهم[5]. وقد اعتبر جماعة منهم أن الاعتقاد بالإمام الغائب مما اتّفقت عليه الفرق الإسلاميّة جميعاً، وألّف بعضهم كتباً ومؤلّفات حول الإمام المهديّ[6] عجّل الله فرجه الشريف، وعلامات ظهوره، نذكر هنا بعضها:

- عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**لو لم يبقَ من الدهر إلّا يوم، لبعث اللَّه رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً**»[7].

---

(1) سورة النور، الآية 55.

(2) انظر: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج51، ص58، ح5، وص54، ح34 و35.

(3) أمثال هذه الآيات: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ سورة الأنفال، الآية 39 و﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ سورة التوبة، الآية 33 و﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ سورة هود، الآية 86.

(4) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج51، ص64-44.

(5) انظر: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر عليه السلام في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، المكتبة المكية -مكة المكرمة -السعودية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، 1999-1420م، ط1، ص40 وما بعد.

(6) أمثال كتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان) تأليف الحافظ محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي الّذي عاش في القرن السابع، وكتاب البرهان في علامات مهدي آخر الزمان تأليف المتّقي الهندي الّذي عاش في القرن العاشر.

(7) السجستاني، أبو داوود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، 1410هـ - 1990م، ط1، ج2، ص310.

- وعن أمّ سلمة: أنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**المهديّ من عترتي من ولد فاطمة**»[1].

- وعن ابن عبّاس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّ عليّاً إمام أمّتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الّذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً**»[2].

* الغَيْبَة

تُعتبر الغَيْبَة من خصائص الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه والّتي ورد التّأكيد عليها في الرّوايات المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام منها:

ما رواه عبد العظيم الحسنيّ عن الإمام محمّد الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأنّي بالشّيعة يجولون جَوَلان النّعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقسُ قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة.**

ثمّ قال: «**إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه**»[3].

وروي عن الإمام السّجاد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «**وإنّ للقائم منّا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى... وأمّا الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به فلا يثبت عليه إلا من قوي يقينه وصحّت معرفته ولم يجد في نفسه حرجاً ممّا قضينا، وسلّم لنا أهل البيت**»[4].

---

(1) المتقي الهندي، علاء الدين عليّ المتقيّ بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني -تصحيح وفهرسة الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، لبنان -بيروت، 1409هـ - 1989م، لا.ط، ج14، ص264.

(2) ينابيع المودّة، القندوزي، ج3، ص397.

(3) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق، ص303.

(4) المصدر نفسه، ص323-324.

* فلسفة الغيبة

لقد حاول الحكّام الظالمون بعد وفاة النبيّ ﷺ تحريف المفاهيم والأحكام الدينيّة، بما يتوافق مع مصالحهم الشخصيّة، والّتي تحفظ لهم تسلّطهم على رقاب الناس، ومن هنا قام سائر الأئمّة الأطهار عليهم السلام بتثبيت الأصول العقائديّة وترسيخ ونشر المعارف والأحكام الإسلاميّة، وتربية النّفوس المؤهّلة وتهذيبها، وحيثما تسمح الظّروف، كانوا يُحرّضون النّاس سرّاً على محاربة الظّالمين، والجبابرة والطّواغيت، ويزرعون فيهم الأمل بتحقّق الدّولة الإلهيّة العالميّة، إلّا أنّهم استشهدوا جميعاً واحداً بعد الآخر، ولم تتوافر الظروف المناسبة لإقامة الدولة الإسلاميّة العادلة والموعودة.

وعلى كلّ حال، تمكّن الأئمّة الأطهار عليهم السلام خلال قرنين ونصف من عرض الحقائق الإسّلاميّة وبيانها للنّاس، بالرّغم من مواجهتهم الكثير من التّحدّيات والمشاكل والمتاعب الشّديدة، وقد أظهروا بعضاً منها للنّاس عامّة وبعضها الآخر أظهروه لخصوص شيعتهم وخواصّ أصحابهم، وبذلك انتشرت المعارف الإسلاميّة بمختلف أبعادها وجوانبها في الأمّة، وضمن ذلك بقاءَ الشّريعة المحمّديّة، وقد تشكّلت -خلال ذلك- هنا وهناك في البلاد الإسلاميّة بعض الجماعات الّتي اندفعت لمحاربة الحكّام الجائرين، وأمكنهم -ولو بصورة محدودة- منع الجبابرة والطّواغيت من التّمادي في غيّهم وجورهم وعبثهم.

ولكن الّذي كان يُثير فزع الحكّام الظّالمين وقلقهم أكثر هو الوعد بظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه، الّذي كان يُهدّد وجودهم وكيانهم، ومن هنا فرض المعاصرون منهم للإمام الحسن العسكري عليه السلام رقابة مشدّدة عليه، ليقتلوا أيّ طفل يولد له، وقد استشهد الإمام عليه السلام نفسه بأيديهم، وهو في ريعان شبابه، ولكن شاءت الإرادة الإلهيّة أن يولد الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وأنّ يُدّخر لخلاص البشريّة ونجاتها؛ ولهذا السّبب لم يوفّق للقائه خلال حياة أبيه -وحتّى الخامسة من عمره- إلّا أفراد قليلون من خواصّ الشّيعة، بيد أنّ الإمام عجل الله فرجه ارتبط بالنّاس بعد وفاة أبيه،

بواسطة نوّاب أربعة، كُلّفوا بمهمّة النّيابة الخاصّة[1]، واحداً بعد الآخر، وبعد ذلك بدأت (الغيبة الكبرى)، الّتي ستستمرّ إلى مدّة غير معلومة، حتّى اليوم الّذي يتمّ فيه إعداد البشريّة لتقبّل الحكومة الإلهيّة العالميّة، وامتلاك القدرة على إقامتها وحينئذ سيظهر الإمام عجل الله فرجه الشريف بأمر من اللَّه -تبارك وتعالى-.

* النتيجة

إنّ لغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف أسباباً عديدة، نذكر منها:

- الحفاظ عليه من أيدي الجبابرة والجائرين، وانتظار الظروف المؤاتية لتقبُّل البشريّة إقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة، وامتلاك القدرة على إقامتها، وقد أُشير في بعض الروايات إلى حِكَم أخرى.
- امتحان النّاس واختبار مدى استقامتهم وثباتهم بعد إتمام الحجّة عليهم.
- إنّ بقاء الإمام عجل الله فرجه الشريف على قيد الحياة يُعتبر عاملاً قويّاً ومؤثّراً في زرع الطُّمأنينة وشيوع الأمل بين النّاس، ليحاولوا إصلاحَ أنفسهم وإعدادَها لظهوره.

* فائدة وجود الإمام عجل الله فرجه الشريف حال الغيبة

إنّ غيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف لا تعني انقطاعه التامّ عن النّاس، ولا تستلزم حرمان النّاس من بركات وجوده، ونعمة هدايته، وإن كانت بدرجة أقلّ وآثار أضعف، وكما أشار الإمام نفسه إلى هذا الأمر بقوله عجل الله فرجه الشريف: «**وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشّمس، إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب**»[2]، فإنّ الشّمس يُستفاد من نورها وشعاعها وإن حجبتها الغيوم وإن كانت الفائدة أقلّ. وقد وُفِّق بعض الأشخاص للقاء الإمام عجل الله فرجه الشريف واستفادوا منه الكثير في قضاء حوائجهم، وتوجيههم فكريّاً وسلوكيّاً.

---

(1) وهم: عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان بن سعيد، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري.
(2) كمال الدين، الشيخ الصدوق، مصدر مذكور، ص485، الباب 45 ذكر التوقيعات، الحديث 4.

خلاصة الدرس

- إنّ هدف الأنبياء عليهم السلام إقامة العدل والقسط في الأرض كلِّها، وعدم تمكّن الأنبياء من تحقيق هذا الهدف لا يعني قصور تعاليمهم ومناهجهم وأساليبهم أو تقصيراً منهم؛ بل لعدم توافر الظروف الموضوعيّة.

- ممّا ورد في ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

- جاء في بعض الروايات أنّ المصداق الكامل لهذا الوعد سيتحقّق في زمن ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه بصورة كاملة.

- إنّ الروايات في الإمام المهديّ عجل الله فرجه متواترة من طريق أهل السنّة فضلاً عن الشيعة.

- في الحديث «**لو لم يبقَ من الدهر إلّا يوم لبعث اللّه رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً**».

- تُعتبر الغَيْبَة من خصائص الإمام المهديّ عجل الله فرجه والّتي ورد التأكيد عليها في الروايات.

أسئلة حول الدرس

1. هل إنّ عدم تحقّق العدالة في الأرض ناتج عن قصور تعاليم الأنبياء عليهم السلام ولماذا؟

2. اذكر آية تدلّ على الوعد الإلهيّ بتحقّق العدالة، ومتى تتحقّق؟

3. اذكر الأسرار والحكم من غيبة الإمام عجل الله فرجه.

4. اذكر روايتين حول وجود الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وروايتين حول غيبته.

الدرس الواحد والعشرون:

الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتبيّن له حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف .
2. يتعرّف إلى الإجابات عن التساؤلات المتعلّقة بغيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف .
3. يتعرّف إلى بعض علامات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف .

* تمهيد

بعدما تقدّم الكلام عن فلسفة الغيبة ومغزاها، وأنّ لها أسباباً أوجبتها، وأنّ الغيبة لم تكن نتيجة رغبة في الابتعاد عن مسرح الأحداث بقدر ما كانت بسبب الناس أنفسهم الّذين يجهلون حقيقة الإمامة ودور الإمام، وبسبب قلّة الناصر للإمام عجل الله فرجه والمحامي عنه عليه السلام، بحيث أصبح معرّضاً للقتل، مع العلم أنه المعصوم الوحيد المتبقّي القادر على القيام بدور القيادة الإلهية للمجتمع؛ لذلك وجب الحفاظ عليه، لئلّا تخلو الأرض من حجّة، فإنّ الأرض لا تستقرّ ولا تستمرّ من دون الارتباط بالله -تعالى- من خلال الحجّة كما جاء في الحديث الشريف: «**لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها**»[1].

إضافة إلى أنّ الغيبة تدفع الناس للإحساس بالحاجة إلى وجود الإمام نتيجة إدراكهم للنقص الحاصل بسبب غيبته.

فتخلق فيهم دافعاً قويّاً، لتهيئة الظروف المناسبة لظهوره المبارك عجل الله فرجه، ورفع الموانع الّتي تمنع من قيامه بنهضته العالمية. إلّا أنّه -ومع كلّ ما تقدّم- لا بدّ من الإجابة عن بعض التساؤلات المثارة حول الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

(1) انظر: النمازي الشاهرودي، الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران -قم، 1418هـ لا.ط، ج5، ص278.

* هل يمكن أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل؟

الجواب:

1. إنّ مسألة طول عمر الإنسان ليست أمراً مستحيلاً عقلاً، وبالتالي فهي أمر ممكن وكلّ أمر ممكن مقدور للّه -تعالى- -كما مرّ في بحث القدرة- فإذا أراد اللَّه -تعالى- -وقد أراد[1]- أن يُطيل عمر إنسان فإنّه يطول، قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

2. لقد تعرّض القرآن الكريم والروايات الشريفة لذكر عدد من البشر الذين أطال اللَّه -تعالى- أعمارهم، ولقد حكم العقل واتفق العقلاء على أنّ الوقوع أدلّ دليل على الإمكان فمن آمن بالقرآن وتدبّره واطّلع على الروايات، وجب عليه الاعتقاد بأنّ طول العمر قد تحقّق لعدد من البشر، منهم:

- **النبيّ نوح** عليه السلام: حيث يقول -تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾[3].

وهذه الأعوام الطويلة عاشها نوح عليه السلام يدعو قومه بعد إرساله إليهم، وعاش بعد الطوفان مدّة مديدة.

- **الخضر** عليه السلام: وهو صاحب النبيّ موسى عليه السلام، الّذي تحدّث عنه المولى -عزّ وجلّ- بقوله -تعالى-: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدًا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا﴾[4].

(1) وقد علمنا إرادته -تعالى- لإطالة عمر صاحب الزمان عجل الله فرجه من خلال الروايات المتواترة الّتي تقدّمت الإشارة إليها.
(2) سورة يس، الآية 82.
(3) سورة العنكبوت، الآية 14.
(4) سورة الكهف، الآيتان 65 - 66.

والخضر كان حيّاً قبل لقائه النبيّ موسى عليه السلام وكان صاحب علم جليل، وما زال حيّاً، وسيبقى حيّاً كما ذكرت جملة من الروايات، وقد عزّى الخضر عليه السلام أهل البيت عليهم السلام بوفاة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم [1].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وأما العبد الصالح -أعني الخضر عليه السلام- فإنّ اللَّه -تبارك وتعالى- ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له، ولا لكتاب يُنزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى إنّ اللَّه -تبارك وتعالى- لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيّام غيبته ما يقدر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طول عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلّا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجّة**»[2].

وبعد هذا البيان وما تقدّم من تواتر الروايات لا يبقى أمام طالب الحقيقة إلّا الإذعان لهذه الحقيقة الناصعة.

* لماذا أطال اللَّه عمره الشريف ولم يُنصّب إماماً آخر غيره عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

والجواب:

1. إنّه إذا قام دليل قطعيّ على أمر ما وجب الاعتقاد به والتسليم له، بغضّ النظر عن معرفة الإنسان الباحث عن الحقيقة بالأسباب والغايات الّتي أوجبته، وإن كان هذا لا يمنع من محاولة البحث لمعرفة تلك الأسباب والحكم والغايات، على أن لا يكون إذعانه متوقّفاً على معرفتها.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، مصدر مذكور، ص291.
(2) المصدر نفسه، ص357.

وخاصّة أنّ أحد أركان الإيمان هو الاعتقاد والإيمان بأمور غيبيّة لا يتمكّن الإنسان من الاطلاع عليها بشكل مباشر، بل تتوقّف على ورود بيان شرعيّ فيها، قال -تعالى-: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]. وإنّ الاعتقاد بوجود الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف أصبح من الغيب نتيجة غيبته، والإيمان به من جملة الإيمان بالغيب، وهو من صفات المتّقين.

وقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن الآية المتقدّمة، فقال عليه السلام: «**المتّقون شيعة عليّ عليه السلام، والغيب فهو الحجّة (الغائب) وشاهد ذلك قوله -تعالى-:** ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾[2] **فأخبر -عزَّ وجلَّ- أنّ الآية هي الغيب، والغيب هو الحجّة، وتصديق ذلك قول اللَّه -عزَّ وجلَّ-:** ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾[3] **يعني حجّة**»[4].

وفي كلام آخر للإمام الصادق عليه السلام حول الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف: «**يا بن الفضل، إنّ هذا الأمر أمر من أمر اللَّه -تعالى- وسرّ من سرّ اللَّه، وغيب من غيب اللَّه، ومتى علمنا أنّه -عزَّ وجلَّ- حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف**»[5].

2. لقد تقدّمت الإشارة إلى أنّ العصمة وهي شرط أساس لتولّي منصب الإمامة ليست جبريّة، وبالتّالي فإنّ المؤهّلين لمنصب الإمامة هم الأئمّة الاثنا عشر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على حسب الترتيب المعروف، فلو فرض موت الإمام الثاني

---

(1) سورة البقرة، الآية 3.
(2) سورة يونس، الآية 2.
(3) سورة المؤمنون، الآية 50.
(4) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، مصدر مذكور، ص18.
(5) المصدر نفسه، ص91.

عشر-والعياذ بالله- فهذا يعني استحالة إقامة دولة العدل الإلهيّ الّتي وعد الله -تعالى- بها، وذلك لعدم وجود المؤهَّل لتحمّل هذا المنصب، وبذلك ينتفي الغرض من بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

* متى يتحقّق ظهور الإمام عجل الله فرجه؟

الجواب:

1. بما أنّ للغيبة أسباباً، وللظهور غايات وأهدافاً كما تقدّم، فلا يمكن أن يتحقّق الظهور قبل ارتفاع الأسباب الّتي دفعت إلى غيبة الإمام عجل الله فرجه، ولا بدّ من تحقّق الأرضيّة المناسبة والظروف الموضوعيّة الّتي تسمح بتحقّق الهدف، فعندما تتحقّق تلك الظروف، وعندما يقطع معظم الناس الأمل بإمكانيّة تحقيق العدالة على أيدي البشر العاديّين، فيتوسّلون تحقيق العدالة الإلهيّة على يدي رجل إلهيّ، حينئذ تكون الأسباب قد ارتفعت والأرضيّة قد تهيّأت، وأمّا متى يحصل هذا؟ فهو أمر تنحصر معرفته بالله -تعالى-؛ ولذلك ورد النهي الشديد، والتكذيب الأكيد على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام -لكلّ من يحاول توقيت الظهور، فقد ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول اللَّه، متى يخرج القائم من ذريّتك؟ فقال** صلى الله عليه وآله وسلم**: مثله مثل الساعة** ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾[1]»[2].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون وإلينا يصيرون**»[3]، وغيرها من الروايات.

(1) سورة الأعراف، الآية 187.
(2) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي، مصدر مذكور، ج51، ص154.
(3) الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص368.

2. إنّ إخفاء الوقت له آثار إيجابيّة في دفع الإنسان إلى العمل والسعي والجدّ، وتربية نفسه وتهذيبها، ليكون مؤهّلاً وحاضراً عندما تأتيه الدعوة للخروج، ويسمع النداء، فتبقى بذلك قلوب المؤمنين مشتاقة لرؤيته ومهيّئة لتقبّل دعوته عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد جاء في رسالة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف للشيخ المفيد: «**فليعمل كلّ امرئ منكم بما يُقرّبه من محبّتنا، ويتجنّب ما يُدنيه من كراهيتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا يُنجيه من عقابنا ندم على حوبة**»[1].

* هل يوجد علامات للظهور؟

الجواب:

نعم لقد وردت جملة من الروايات الّتي تستعرض بعض العلامات الّتي تسبق خروج الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلّا أنّه لا بدّ من الإشارة إلى الأمور الآتيّة:

1. إنّ العلامة هي مجرّد إشارة على قرب الظهور، وليست سبباً للظهور بحيث يتوقّف عليها.

2. إنّ العلامة لا تدلّ بالضرورة على ملاصقة الظهور لها، فقد تكون علامة على عصر الظهور وليست علامة لتوقيته، وإن كان يوجد علامات تُشير إلى كون الظهور قريباً جدّاً -كما سيأتي-.

3. إنّ بعض العلامات بشكل عامّ وردت على شكل رموز، ولذلك يُخطئ من يحاول تطبيقها بشكل قاطع على حوادث ووقائع، فلا يُفيد هذا التطبيق إلّا ظنّاً ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾[2].

(1) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج53، ص176.
(2) سورة النجم، الآية 28.

4. توجد علامات حتميّة الوقوع، وفي المقابل توجد علامات غير حتميّة الوقوع، وقد يحصل البَداء فيها.

5. على الإنسان المؤمن ألا يتلهّى بالعلامات ويقف عندها ويغفل عن الأمر المهمّ وهو السعي لتهذيب نفسه وتزكيتها وتهيئتها، ليكون لائقاً لصحبة الإمام عجل الله فرجه؛ لأنّ هذا الّذي يحتاجه المؤمن لنفسه، ويطلبه منه إمامه عجل الله فرجه، وبذلك تتحقّق إحدى فوائد جعل العلامات وبيانها.

وإليك بعض العلامات الواردة بشكل إجماليّ، وهي:

أ. **خروج الثلاثة:** ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**خروج الثلاثة: السفيانيّ والخراسانيّ واليمانيّ في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها من راية أهدى من راية اليمانيّ لأنّه يدعو إلى الحقّ**»(1).

ب. **الرايات السود:** ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**تنزل الرايات السود الّتي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهديّ عجل الله فرجه بعثت إليه بالبيعة**»(2).

ج. **قتل النفس الزكية:** ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكية إلّا خمس عشرة ليلة**»(3).

د. **الخسف:** ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**... وعند ذلك ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»(4).

هـ. **الصيحة من السماء:** ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ينادي منادٍ من السماء باسم القائم فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلّا استيقظ،**

(1) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج52، ص210.
(2) المصدر نفسه، ج52، ص217.
(3) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد اللّه الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران -قم، 1411هـ، ط1، ص445.
(4) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، مصدر مذكور، ص251.

ولا قائم إلّا قعد، ولا قاعد إلّا قام على رجليه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب»[1].

* الأجواء الفاسدة

بقيت الإشارة إلى الأجواء الفاسدة التي تسود في الأمّة عصر الظهور، وذلك من خلال الرواية الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**...فإنّ علامات ذلك: إذا أمات الناس الصلاة وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرّشا... وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء واستخفّوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان والإثم والطغيان... وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقي الفاجر مخافة شرّه، وصُدّق الكاذب واؤتمن الخائن، واتُخذت القيان والمعازف، ولعن آخر الأمّة أوّلها، وركبت ذوات الفروج السروج، وتشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء...»**[2].

(1) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج52، ص203.
(2) المصدر نفسه، ص193.

خلاصة الدرس

- إنّ مسألة طول عمر الإنسان ليست من المستحيلات العقليّة، واللَّه قادر على كلّ شيء.
- إنّ طول عمر الإنسان كما أنّه ممكن عقلاً هو واقعٌ خارجاً، كما في النبيّ نوح عليه السلام والخضر عليه السلام.
- الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه هو أحد مصاديق الإيمان بالغيب.
- إنّ إقامة دولة الحقّ تحتاج إلى المعصوم فلو فرض موت الإمام الثاني عشر فهذا يعني استحالة إقامة دولة الحقّ.
- إنّ للظهور أسبابه الموضوعيّة فمتى حانت ظهر الإمام عجل الله فرجه بأمر اللَّه -تعالى-.
- إخفاء توقيت ظهوره المبارك ففيه فوائد منها: دفع الإنسان المؤمن للعمل والسعي وتربية نفسه لتتهيّأ لظهوره الشريف.
- وردت روايات تستعرض علامات لظهوره الشريف، ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ العلامة إشارة على قرب الظهور وليست سبباً، كم أنّها قد تكون علامة على عصر الظهور وليست علامة لتوقيت الظهور.
- إنّ بعض العلامات يُشكِّل رموزاً لذلك قد يُخطئ بعض الناس في تطبيقها، وعلى الإنسان المؤمن أن لا يلتهي بالعلامات عن العمل للتمهيد للظهور المبارك.
- علامات الظهور منها حتميّ ومنها غير حتميّ قد يحصل البداء فيها.
- من العلامات: خروج السفياني والخراساني واليماني، الرايات السود من خراسان، قتل النفس الزكيّة، الخسف، الصيحة من السماء، انتشار الفساد.

أسئلة حول الدرس

1. ما هي فلسفة طول عمر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

2. ما هو الهدف من إخفاء ساعة الظهور؟

3. عدّد بعضاً من علامات الظهور.

الدرس الثاني والعشرون:

المعاد

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى أهمية الاعتقاد بالمعاد.
2. يُدرك نتائج الاعتقاد بالمعاد.
3. يتعرّف إلى آية قرآنية تتحدّث عن المعاد.

* أهميّة معرفة العاقبة

إنّ البحث عن المعاد يتمّ ضمن المراحل التالية:

الأولى: أهميّة الاعتقاد بالمعاد وفيها يتمّ بيان ميزة هذا الأصل العقائديّ، وتأثيره المهمّ في سلوك الإنسان وأفعاله الفرديّة والاجتماعيّة.

الثّانية: أهميّة الروح في إثبات المعاد ويتمّ من خلالها توضيح التّصوّر الصّحيح عن المعاد، والّذي يتوقّف على إثبات وجود الرّوح غير المحسوسة والخالدة والاعتقاد بها، لأنّها تُشكّل الأساس الأوّل لإثبات المعاد، فكما أنّ معرفة الوجود تبقى ناقصة من دون الاعتقاد بوجود اللّه الواحد، فكذلك معرفة الإنسان ومصيره تبقى ناقصة إن لم يعتقد بوجود الروح الخالدة.

الثّالثة: ويتمّ فيها عرض بعض الأدلّة الّتي يتمّ من خلالها إثبات المعاد ومسائله الأساس.

الرّابعة: عرض أهمّ شبهات المنكرين للمعاد والردّ عليها.

وبهذا يكون قد تمّ استعراض الخطوات المطلوبة بشكل إجمالي وقد جاء دور البحث التّفصيلي لتلك الخطوات.

* المرحلة الأولى: أهميّة الاعتقاد بالمعاد

إنّ الباعث والداعي للقيام بالنّشاطات والأعمال الحياتيّة هو إشباع الحاجات والرّغبات، وتحقيق الأهداف والطّموحات، وبالتّالي الوصول للسّعادة والكمال المنشود للإنسان. وإنّ تقويم الأفعال، وكيفيّة توجيهها مرتبط بتحديد الأهداف الّتي يسعى بجميع جهوده وطاقاته لبلوغها. ومن هنا كان لمعرفة الهدف النّهائي للحياة الّتي يعيشها دور أساس في معرفة الطرق والوسائل والأعمال الّتي لا بدّ من اختيارها وممارستها. وفي الواقع إنّ العامل الرّئيس في تحديد طريقة الحياة ومسيرتها يكمن في رؤية الإنسان ومعرفته بحقيقته وكماله وسعادته. ومن يعتقد أنّ حقيقته ليست إلّا مجموعة من العناصر المادّيّة البدنيّة والتّفاعلات المعقّدة فيما بينها، ويرى حياته محدّدة بهذه الأيّام القليلة للحياة الدّنيويّة، ولا يعرف لذّةً أو سعادة أو كمالاً آخر وراء هذه المنافع والمكاسب المرتبطة بهذه الحياة، فإنّه سوف يُنظّم أعماله وسلوكه بما يُشبع حاجاته الدّنيويّة ومتطلّبات هذا العالم، أمّا الّذي يؤمن بأنّ حقيقته أوسع وأبعد من الظّواهر المادّيّة، ولا يرى في الموت نهاية الحياة، بل يراه منعطفاً ينتقل من خلاله من هذا العالَم المؤقّت إلى عالَم خالد باقٍ، وأنّ أعماله الصّالحة وسيلة للوصول لسعادته وكماله الأبديّين، فإنّه سوف يُخطّط لنظام حياته بطريقة تكون معها أكثر عطاء وأفضل تأثيراً على حياته الأبديّة. ومن جانب آخر، فإنّ المتاعب والمصائب والابتلاءات الّتي يواجهها في حياته الدّنيويّة، لا تُثبط عزيمته، ولا تبعث فيه روح اليأس والقنوط، ولا تمنعه من مواصلة جهده وعزيمته في سبيل ممارسة وظائفه، وبلوغ السّعادة والكمال الأبديّين اللذين يطلبهما الإنسان بفطرته.

ولا ينحصر تأثير هذين النّوعين من معرفة الإنسان في الحياة الفرديّة، بل إنّ لهما تأثيراً كبيراً وفاعلاً في الحياة الاجتماعية، وفي مواقف الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم. فإنّ للاعتقاد بالحياة الأُخرويّة، وبالثّواب والعقاب الأبديّين، دوره

المهمّ وتأثيره البالغ في رعاية حقوق الآخرين، والإيثار والإحسان إلى المحتاجين والمحرومين. وحين يسود المجتمع مثل هذا الاعتقاد، فلا يحتاج كثيراً إلى استخدام القوّة في سبيل تنفيذ القوانين والأحكام العادلة ومكافحة الظّلم والاعتداء على الآخرين. وبطبيعة الحال كلّما اتّسعت دائرة هذا الاعتقاد بين النّاس وعمّت، فإنّ المشاكل والخلافات سوف تقلّ.

ومن خلال هذه الملاحظات، تتّضح لنا أهميّة مسألة المعاد، وقيمة البحث فيها، بل وحتّى الاعتقاد بالتّوحيد لا يُمكنه أن يؤثّر أثره الكامل والشّامل في توجيه الحياة الدنيوية الوجهة الصّحيحة والمنشودة إن لم يكن مقترناً بالاعتقاد بالمعاد، ومن هنا ينكشف سرّ اهتمام الأديان السّماويّة -وخاصّة الدّين الإسلاميّ المقدّس- بهذا الأصل العقائدي، وسرّ بذل الأنبياء عليهم السلام أقصى جهودهم في سبيل ترسيخ هذه العقيدة في النّفوس وتثبيتها.

والاعتقاد بالحياة الأخرويّة، إنّما يكون له تأثيره في توجيه السّلوك والأفعال الفرديّة والاجتماعيّة، فيما لو تمّ التّسليم بوجود نوع من علاقة السببيّة والمسببيّة بين ما يتحقّق في هذا العالم من المواقف والأفعال، والسّعادة والشّقاء في عالم الآخرة.

وبهذا يظهر أنّه من الضّروري -إضافةً لإثبات المعاد والحياة الأخرويّة- إثبات العلاقة بين الحياتين (الدّنيا والآخرة) وتأثير الأفعال الاختياريّة في السّعادة والشّقاء الأبديّين.

* اهتمام القرآن الكريم بمسألة المعاد

الملاحظ أنّ أكثر من ثلث الآيات القرآنيّة، مرتبط بالحياة الآخرة، وفي مجموعة من هذه الآيات أكّد القرآن المجيد على لزوم الإيمان بالآخرة[1]، وفي مجموعة

(1) ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 4. وانظر أيضاً سورة لقمان، الآية 4؛ سورة النمل، الآية 3.

أخرى أشار إلى آثار إنكار المعاد ومضاعفاته[1]، وفي ثالثة ذكر النّعم الأبديّة[2]، وفي رابعة تعرّض القرآن الكريم إلى أنواع العذاب الأبديّ[3]، كما أنّ هناك آيات كثيرة ذكرت العلاقة بين الأعمال الحسنة والسّيئة، مع نتائجها وآثارها الأُخرويّة. وكذلك أكّدت بأساليب مختلفة إمكان القيامة بل وضرورتها، وتعرَّضت للإجابة عن شبهات المنكرين، وقد بيّنت بعض الآيات أنّ السّبب في الكثير من أنواع الضلال والانحراف هو نسيان أو إنكار القيامة ويوم الجزاء[4].

ومن خلال التأمّل في الآيات القرآنيّة نتوصّل إلى أنّ القسم الأكبر من أحاديث الأنبياء عليهم السلام ومناظراتهم مع النّاس كان يدور حول موضوع المعاد، بل يمكن القول إنّ الجهود الّتي بذلوها لإثبات هذا الأصل كانت أكثر من جهودهم لإثبات التّوحيد؛ وذلك لأنّ أغلب النّاس كانوا يتّخذون موقفاً أكثر عناداً وتشدّداً من هذا الأصل. ويمكن أن نُلخّص السبب في عنادهم وتشدّدهم في أمرين:

1. عامل مشترك يتجسّد في إنكار كلّ أمر غيبيّ وغير محسوس.

2. عامل مختصّ بموضوع المعاد، أي الرغبة بالتحلّل، وعدم الشّعور بالمسؤوليّة، وذلك لما ذكرناه من أنّ الاعتقاد بالقيامة والحساب، يُعتبر دعامة قويّة وصلبة

---

(1) ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ سورة الإسراء: 10، وأيضاً السور التالية: الفرقان: 11، وسبأ: 8، والمؤمنون: 74.

(2) ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ سورة الإنسان: 21-11، وانظر سورتي: الرحمن: من الآية 46 إلى آخر السورة. الواقعة: 38-15.

(3) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ سورة الحاقة: 32-25، وانظر أيضاً سورتي: الملك: 11-6، الواقعة: 56-42.

(4) ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ سورة ص: 26، وانظر أيضا: سورة السجدة: 14.

للشعور بالمسؤوليّة، ودافعاً قويّاً لتقبّل الكثير من الضّوابط على السّلوك والأعمال، والكفّ عن الظّلم والاعتداء والفساد والمعصية. وبإنكاره سوف يفتح الطّريق أمام تدفّق التّصرّفات المتحلّلة، وعبادة الشهوات والأنانيّات والانحرافات. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العامل في قوله: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾[1].

* خلاصة القول

من أجل أن يتمكّن الإنسان من اختيار الطريق الّذي يؤدّي به إلى سعادته الحقيقيّة وكماله النهائيّ، يلزم عليه أن يُفكّر ويسأل نفسه: هل تنتهي الحياة الإنسانيّة بالموت؟ هل توجد حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ هل الانتقال من هذا العالم إلى عالم آخر، كالسّفر من مدينة إلى مدينة أخرى، بحيث يُمكنه توفير وسائل ومستلزمات المعيشة والحياة في تلك المدينة؟ هل الحياة في هذا العالم مقدّمة، وأرضيّة لحصول المسرّات والآلام في ذلك العالم، فلا بدّ أن يعدّ العدّة، ويعمل في هذا العالم، ليحصل على النتيجة النهائيّة هناك أم لا وجود لهذه العلاقة؟

وسيأتي الجواب الصحيح وبشكل واضح لهذه الأسئلة في المرحلة الثالثة في الدروس الآتية.

(1) سورة القيامة، الآيات 3 - 5.

خلاصة الدرس

- إنّ الإيمان بالمعاد يُصيّر الإنسان أكثر عطاءً ونشاطاً وعملاً، ويُخفِّف عنه وطأة المصائب والبلاءات، ويجعل العلاقة بين الناس علاقة تعاون ومحبّة وإيثار وأخلاق، فلا يُحتاج في تطبيق القوانين ومكافحة الظلم إلى استخدام القوّة.

- الاعتقاد بالمعاد لا يؤثِّر أثره المطلوب إلّا إذا سلّمنا بتأثير أفعال الإنسان في السعادة والشقاء الأبديّين، أي إذا سلّمنا بالثواب والعقاب الأخرويّين.

- ولأهميّة الإيمان بالمعاد والثواب والعقاب كان للأديان وخصوصاً الإسلام الاهتمام البارز في هذه المسألة؛ لذا نرى أنّ أكثر من ثلث الآيات القرآنية مرتبط بالحياة الآخرة.

- هناك أسباب عديدة لإنكار المعاد، منها: إنكار كلّ أمر غيبيّ وغير محسوس. الرغبة في التحلُّل من الواجبات والانغماس بالشهوات.

أسئلة حول الدرس

1. تحدّث باختصار عن أهميّة الاعتقاد بالمعاد، وأثره على الإنسان.

2. اذكر العاملين الأساسين لإنكار المعاد.

3. اذكر آية قرآنية تتحدّث عن المعاد مع تفسيرها بشكل مختصر.

الدرس الثالث والعشرون:

المعاد والروح

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتبيّن له علاقة الروح بالمعاد.
2. يتعرّف إلى الدليل العقلي على تجرّد الروح.
3. يتعرّف إلى الدليل القرآني على تجرّد الروح.

* المرحلة الثّانية: المعاد وعلاقته بالروح وتجرّدها

لقد أثبت العلم أنّ بدن الإنسان والحيوان مؤلّف من مجموعة خلايا، وأنّ خلاياه في تحوّل وتبدّل دائمين، سواء قلنا كلّها بحسب بعض النظريّات الطبيّة، أو بعضها بحسب نظريّات أخرى.

فالبدن اليوم -بلحاظ مجموعه- هو غيره بعد سنوات، وفي نفس الوقت يجد الإنسان نفسه واحداً لا يتغيّر طوال حياته، وهذا يكشف عن أنّ منبع وحدته ليس هو البدن إذ هو متغيّر حسب الفرض، وعليه يجب أن يوجد وراء بدن الإنسان حقيقة أخرى ثابتة لا تتغيّر منذ الطّفولة إلى الشّباب، فالكهولة، فالشّيخوخة، وهذه الحقيقة المجرّدة هي المعبّر عنها بالرّوح، وعند الفلاسفة بالنّفس، وهي موجود قابل للاستقلال عن البدن، وإليها يسند الإنسان كلّ أفعاله وفي كلّ الأزمنة فيقول: أنا فعلت كذا حين كنت طفلاً، وأنا فعلت كذا في مرحلة الشّباب وهكذا.

وبإثبات الرّوح وتجرّدها عن المادّة، يُمكن حينئذ البحث حول المعاد وإثباته، لأنّه بذلك يمكن القول إنّ الشخص المُعاد -أي: الشخص الّذي تُردّ له الحياة بعد الموت- هو نفسه الّذي كان في الدنيا، لأنّ البدن يتلاشى ولكن الرّوح، والّتي بها وحدة الإنسان باقية، وبها ترتبط شخصيّة الإنسان وإنسانيّته، وحينما تتعلّق من

جديد بالبدن يحتفظ الشخص بوحدته كما هو الحال قبل الموت، ولا يؤدّي تبدّل موادّ البدن إلى تعدّد الشخص.

وبسبب أهميّة تجرّد الرّوح في إثبات المعاد، ينبغي استعراض بعض الأدلّة العقليّة والنّقليّة على تجرّدها.

* الروح والبدن

قبل الحديث عن تجرّد الروح والأدلّة على ذلك، لا بدّ من إثبات أنّ الروح موجود آخر غير البدن. ولتوضيح هذا الأمر لا بدّ من تقديم مقدّمة تقع ضمن نقطتين:

1. لا يشكّ أحدنا أنّه يشاهد لون جلده وشكل بدنه بأمّ عينه، ويتحسّس خشونة أعضائه ونعومتها بحاسّة اللّمس، ولا يمكن التّعرف إلى داخل البدن إلّا بصورة غير مباشرة. هذا إضافة إلى أنّ الخوف والحبّ والبغض، والغضب والإرادة والتفكير، يُدركها الإنسان بدون احتياج للحواس، وكذلك يتعرّف إلى «**الأنا**» الذي يملك هذه الإحساسات والمشاعر والعواطف والحالات النفسيّة بدون استخدام الحواس.

إذاً فالإنسان يملك نوعين من الإدراك: أحدهما يحتاج فيه إلى الحواس، والثاني: لا يحتاج فيه إلى الحواس وهذا واضح.

2. مع ملاحظة إمكان تعرّض المدركات الحسيّة للخطأ، إذ قد تُخطئ الحواس كما هو الحال فيمن يرى السّراب، فإنّه يراه ماءً مع أنّه إذا جاءه لم يجده شيئاً، فمن الممكن حصول الخطأ في النّوع الأوّل من المدركات، خلافاً للنّوع الثّاني، فهي معارف لا مجال فيها للخطأ والاشتباه والشكّ والتّردّد، فيمكن للمرء أن يشكّ في لون جلده، وأنه هل شخّصه كما هو في الواقع فعلاً أم لا، ولكن لا يمكن لأحد أن يشكّ، في أنّه هل فكّر أم لا، أو أراد شيئاً أم لا، أو شكَّ أم لا؟!

وهذا ما يُعبّر عنه بالعلم الحضوريّ وهو يتعلّق مباشرة بالواقع بلا توسُّط الصورة، ولذلك لا يقبل الخطأ، وأمّا العلم الحصوليّ، فبما أنّه يحصل بواسطة الصورة الإدراكيّة، فهو يقبل الشكّ والتردّد ذاتاً[1].

ومعنى ذلك، أنّ أكثر علوم الإنسان رسوخاً وقوّة هي العلوم الحضوريّة والمدركات الشّهوديّة الّتي تشمل علم النفس بنفسها والإحساسات والمشاعر والعواطف والحالات النّفسيّة الأخرى. ولذا فإنّ «**الأنا**» المدرِك، المفكّر، المريد، لا يقبل الشّكّ والتّردّد أبداً، وكذلك وجود حالات الخوف والحبّ والغضب والتفكير والإرادة، لا يقبل التّردّد.

ومن هنا يبرز هذا السؤال: هل هذا «**الأنا**» هو البدن الماديّ والمحسوس؟ وهل هذه الحالات النفسية بدورها من أعراض البدن، أم أنّ وجودها غير وجود البدن، وإن كان «**للأنا**» علاقة وثيقة وقويّة بالبدن، إذ إنّ «**الأنا**» يقوم بالكثير من أعماله ونشاطاته بواسطة البدن، وكما يؤثّر بالبدن، فإنّه يتأثّر به أيضاً؟ والجواب يأتي ضمن العناوين الآتية.

* الدّليل العقلي على تجرّد الرّوح

1. إنّنا نُدرك «**الأنا**» بالعلم الحضوريّ، وأمّا البدن فلا يمكن أن نتعرّف إليه إلا بمعونة الحواسّ، إذاً فـ«**الأنا**» أي النفس والرّوح غير البدن.

2. إنّ «**الأنا**» موجود يبقى محافظاً خلال عشرات السّنين على وصف الوحدة الشّخصيّة الحقيقيّة، ونُدرك هذه الوحدة الشّخصيّة بالعلم الحضوريّ الّذي لا يقبل الخطأ ولا الشكّ، وأمّا أجزاء البدن، فإنّها تتعرّض للتغيّر والتّبديل، مرّات عديدة، ولا يوجد أيّ ملاك للوحدة الحقيقيّة بين أجزائه السّابقة واللّاحقة.

(1) راجع: المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، الشيخ اليزدي، الجزء الأوّل، الدرس الثالث عشر (بتصرّف).

3. إنّ «**الأنا**» موجود بسيط لا يقبل التّجزئة والتّقسيم، فلا يمكن مثلاً تقسيمه إلى نصفين، بينما أعضاء البدن متعدّدة وقابلة للتّقسيم.

4. الملاحظ أنّ جميع الحالات النّفسيّة كالإحساس والإرادة وغيرهما، لا تملك الخاصّة الأصليّة والرّئيسة للمادّيّات، أي: الامتداد والقابليّة للتّقسيم؛ لذلك لا يمكن اعتبار هذه الأمور غير المادّيّة من أعراض المادّة (البدن)، إذاً لا بدَّ من أن يكون موضوع هذه الأعراض جوهراً غير مادّي[1].

* الدليل القرآني على تجرّد الرّوح

يؤكّد القرآن الكريم على وجود الرّوح الإنسانيّة، وهذه الحقيقة القرآنيّة ممّا لا تقبل الشكّ والتردُّد، فهي الرّوح الّتي تُنسب للَّه -تعالى-، لشدّة شرفها وسموّها[2] كما يقول القرآن الكريم في كيفيّة خلق الإنسان: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾[3].

وليس المراد -والعياذ باللَّه- انفصال شيء من ذات اللَّه -جلّ وعلا- وانتقاله للإنسان. وفي الحديث عن خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول -تعالى-: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[4] إشارة إلى خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث خلق اللَّه -تعالى- البدن من تراب، والروح نسبها -تعالى- إلى ذاته.

وكذلك يُستفاد من آيات أخرى أنّ الرّوح غير البدن، وذلك لأنّها تمتلك قابليّة البقاء بدون البدن، ومن هذه الآيات قوله -تعالى- على لسان الكفّار: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾[5]، أي إذا تفرّقت أجزاء أبداننا في التّراب، ويُجيبهم القرآن الكريم بقوله: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم

(1) المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، الشيخ اليزدي، الجزء الثاني، الدرس الرابع والأربعون، والتاسع والأربعون. غير مادّي: أي مجرّداً من المادّة ولذلك أطلق على الروح أنّها موجود مجرّد.
(2) انظر: الكافي، الشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج1، ص134.
(3) سورة السجدة، الآية 9.
(4) سورة الحجر، الآية 29، وسورة ص، الآية 72.
(5) سورة السجدة، الآية 10.

مَلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾[1].

إذاً فمِلاك هويّة الإنسان وحقيقته هي روحه الّتي تتّصف بالتجرّد والبقاء، وليس أجزاء البدن الّتي تتلاشى وتتفرّق في الأرض.

وفي موضع آخر يقول -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾[2].

وفي موت الظّالمين يقول -تعالى-: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾[3].

ويُفهم من هذه الآيات وآيات أخرى أنّ نفس كلّ امرئ تتحدّد بذلك الشّيء الّذي يقبضه ملك الموت أو الملائكة الموكّلون بقبض الأرواح، وأنّ انعدام البدن لا تأثير له على بقاء الرّوح ووحدة الإنسان الشّخصيّة.

ونتيجة ذلك أمور ثلاثة:

1. إنّه يوجد في الإنسان شيء يُسمّى بـ«**الرّوح**».

2. الرّوح الإنسانيّة قابلة للبقاء والاستقلال عن البدن، وهي ليست من قبيل الأعراض والصّور الماديّة الّتي تنعدم حين يتلاشى المحلّ.

3. إنّ هويّة كلِّ امرئ مرتبطة بروحه، وبعبارة أخرى: إنّ حقيقة كلّ إنسان هي روحه، أمّا البدن فإنّه يقوم بدور الآلة بالنّسبة للرّوح، وإلّا لما استطاعت أن تتخلّى عنه وتتعلّق به من جديد.

(1) سورة السجدة، الآية 11.
(2) سورة الزمر، الآية 42.
(3) سورة الأنعام، الآية 93.

خلاصة الدرس

- إنّ ما يُشكِّل مِلاك وحدة الإنسان هي الروح المجرّدة الثابتة لا البدن المتغيِّر، وبإثبات الروح وتجرّدها وبقائها يُمكن البحث في المعاد، لأنّ الشخص المُعاد هو نفسه الذي كان في الدنيا باعتبار وحدة روحه وبقائها وتجرّدها وإن تلاشى بدنه.

- إنّ مدركات البدن بحاجة إلى الحواس، بخلاف مدركات الروح لا تحتاج للحواس.

- المدركات الحسيّة- حصوليّة تتعرّض للخطأ، بخلاف مدركات الروح -الحضوريّة- فإنّها لا تتعرّض للخطأ.

- إنّ الروح -الأنا- ثابت يُحافظ على وحدته الشخصية ونُدرك ذلك بالعلم الحضوري، بخلاف البدن المتغيّر بالوجدان.

- إنّ الروح -الأنا- موجود بسيط لا يقبل التجزئة والتقسيم بخلاف الأعضاء.

أسئلة حول الدرس

1. تحدّث حول ملاك الوحدة في الإنسان.

2. ما هي الأدلّة العقليّة على تجرّد الرّوح؟

3. اذكر آيتين تتحدّثان عن الرّوح.

4. ما هي النتيجة الّتي تستخلص من الأدلّة العقليّة والقرآنيّة على وجود الرّوح؟

الدرس الرابع والعشرون:

أدلّة المعاد والردّ على المنكرين له

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى برهان الحكمة على إثبات المعاد.
2. يُدرك برهان العدالة على إثبات المعاد.
3. يتعرّف إلى بعض شبهات المنكرين للمعاد والردّ عليها.

* المرحلة الثالثة: إثبات المعاد

إنّ الاعتقاد بالمعاد، وإحياء النّاس جميعاً في عالم الآخرة، من أهمّ الأصول العقائديّة في جميع الأديان السّماويّة. وقد أكّد الأنبياء عليهم السلام كثيراً على هذا الأصل، وتحمّلوا الكثير من المتاعب والتّحديات في سبيل ترسيخ هذه العقيدة وتثبيتها في النّفوس. وقد اعتبر القرآن الكريم الاعتقاد بالمعاد عدْلاً وقريناً للاعتقاد بالتّوحيد؛ ولذلك جمع في ما يتجاوز العشرين آية كلمات (اللَّه) و(اليوم الآخر)، أحدهما في سياق الآخر، (إضافة إلى أنّ القرآن الكريم تحدّث عن شؤون الآخرة وأحوالها في أكثر من ألفي آية في سوره المختلفة).

وقد تمّ التّعرّض في بداية هذا الفصل لأهميّة البحث في معرفة العاقبة والمصير، واتّضح بأنّ التصوّر الصحيح للمعاد يبتني على الاعتراف بموجود آخر غير البدن به تتحقّق هويّة كلّ إنسان وحقيقته لا بالبدن المادّي. وهذا الموجود هو الروح، وأنّها ستبقى بعد الموت حتّى يمكن القول: إنّ ذلك الشّخص الّذي مات في الدّنيا هو الّذي رُدّت إليه الحياة في عالم الآخرة مرّة أخرى. وبعد ذلك جرى البحث في إثبات هذه الرّوح عن طريق العقل والوحي. كلّ ذلك، من أجل تمهيد الطّريق لدراسة البحوث الرّئيسة والأصليّة حول الحياة الأبديّة للإنسان، فلا بد بعد ذلك من البحث في إثبات هذا الأصل العقائديّ المهمّ.

وكما تمّ إثبات مسألة الرّوح عن طريقي العقل والنقل، فإنّ هذه المسألة أيضاً يمكن إثباتها استناداً إلى هذين الطّريقين.

* الأدلّة العقليّة

1. برهان الحكمة

لقد خلق اللَّه -تعالى- الكون وما فيه لكي تتوافر الأرضيّة الملائمة لخلق الإنسان -وهو أكمل الموجودات- والإنسان مركّب من بدن فانٍ، ومن روح قابلة للبقاء، ويمكنه الحصول على الكمالات الأبديّة الخالدة المرتبطة بالرّوح، تلك الكمالات الّتي لا يمكن مقارنتها بالكمالات الماديّة من حيث الدّرجة والقيمة الوجوديّة، بل تتفوّق عليها، فإذا انحصرت حياة الإنسان بهذه الحياة الدّنيويّة، فإنّ ذلك لا يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة بل يُنافيها ويلزمه العبث، وخاصّة مع ملاحظة اقتران الحياة الدّنيويّة بالمتاعب والمشاقّ والمصاعب الكثيرة، ولا يمكن الحصول على لذّة غالباً بدون معاناة ومشقّة وتعب، بحيث تَوَصّل الإنسان لهذه النتيجة وهي أن الحصول على تلك اللّذّات الضئيلة لا يساوي شيئاً مقارنة مع المتاعب والمصاعب الّتي يتحمّلها الإنسان في سبيل الحصول عليها. إضافةً إلى أنّه لولا وجود يوم القيامة -أي المعاد-، لكان وجود غريزة حبّ البقاء والخلود الّتي أودعها الخالق في فطرة الإنسان عبثاً وبلا فائدة؛ إذ كيف يتلاءم إيجاد مثل هذه الغريزة مع القول بأنّ مصير الإنسان هو الفناء والتلاشي؟!

إذاً، فوجود هذا الميل الفطريّ للبقاء إنّما يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة فيما لو وجدت حياة أخرى غير هذه الحياة المحكوم عليها بالموت والفناء.

والحاصل، من خلال ضمّ إحدى هاتين المقدّمتين إلى الأخرى -أي: الحكمة الإلهيّة وإمكان الحياة الأبديّة للإنسان- نتوصّل إلى هذه النتيجة وهي أنّه لا بدَّ من وجود حياة أخرى للإنسان وراء هذه الحياة الدّنيويّة المحدودة القصيرة، حتّى لا يتنافى وجوده مع الحكمة الإلهيّة.

ويتّضح أيضاً أنّ الحياة الأبديّة للإنسان لا بدَّ لها من نظام آخر، مغاير لنظام الحياة الدّنيويّة المستلزمة للمتاعب الكثيرة، وإلّا فإنّ استمرار هذه الحياة الدّنيويّة بكلّ مستلزماتها ومتاعبها، حتّى لو كانت مؤبّدة خالدة لا يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة.

2. برهان العدالة

إنّ النّاس أحرار في هذا العالم في اختيار وممارسة الأعمال الحسنة أو السيّئة. فمن جانب نُلاحظ بعض الأفراد يقضون أعمارهم كلّها في عبادة اللَّه -تعالى- وخدمة عباده ومن جانب آخر، نلاحظ بعض الأشرار والمجرمين يرتكبون -من أجل الوصول لنزواتهم وأطماعهم الشّيطانيّة- أبشع أنواع الظّلم وأفظع ألوان الذّنوب، بل إنّ الهدف من خلق الإنسان في هذا العالم، وتجهيزه بأنواع الميول المتضادّة، وبقوّة الإرادة والاختيار، وبأنواع المعارف العقليّة والنّقليّة وتوفير الأجواء والظّروف للأفعال المختلفة، وجعله على مفترق طريقين، الحقّ والباطل، والخير والشّر، الهدف من ذلك كلّه أن يكون معرضاً للاختبارات والابتلاءات العديدة، وليختار مسير تكامله بإرادته واختياره، حتّى يصل إلى نتائج أفعاله الاختياريّة، وثوابها أو عقابها. وفي الواقع إنّ الحياة الدّنيويّة بكاملها جُعلت للإنسان دار ابتلاء واختبار وبناءٍ لهويّته الإنسانيّة، حتّى في أواخر لحظات حياته وعمره، لا يُعفى من هذا الامتحان والتّكليف وممارسة وظائفه المقدورة له.

ولكنّنا نرى أنّ كلّاً من الأخيار والأشرار لا يصلون في هذه الدّنيا إلى الثّواب والعقاب الملائم لأعمالهم، بل إنّنا نرى الكثير من الأشرار والمجرمين يحصلون أكثر من غيرهم على النّعم والملذّات. إضافة إلى أنّ الحياة الدّنيويّة لا تستوعب الثّواب أو العقاب على الكثير من الأعمال والتّصرفات. فمثلاً: ذلك المجرم الّذي قتل آلاف الأبرياء لا يمكن الاقتصاص منه في هذه الدّنيا إلّا مرّة واحدة وبطبيعة الحال سوف تبقى الكثير من جرائمه بدون عقاب، مع أن مقتضى العدل الإلهيّ أن

يتحمّل حتّى من ارتكب أقلّ الأعمال الحسنة أو السيّئة نتائجها وجزاءها.

إذاً فكما أنّ هذا العالم دار اختبار وتكليف، فلا بدَّ من وجود عالم آخر، يُعتبر دار ثواب وعقاب، وظهور نتائج الأعمال فيه، ليصل كلّ فرد إلى ما يتلاءم وأعماله، لتتجسّد العدالة الإلهيّة عمليّاً بذلك!

ومن خلال ذلك يتّضح أيضاً بأنّ عالم الآخرة ليس عالم اختيار الطّريق أو ممارسة التّكاليف، بل هو عالم حصد النتائج كما ورد في الحديث: «**الدّنيا مزرعة الآخرة**».

* المرحلة الرابعة: الردّ على شبهات المنكرين للمعاد

هناك جملة من الشبهات الّتي تمسّك بها المنكرون للمعاد قديماً وحديثاً، وقد أُجيب عنها في علم الكلام، ومعظم الإجابات والردود استُفيدت من القرآن الكريم الّذي تصدّى لإثبات المعاد والردّ على المنكرين له، وسيتّم في هذا الدرس عرض أهمّ الشّبهات مع الردّ عليها.

1. شبهة إعادة المعدوم

أشرنا سابقاً إلى أنّ القرآن الكريم أجاب أولئك الّذين كانوا يقولون: كيف يحيا الإنسان من جديد بعد أن يضمحلّ ويتلاشى بدنه؟ بما مفاده: إنّ هويّتكم قائمة بروحكم، لا بأعضاء بدنكم الّذي يتفرّق في الأرض. قال -تعالى-: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾[1].

ويُمكن أن يكون الدافع لإنكار الكفّار المعاد هو تلك الشبهة الّتي يُعبّر عنها في الفلسفة بـ (استحالة إعادة المعدوم بعينه)، أي: إنّ هؤلاء كانوا يعتقدون

---

(1) سورة السجدة، الآيتان 10 - 11.

بأنّ الإنسان هو هذا البدن الماديّ الّذي يتلاشى وينعدم بالموت، وإذا رُدّت إليه الحياة من جديد بعد الموت، فهو إنسان آخر شبيه بالأوّل؛ إذ إن إعادة المعدوم بعينه أمر محال وممتنع.

ويتّضح الجواب عن هذه الشبهة من القرآن الكريم، وهو أنّ الهوية الشّخصيّة لكلّ إنسان وحقيقته متمثّلة بروحه، وبعبارة أخرى: إنّ المعاد ليس من إعادة (المعدوم)، بل عودة (الروح الموجودة) إلى البدن. فنفس الدّليل العقلي والقرآني المثبت لوجود الروح يُشكِّل ردّاً على هذه الشبهة.

2. شبهة عدم قابليّة البدن للحياة الجديدة

الشّبهة السّابقة كانت مرتبطة بالإمكان الذّاتيّ للمعاد، أمّا هذه الشّبهة فهي ناظرة لإمكانه الوقوعيّ، بمعنى: أنّ عودة الرّوح للبدن وإن لم تكن محالاً عقلاً، ولا يلزم التناقض من افتراضها، ولكن وقوع العودة فعلاً وخارجاً مشروط بقابليّة البدن، ونحن نرى أنّ حصول الحياة منوط بشروط وأسباب خاصّة لا بدَّ من توافرها تدريجيّاً، فمثلاً: لا بدَّ من أن تستقرّ النّطفة في الرّحم، ولا بدَّ أيضاً من توافر شروط مناسبة لنموّها وتكاملها، لتصبح جنيناً متكاملاً بالتّدريج، ولتكون بصورة إنسان، ولكنّ البدن الّذي يتلاشى يفقد قابليّته واستعداده للحياة.

والجواب: إنّ النّظام المشهود في عالم الدّنيا، ليس هو النّظام الوحيد، والشّروط والأسباب الّتي نتعرّف إليها من خلال التّجربة ليست أسباباً وعللاً منحصرة، والشّاهد على ذلك وقوع بعض الظّواهر والحوادث الحياتيّة الخارقة للعادة في هذا العالم نفسه، أمثال إحياء بعض الحيوانات أو النّاس، بغير الطريق المعهودة ومنها بعض الظّواهر الخارقة للعادة الّتي تحدّث عنها القرآن الكريم، كناقة صالح، وطير النّبيّ إبراهيم عليه السلام، وغير ذلك.

3. الشّبهة في مجال قدرة الفاعل

يشترط في وقوع أيّة ظاهرة من الظّواهر وتحقّقها قدرة الفاعل على ذلك، إضافة إلى الإمكان الذّاتي وقابليّة القابل، فمن أين نعرف أنّ اللَّه -تعالى- يملك القدرة على إحياء الموتى؟!

وهذه الشّبهة، إنّما تُطرح من قِبَل أولئك الّذين يجهلون قدرة اللَّه -جلّ وعلا- اللّامتناهية.

والجواب: إنّ القدرة الإلهيّة ليس لها حدود، بل تتعلّق بكلّ شيء ممكن الوقوع، كما هو الملاحظ بأنّه -تعالى- خلق هذا الكون الواسع بكلّ ما يتمتَّع به من عظمة مثيرة للدّهشة والإعجاب: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

إضافة إلى أنّ الخلق الجديد ليس أكثر صعوبة من الخلق الأوّل، ولا يحتاج إلى قدرة أكبر، بل هو أهون وأسهل[2]، لأنّ الإيجاد من العدم أصعب من الإعادة بعد الموت: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾[3]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾[4]، [5].

---

(1) سورة الأحقاف، الآية 33، وانظر السور التالية: يس، الآية 81، الإسراء، الآية 99، الصافات، الآية 11، النازعات، الآية 27.

(2) الصعوبة والهون هما بلحاظ العبد، وأما بلحاظ الخالق فهما متساويان عنده.

(3) سورة الإسراء، الآية 51 وانظر السور التالية: العنكبوت، الآيتان 20-19، ق، الآية 15، الواقعة، الآية 62، يس، الآية 80، الحج، الآية 5، الطارق، الآية 8.

(4) سورة الروم، الآية 27.

(5) يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير هذه الآية «إنّ القرآن يُثبت في هذه الآية -بأوجز الاستدلال- مسألة إمكان المعاد، إذ يقول لهم: إنّكم تعتقدون أنّ بداية الخلق من قِبَل اللَّه، فعودة الخلق مرة أخرى أيسر وأهون من بداية الخلق!.
والدليل على أنّ عودة الخلق أهون من البداية، هو أنّه في البداية لم يكن شيء ولكنّ اللَّه هو الذي أبدعه، وفي الإعادة توجد المواد الأصلية على الأقل، فبعضها في طيّات التراب، وبعضها متناثر في الفضاء، وإنّما تحتاج إلى نظم وإلى إعطائها صورتها الأولى فحسب، فهي أهون!
ولكن من الضروري أن نلتفت إلى هذه «اللطيفة»، وهي أنّ التعبير بالهيّن والصعب، هو من خلال نافذتنا

4. الشّبهة في مجال علم الفاعل

إذا أراد اللَّه -سبحانه- إحياء النّاس، ومجازاة أعمالهم ثواباً أو عقاباً فيلزم من جانب أن يُميّز بين الأبدان الّتي لا تُعدّ ولا تُحصى، ليُعيد كلّ روح إلى بدنها، ومن جانب آخر، لا بدَّ من أن يتذكّر جميع الأعمال الحسنة والسّيئة، ليُجازي كلًّا منها بما تستحقّه من الثّواب أو العقاب، ولكن كيف يمكن التمييز والتّعرف إلى الأبدان الّتي تحوّلت إلى تراب واختلطت ذرّاتها وأجزاؤها؟ وكيف يمكنه أن يضبط ويتذكَّر أعمال البشر كلّها خلال الآلاف بل الملايين من السّنين ليُحاسبها؟

وهذه الشّبهة طرحها أولئك الّذين يجهلون العلم الإلهيّ غير المتناهي، حيث قاسوا العلم الإلهيّ بعلومهم النّاقصة المحدودة.

والجواب: إنّ العلم الإلهيّ ليس له حدود، وله إحاطة بكلّ شيء، ولا ينسى اللَّه تعالى أيّ شيء.

وينقل القرآن الكريم عن فرعون قوله لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فقال موسى عليه السلام: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[1].

وقد ذكر -تعالى- في آية أخرى الجواب عن الشبهتين الأخيرتين بقوله -تعالى-: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2].

الفكرية، وأما بالنسبة للقادر المطلق فلا فرق عنده بين «الصعب والسهل». وأساساً فإنّ «الصعب والسهل» يصدقان مفهوماً في مكان يكون الكلام عن قدرة محدودة، كأن يستطيع أحد أن يؤدّي عملاً بصورة جيدة، والآخر لا يؤدّيه بصورة جيدة، بل بمشقّة، أمّا حين يكون الكلام على قدرة لا حدّ لها، فلا معنى للصعب والهيّن هناك!». (الأمثل في تفسير القرآن، ج12، ص512).

(1) سورة طه، الآيتان 51 - 52، وتراجع أيضاً: سورة ق، الآيات 2 - 4.

(2) سورة يس، الآية 79.

خلاصة الدرس

- إنّ الاعتقاد بالمعاد، وإحياء النّاس جميعاً في عالم الآخرة، من أهمّ الأصول العقائديّة في جميع الأديان السّماويّة.
- اعتبر القرآن الكريم الاعتقاد بالمعاد عدْلاً وقريناً للاعتقاد بالتّوحيد؛ ولذلك جمع وفي ما يتجاوز العشرين آية كلمَات (اللَّه) و(اليوم الآخر).
- الإنسان مركّب من بدن فانٍ، ومن روح قابلة للبقاء، ويمكنه الحصول على الكمالات الأبديّة الخالدة المٍرتبطة بالرّوح.
- إذا انحصرت حياة الإنسان بهذه الحياة الدّنيويّة، فإنّ ذلك لا يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة بل يُنافيها ويلزمه العبث.
- لولا وجود يوم القيامة -أي المعاد-، لكان وجود غريزة حبّ البقاء والخلود الّتي أودعها الخالق في فطرة الإنسان عبثا وبلا فائدة؛ إذ كيف يتلاءم إيجاد مثل هذه الغريزة مع القول بأنّ مصير الإنسان هو الفناء والتلاشي؟!
- إنّ الحياة الدّنيويّة بكاملها جُعلت للإنسان دار ابتلاء واختبار وبناء لهويّته الإنسانيّة، حتّى في أواخر لحظات حياته وعمره، لا يُعفى من هذا ألامتحان والتّكليف وممارسة وظائفه المقدورة له.
- الذي يعود هو الروح الباقية الّتي أثبتنا بقاءها وأنّها تُمثّل حقيقة الإنسان والبدن واسطة لإيصال الثواب والعقاب.
- إنّ النظام المشهود في الدنيا ليس هو النظام الوحيد، والأسباب والشروط الّتي نتعرّف إليها في الدنيا ليست منحصرة.
- البدن يحتاج في عالم الدنيا إلى شروط خاصّة وتدرّج من كونه نطفة في الرحم إلى آخر مراحله؛ إلّا أنّ هذه الشروط ليست منحصرة كما نرى في الظواهر الخارقة للعادة.
- إنّ قدرة اللَّه -تعالى- غير محدودة، فهي تتعلّق بكلّ شيء ممكن الوقوع، ثمّ إنّ الخلق الجديد ليس أكثر صعوبة من الخلق الأوّل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.
- إنّ علم اللَّه -سبحانه- ليس له حدود ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾.

أسئلة حول الدرس

1. كيف يمكن إثبات المعاد من خلال الحكمة الإلهيّة؟

2. كيف يمكن إثبات المعاد من خلال العدالة الإلهيّة؟

3. كيف نُجيب من يدّعي أنّ إعادة الإنسان أمر مستحيل بسبب استحالة إعادة المعدوم؟

4. اذكر بعض الآيات الدّالة على قدرته تعالى على إعادة الحياة بعد الموت.

الدرس الخامس والعشرون:

الشفاعة يوم القيامة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى أنواع الشفاعة.
2. يُدرك معنى الشفاعة.
3. يتعرّف إلى شروط الشفاعة.
4. يتعرّف إلى الشفعاء يوم القيامة.

* تمهيد

لقد أكرم اللَّه -تعالى- نبيّه الأكرم ﷺ بأن تفضّل عليه بمقام الشّفاعة، فجعله واسطة لوصول فيض رحمته تعالى لعباده المذنبين في الدّنيا ويوم القيامة.

* تعريف الشّفاعة

قبل الكلام عن الشفاعة بمعناها المصطلح تجدر الإشارة إلى المعنى اللغويّ لها، فهي مأخوذة من (شفع) وهو خلاف الوتر أي الزوج، تقول: كان وتراً فشفعته[1] أي ضممت إلى الأوّل شيئاً آخر فأصبحا شفعاً.

وأمّا الشّفاعة المصطلحة فهي عبارة عن توسّط النّبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وغيرهم ممّن ثبت له مقام الشّفاعة بين المؤمنين المذنبين وبين اللَّه -تعالى-، للعفو والصّفح عن ذنوبهم في الآخرة، فيرفع اللَّه -سبحانه- عنهم العذاب أو يرفع درجة ثوابهم بسبب دعاء الشّفيع وطلبه، فيضمّ طلب الشّفيع إلى إيمان المؤمن ليتحقّق الغرض والّذي لا يتحقّق إلّا بهما معاً. وبهذا تكون الشفاعة المصطلحة أحد مصاديق المعنى اللغويّ.

(1) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مصدر مذكور، مادة (شفع).

وبعبارة علميّة: إنّ الشّفاعة من متمّمات الأسباب فهي جزء المقتضي، وليست الشّفاعة علّة تامّة؛ لأنّها لا تكون إلّا فيما إذا كان المشفوع له قابلاً في الجملة لرفع العذاب عنه، فلا محلّ للشّفاعة فيما لا قابليّة له أصلاً، فالشّفاعة من الأسباب والعلل المتمّمة للتّأثير، وليست مستقلّة فيه (فحالها حال الجزء الأخير من العلّة).

وتفصيل الكلام حول الشفاعة يأتي ضمن الأبحاث الآتية:

* أقسام الشفاعة

الشّفاعة نوعان: تكوينيّة وتشريعيّة.

1. **الشّفاعة التكوينيّة:** والمراد منها «توسّط العلل والأسباب بينه -تعالى- وبين المسبّبات في الواقع الخارجي وتنظيم وجودها حدوثًا وبقاء»، فالشّفاعة في نظام التكوين هي انضمام السبب الطبيعيّ إلى الإرادة الإلهيّة ليتحقّق المسبّب بإذن اللَّه -تعالى- قال -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[1]، فهذه الآية وغيرها تدلّ على أنّه لا وجود لشفاعة ولا لتدبير في عالم التّكوين إلّا من بعد إذنه -تعالى-.

2. **الشّفاعة التّشريعيّة:** والمراد منها «العفو عن المسيء وإسقاط العقاب عنه أو رفع الدرجات له بتوسّط غير اللَّه -تعالى- ولكن بإذنه -تعالى-»، وهذه الشّفاعة قد تكون في الدّنيا، كما هو الحال في (الحسنات، والتّوبة، والملائكة، والقرآن والنّبيّ ﷺ، فإنّها جميعاً وسائط في رفع العقاب عن المذنب، وقد تحقّقت هذه الشّفاعة في الدّنيا، حيث قال تعالى بما يتعلّق بشفاعة النّبيّ والاستغفار في الدّنيا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا

(1) سورة يونس، الآية 3.

﴿كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2].

وهذا القسم من الشّفاعة غير مستقلّ في التأثير أيضاً، بل هي شفاعة بإذن الله -تعالى-، وقد تكون هذه الشّفاعة يوم القيامة وهي المعروفة بالشّفاعة الكبرى، وإليها ينصرف إطلاق لفظ الشّفاعة وهي محلّ الكلام في المقام دون غيرها من الأقسام.

وهذه الشّفاعة هي المقصودة في قوله -تعالى-: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[3]، وقوله -تعالى-: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4].

فقد فسّرت الرّوايات الآيتين العطاء المرضيّ والمقام المحمود بالشّفاعة يوم القيامة، وقد تواترت الرّوايات عن الفريقين في ثبوت الشّفاعة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى عُدّ من الضّروريّات ففي الحديث المشهور: «**ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي**»[5].

* مورد الشّفاعة

إنّ الشّفاعة تختصّ بالذّنوب الباقية إلى يوم القيامة أي: الّتي لم تُغفر ولم يُمحى أثرها في الدّنيا من خلال الحسنات والتّوبة مثلاً، وفي الحقيقة لو تمّت المغفرة قبل الموت فإنّه لا يبقى للشّفاعة موضوع من الأساس -من هذه الجهة- فتكون سالبة بانتفاء الموضوع، نعم يبقى محتاجاً إليها لرفع الدرجات في الجنة.

(1) سورة الأنفال، الآية 33.
(2) سورة النساء، الآية 64.
(3) سورة الضحى، الآية 5.
(4) سورة الإسراء، الآية 79.
(5) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، النكت في مقدمات الأصول، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان -بيروت، 1993-1414م، ط2، ص54.

* شروط الشّفاعة

1. أن يكون المشفوع له مؤمناً إلّا أنّه ارتكب بعض الذّنوب، وهذا في حقيقته هو المقتضي لتحقّق الشّفاعة، وبه تحصل القابليّة للشّفاعة. وأمّا المنكر للَّه -تعالى- والمشرك به فليس محلّاً للشّفاعة، وذلك لعدم أهليّته لها قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[1].

2. يُعتبر إذن اللَّه -تعالى- في مورد الشّفاعة، فهي تحتاج إلى إذنٍ خاصّ من اللَّه -تعالى-.

قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[2] .

وبدون إذنه -تعالى- لا يبقى مجال للشّفاعة؛ ولذلك حصر اللَّه -تعالى- الشّفاعة بذاته كما قال -تعالى-: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾[3].

فإنّ الشّفاعة المستقلّة هي للَّه -تعالى-، حالها حال الخالقيّة والرّبوبيّة، وأمّا شفاعة غيره -تعالى- فهي مستمدّة ومأذونة منه -تعالى-، ومن خلال هذا الشّرط يتّضح المراد من بعض الآيات النّافية للشّفاعة مطلقاً كما في قوله -تعالى-: ﴿يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾[4].

فإنّها تنفي الشّفاعة المستقلّة مطلقاً عن غيره -تعالى- خاصّة في مقابل من يعتقد بأنّ الأصنام ستشفع له.

وقال -تعالى-: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[5].

(1) سورة النساء، الآية 48.
(2) سورة سبأ، الآية 23.
(3) سورة الزمر، الآية 44.
(4) سورة البقرة، الآية 254.
(5) سورة المدثر، الآيات 42 - 48.

فالآيات تفيد بأنّ سبب فقدانهم لأهليّة كونهم ممّن يشفع لهم وعدم استحقاقهم لها هو عدم الإيمان بسبب الخوض في الملاهي وزخارف الدّنيا، بحيث حرفتهم عن الإقبال على اللّه -تعالى-، وكذلك التّكذيب بيوم الدّين المخرج من الإيمان، ونتيجة ما ذُكر أنّ من حافظ على إيمانه وأوجد المقتضي للشّفاعة يكون إيمانه هو السّبب لكونه مرضيّاً، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وأمّا الذّنوب والمعاصي فتُشكّل مانعاً من دخول الجنّة، فتصل النوبة إلى الشّفاعة فتُلغي أثر الذّنوب فيرتفع المانع ويتحقّق الغرض منها وهو دخول الجنّة والخلاص من العقاب.

* الشفعاء

تقدّم القول بأنّ الشّفاعة بالأصالة والاستقلال هي للّه -تعالى- ولغيره -عزّ وجلّ- بإذنه ورضاه، وقد أشار القرآن والسنّة إلى عدد من الشّفعاء المأذونين.

- منهم النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تقدّمت الإشارة للآيات في سورتي الضُحى والإسراء في المقدّمة وفي تفسير العياشي عن أحدهما عليه السلام في قوله -تعالى-: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1]، قال عليه السلام: «**الشّفاعة**»[2].

وأخرج مسلم عن أنس عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**إنّ لكلّ نبي دعوة قد دعا بها فاستُجيب له وإنّي استخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[3].

- ومنهم سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ويمكن الاستدلال بقوله -تعالى-: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ

(1) سورة الإسراء، الآية 79.
(2) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي، مصدر مذكور، ج7، ص100.
(3) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج3، ص134.

﴿يَعۡلَمُونَ﴾[1]، ولا شكّ في أنّ الأنبياء عليهم السلام يشهدون بالحقّ، وهذا دليل عامّ يشملهم عليهم السلام ويشمل غيرهم.

- ومنهم السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والدليل قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في سبب تسميتها، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**قد فطمها اللّٰه وذريّتها عن النّار يوم القيامة**»، وفي رواية أخرى: «**فطمها ومحبّيها عن النّار**»[2].

- ومنهم الأئمّة عليهم السلام ورد في الرّواية عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**أنّه يوم القيامة يأتي قوم يمشي النور بين أيديهم، فيُسألون من أنتم؟ فيُجيبون: نحن العلويّون، نحن ذريّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، نحن أولاد عليّ وليّ اللّٰه، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون، فيُجيئهم النّداء: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون**»[3].

- ومنهم: العلماء والشّهداء والمؤمنون والجيران[4] والسِّقط[5]، ففي الحديث: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تستخفّوا بفقراء شيعة عليّ عليه السلام وعترته من بعده، فإنّ الرّجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر**»[6].

(1) سورة الزخرف، الآية 86.
(2) الصواعق المحرقة، لابن حجر العسقلاني، مصدر مذكور، ص153.
(3) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج8، ص36.
(4) عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام: «**إن الجار يشفع لجاره والحميم لحميمه، ولو أنّ الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين شفعوا في ناصب ما شفعوا**». (بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مصدر مذكور، ج8، ص42). وعنه عليه السلام أيضاً: «**إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به قال: فيقول: يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا وأسعفك في الحاجة تطلبها مني، فهل من عندك اليوم مكافأة؟ فيقول المؤمن للملك الموكل به: خلِّ سبيله، قال: فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن فيُخلّى سبيله**». (الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، إيران -قم، 1368ش، ط2، ص172-173).
(5) عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أما علمتم أنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط يظل محبنطئاً على باب الجنة، فيقول اللّٰه -عزّ وجلّ-: ادخل الجنة، فيقول: لا أدخل حتى يدخل أبواي قبلي، فيقول اللّٰه -تبارك وتعالى- لملك من الملائكة: ايتني بأبويه فيأمر بهما إلى الجنة، فيقول: هذا بفضل رحمتي لك**». (الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج5، ص334).
(6) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، مصدر مذكور، ج75، ص59.

وفي الحديث عن النبيّ ﷺ: «**ثلاثة يشفعون إلى الله -عزّ وجلّ- فيشفّعون: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشّهداء**»[1].

بيان:

إنّ الشّفيع المطلق بعد الباري -عزّ وجلّ- هو النّبيّ الأكرم ﷺ؛ ولذا صار شهيداً على الجميع، قال -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾[2].

فالشّفاعة تنزل على نبيّنا الأعظم ﷺ ومنه إلى غيره، وكذلك لكلّ طائفة من الشّفعاء مستوىً ودرجة تُناسب مقدار كماله وقربه من الله -تعالى-.

ما هي الغاية والحكمة من إعطائهم عليهم السلام مقام الشّفاعة؟

والجواب: هو أنّه بعدما أُثبتت الشّفاعة بالدّليل، لزم الاعتقاد بها، بغضّ النظر عن إدراك غايتها ومعرفة حكمتها.

مع أنّه يمكن أن تكون الحكمة منها هو تكريمهم عليهم السلام، وإظهار فضلهم وبيان مرتبتهم.

* المرحلة الخامسة: الذّنوب المانعة من الشّفاعة

إنّ الشّفاعة تنال كبائر الذنوب، إلّا أنّ بعض الذّنوب الّتي لا تنالها الشّفاعة.

منها: الاستخفاف بالصلاة، ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام: «**قال رسول الله ﷺ لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته**»[3]، وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصّلاة**»[4].

---

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران -قم، 1403هـ - 1362ش، لا.ط، ص156، ح197.

(2) سورة النحل، الآية 89.

(3) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، مصدر مذكور، ج4، ص22، ح10.

(4) المصدر نفسه، باب تحريم إضاعة الصلاة ح6.

ومنها: سوء الخلق، فعن النّبيّ ﷺ: «**إيّاكم وسوء الخلق، فإنّ سوء الخلق في النّار لا محالة**»[1].

ومنها: الإسراع والمبادرة إلى ارتكاب المعاصي اتّكالاً على الشّفاعة، كما ورد عن أبي عبد اللَّه عليه السلام في رسالته لأحبّائه «**فمن سرّه أن تنفعه شفاعة الشافعين عند اللَّه فليطلب إلى اللَّه أن يرضى عنه**»[2]، أي: ينبغي أن يكون الإنسان مراقباً لنفسه ولا يغفل عنها اعتماداً على الشّفاعة فقد لا ينالها إذا ارتكب ما يُسخط اللَّه -جلّ وعلا-.

ومنها: إنكار الشفاعة ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**من كذّب بشفاعة رسول الله ﷺ لم تنله**»[3].

ومنها: النّاصب العداء لأهل البيت عليهم السلام، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**المؤمن ليشفع لحميمه إلّا أن يكون ناصباً، ولو أنّ ناصباً شفع له كلّ نبيّ مرسل وملك مقرّب ما شفّعوا**»[4].

ورغم هذا البيان المطوّل للشّفاعة، إلّا أنّه بقي الكثير ممّا لا يسع المجال لذكره.

وقد بان أنّ الشفاعة ليست من نوع الشّفاعة السيّئة والواسطة الّتي يرفضها العرف والعقلاء، بل هذه الشّفاعة صحيحة ومقبولة عند العقلاء؛ لأنّها ليست عبثاً ولا جزافاً، بل هي خاضعة لقوانين وضوابط بحيث لا تُميّز بين شخص وآخر، إلّا إذا كان محقّقاً لأهليّة واستحقاق الشفاعة.

(1) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج68، ص386.
(2) الكافي، للشيخ الكليني، مصدر مذكور، ج8، ص11.
(3) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، مصدر مذكور، ج2، ص71، ح292.
(4) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، مصدر مذكور، ج8، ص41.

كما أنّه لا يلزم من هكذا شفاعة الجرأة على ارتكاب المعاصي، بل هي دعوة للإنسان لتحقيق مقتضاها ورفع موانعها، فحالها حال التّوبة، فكما أنّ التّوبة المجمع على ثبوتها لا تستدعي الجرأة على اللَّه -تعالى- فكذلك الشفاعة، وكما أنّ التّوبة فتحت أبواب الأمل والرّجاء وشكّلت دافعاً لعدم اليأس من روح اللَّه -سبحانه- فكذلك الشّفاعة. ولا فرق بينهما إلّا أنّ التّوبة محلّها الحياة الدنيا، والشّفاعة محلّها الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين، رزقنا اللَّه وجميع المؤمنين شفاعة سيّد المرسلين وبضعته وأهل بيته الميامين صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

خلاصة الدّرس

- الشّفاعة المصطلحة عبارة عن توسّط النّبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وغيرهم ممّن ثبت له مقام الشّفاعة بين المؤمنين المذنبين وبين اللَّه -تعالى-.

- الشفاعة قسمان: تكوينية وتشريعية؛ أما التكوينيّة فتعني توسّط العلل والأسباب بين الله -سبحانه- وبين المسبَّبات. وأمّا الشفاعة التشريعيّة فهي رفع درجة العبد أو إسقاط العقاب عنه بتوسّط شفيع غير الله -تعالى- ولكن بإذنه.

- إنّ الشّفاعة تختصّ بالذّنوب الباقية إلى يوم القيامة أي: الّتي لم تغفر ولم يمحى أثرها في الدّنيا من خلال الحسنات والتّوبة مثلاً.

- يُعتبر إذن اللَّه -تعالى- في مورد الشّفاعة، فهي تحتاج إلى إذنٍ خاصّ من اللَّه -تعالى-.

- الشفاعة تنال كبائر الذنوب، إلاّ أنّ هناك بعض الذنوب لا تنالها، منها:

- الاستخفاف بالصلاة وسوء الخُلقُ، والاستهانة بالذنوب اتّكالاً على الشفاعة، وإنكار الشفاعة، ونصب العداء لأهل البيت عليهم السلام.

- الشفاعة كما التوبة لا تعني الجرأة على المعاصي، فربّ عاصٍ لا تقبل منه توبة ولا شفاعة، فعلى الإنسان أن لا يترجّح رجاؤه على خوفه، وعليه بالعمل والجدّ ليُحقِّق أسباب الشفاعة وشرائطها ورفع الموانع الّتي تحول دون حصوله على الشفاعة.

أسئلة حول الدرس

1. عرّف الشّفاعة التكوينيّة والتشريعيّة.

2. ما هي الشّفاعة المصطلحة؟

3. عدِّد بعضاً من الشفعاء يوم القيامة.

4. ما هي الذنوب الّتي لا تنالها الشّفاعة؟

مركز المعارف للمناهج والمتون التعليميّة

مِنْ مؤسَّساتِ
جمعيَّـــةِ المعارفِ الإسلاميَّةِ
الثقافيَّةِ، متخصِّصٌ بإعدادِ المناهجِ
وَتدوينِ المتونِ التعليميَّةِ، وفقَ
المنهجيَّةِ العلميَّةِ وَالرؤيةِ
الإسلاميَّةِ الأصيلةِ.

9 786144 673188

المعارف
جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان - بيروت - المعمورة - الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb